

The Boy Who Could Keep a Swan in His Head

الصبي

الذي باستطاعته

وضع بجمعة في رأسه



مكتبة

Telegram Network

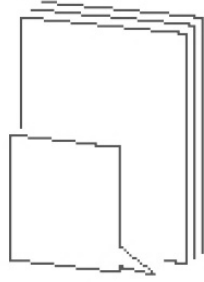


جون هانت

ترجمة: سلمى الحافي



الصبي الذي باستطاعته وضع بيعة في رأسه



ملحة الترجمة
Translation Grant





إدارة التوزيع

00201150636428

لمراسلة الدار:

email:P.bookjuice@yahoo.com

Web-site: www.aseeralkotb.com

- العنوان الأصلي: The Boy Who Could Keep a Swan in his Head
- العنوان العربي: الصبي الذي باستطاعته وضع بجعة في رأسه
- طبع بواسطة: Penguin Random House South Africa
- طبع بواسطة: بينجوين راندوم هاوس ساوث أفريكا
- حقوق النشر: 2018، جون هانت
- Copyright © by John Hunt, 2018
- حقوق الترجمة: محفوظة لدار عصير الكتب
- ترجمة: سلمى الحافي
- مراجعة وتحرير: محمد المتيم
- تدقيق لغوي: د. محمد حماده
- تنسيق داخلي: معتز حسنين علي
- الطبعة الأولى: أكتوبر / 2022م
- رقم الإيداع: 16983 / 2022م
- الترقيم الدولي: 1-55-6972-977-978

الآراء الواردة في هذا الكتاب تُعبر عن وجهة نظر الكاتب ولا تُعبر بالضرورة عن وجهة نظر الدار

جميع حقوق الطبع والنشر محفوظة © لدار «عصير الكتب» لتجارة الكتب يحظر طبع أو نشر أو تصوير أو تخزين أي جزء من هذا الكتاب بأية وسيلة إلكترونية أو ميكانيكية أو بالتصوير أو خلاف ذلك إلا بإذن كتابي من الناشر فقط.



The Boy Who Could Keep a Swan in His Head

الصبي الذي باستطاعته وضع بجمعة في رأسه



إلى كيم ومايكل ولوك وجايد. وبالطبع إلى دينيس.
[«مكتبة النخبة»](#)

في طَرْفَة عَيْن

Lickety-split

liketi'split/ adverb, informal/

هيلبرو، 1967. نيويورك إفريقيا. أبقى الأبارتهايد⁽¹⁾ الطرق نظيفة والقمامة مُجمّعة. انبثقت مبانٍ في كل مكان، و«في طرفة عَيْن»، كما يقول السيد ترينتبريدج. وفي أثناء سيره من المدرسة إلى المنزل، كان الصبي يرى كل يوم تقريبًا كُتلاً كبيرة متفرقة من المنازل ذات أسطح الصفيح. أحاطت بهذه المنازل حدائق جديدة متواضعة، وشجرة دُرّاق أحيانًا. كتب أحدهم في صحيفة «ذا ستار» أن هيلبرو ستحوي قريبًا عددًا أكبر من الناس لكل كيلومتر مربع من طوكيو. اقتبس الجميع هذه المقالة في جميع أحاديثهم، حتى إن البعض قَصَّوها وأبقوها مطوية في محافظهم.

عاش الصبي المدعوُّ فين في مبنى داتشس كورت، الواقع في 20، شارع أورايلي، بيريا. أي في بيريا عمليًا، ولكن لأسباب بعينها يقع في هيلبرو. وبالكاد يبعد ثلاث دقائق سيرًا على الأقدام عن قلب هيلبرو، المتمثل في شارعي كوتزي وبريتوريوس المتوازيين. بُني داتشس كورت في العشرينيات من القرن الماضي، صلبًا ورماديًا، وبأجزاء جذابة على طراز آرديكو⁽²⁾. لا بد أنه هيمن على خط الأفق عند بنائه. أما حين انتقل فين إليه، فقد كان يبدو مثل امرأة عجوز بدينة ترتدي معطفاً كثيباً رُقعَ كثيرًا.

ليس لأن المبنى افتقر إلى السحر؛ فقد تموضع في مركزه المصعد المغطى بألواح خشبية بمرآته المشطوفة، المعروف للجميع ببساطة باسم السيد أوتيس، الذي كان ينتظر في نهاية البهو مع ثلاث سيداتٍ من الحديد الصبِّ فوق عتبه، واللواتي اجتمعن في رقصةٍ مُشكلاتٍ خطٍ جوقه، ورافعاتٍ أرجلهنَّ اليمنى عاليًا. إذا فَتَحَت الباب الخشبي الثقيل، ثم دَقَعَت البوابة المعدنية إلى الخلف، أخذك المصعد إلى ارتفاع ستة طوابق مُصلصلاً. وعند إغلاق الشبكة المعدنية عبر سحب طَيَّاتِها، تترك فجوات كبيرة يمكنك النظر من خلالها. وإن وَقَفَت قبالتها، رأيتَ بئر المصعدٍ بشرائطه الرمادية العمودية تنسحب إلى أعلى في حركة ضبابية بطيئة، تتخللها ست رشقات مربعة من اللون الأصفر إذا اتَّجَهَت إلى الأعلى. لِبَابِ المصعد في كل طابق نافذة زجاجية صغيرة تسمح لك بالتلويح للناس وأنت تمرُّ أمامهم.

كان التوقّف عنيفًا دائمًا وغير دقيق. يقترح المقيمون على القادمين الجدد أن يتكئوا على الجدران، أو أن يمسكوا على الأقل بالمقبض النحاسي المصقول للبوابة المعدنية؛ فالمصعد قد يتوقف في أي مكان ما بين قَدَم وبوصة واحدة بعيدًا عن الطابق المطلوب. غير المبتدئين عانوا كثيرًا في فهم أن ذلك كان وصولًا، إذ يفترضون أن خطبًا ما قد طرأ. وما كانوا يصعدون أو يهبطون بخجلٍ ثم يخرجون قبل أن يُفَتَّح الباب المعدني بوقاحة.

عاش فين في الطابق الأرضي في الشقة رقم أربعة؛ لذا كانت رحلاته مع السيد أوتيس نادرة، أو من أجل التسلية. وازدادت المخيطة خصوبةً عند توفر الناقلات الحربية. وقد احتاج إلى أن يعثر على قاعدة صواريخ «في2» التي يستخدمها الألمان في مقر القيادة العسكرية خلف جبل الغسيل على السطح؛ إذ كانت لندن تتعرّض لقصف رهيب، وكان كُُلُّ الاعتماد على وحدة المغاوير التي يقودها. بعد أيام من الاستطلاع الدؤوب، وجدوا أن العمود الخرساني الماكر قد حَفَرَ ما يعادل ستة طوابق في عمق سفح الجبل. على الرغم من أن العدو كان يفوقهم عددًا، فقد تكلفت المهمة بالنجاح الباهر بفضل عنصر المفاجأة.

إذا جَلَسْتَ على غطاء محرك سيارة فورد كورتينا التي يقودها السيد ترينبريدج وتَظَرَّت إلى المبنى، ظَهَرَت الشقة رقم أربعة في أقصى الزاوية اليمنى. زُرِعَت شجرة نخيل منذ سنوات، وَحَجَبَتْ تسعين بالمئة من إطلالة الشرفة، وامتدَّت حتى الطابق الرابع، تداعب الحمام عاليًا في السقف كأن الشريط الصغير من اللون الأخضر بين المبنى والرصيف واحة. غالبًا ما يمثل فين دور لورانس العرب حول تلك الشجرة، ويقدم التمر والمكسرات على شكل حلوى «ويلسون» إلى القبائل البدوية المتجمعة؛ إذ إنّه سيحتاج إلى مساعدتهم لطرد الأتراك من الشرق الأوسط إلى الأبد.

واضحة قطعاً قماش على رأسه، فَجَّر عددًا لا يُحصى من القنابل المَعَادية في أثناء تحرُّكها عبر الصحراء وعبورها شارع أورايلي. كانت قاذبته عبارة عن قلم رصاص وضعه في حفرة صنعها في الجزء العلوي من علبة حليب مكثف فارغة، وعند ضربها بقوة كان الديناميت يُلقى بالقنابل الضخمة في الهواء. وكانت سيارات فولكس فاجن وموريس مينورز وفيات وبيجو بين الحين والآخر تُقَدَف عن الأرض بلا حول ولا قوة وتهبط على جوانبها وأسطحها.

«أخبر رجالك ألا يُهدروا الذخيرة يا شريف ناصر؛ إذ ينتظر قبيلة الحارث الكثير من المعارك مستقبلًا».

لقد كان القضاء عليهم عملاً سهلاً، وإن كان عنيفًا. مختبئة خلف جدار الحديقة، قَصَتْ عصا المكينة المنشورة عليهم واحدًا تلو الآخر. لم يكن الأمر جميلًا، ولكن الحرب لم تكن جميلة يومًا. كان عليه أن يذكر نفسه: «البشرية

قَصَتْ عشرة آلاف سنة في تجميع خبرة القتال، وإذا كان علينا أن نقاتل فما من عذر لعدم إتقان ذلك».

كانت الشقة نفسها من الداخل أكبر مما تبدو عليه من الخارج. عاش في شقة، بينما احتوت جميع المباني الجديدة من حوله على «شقق وحدات سكنية». وذلك شأن الكلمات، تتغير دون قافية أو منطق. وإن سألت عن السبب، لم يستطع أحد أن يعطيك إجابة. لم تكن شقته ضيقة. في الواقع، كانت سقوف المباني القديمة أعلى بكثير، وقد بُنيت شقق الوحدات السكنية الجديدة تلك متلاصقة للغاية، حتى صار اسم «العُلق السكنية» يناسبها أكثر. قال والده إن الشقق قادمة من بريطانيا، والشقق السكنية من أمريكا. قال إن هؤلاء الأمريكيين اللعين يتدخلون في كل شيء.

إذا فتحت الباب الأمامي للشقة رقم أربعة، أمكَّك الانعطاف إلى اليسار تمامًا نحو المطبخ، أو المضي قدمًا مباشرة إلى غرفة الطعام. كانت أرضية المطبخ مُغطاةً بغطاء واحد مُسطح من مشمع أخضر تتكدَّس فيه فقاعات حسب المكان الذي تقف فيه. يمكنك جعل الفقاعة تتحرك، ولكن لا يمكنك إخفاؤها مطلقًا؛ مما كان شبيهًا إلى حد كبير بمحاولة التخلص من انبعاث في كرة بينج بونج. وكأنَّ التحرك من دواعي سرور الهواء المحاصر، شرطًا أن يأخذ معه فراغه المنتفخ. حتى إن الزوار المهتمين اقترحوا أن سبب المشكلة قد يعود إلى وجود فأرة في المطبخ، مما تسبب في إحراج والدة فين، حتى صار دَفْعُ الفقاعة خلف الثلاجة قبل أن يأتي أي شخص لزيارتها مهمته الروتينية.

لم يكن المشي في غرفة الطعام بلا تحديات؛ فمثل بقية الشقة، كانت أرضيتها خشبية، وذات تصميم متعرَّج كان متقاربًا يومًا ما. على مَرِّ السنين، تسبب ضرب الأقدام المتواصل في المناطق ذات الازدحام الشديد في حدوث تَلَف. مثل بيانو فيه عدد من المفاتيح السائبة، يخدعك المظهرُ الأوَّلِيُّ للسطح الأملس، فإذا وقفت على طرف اللوح الخشبي الخاطئ، ظهر رأسه كأنه ثعبان جاهز للهجوم.

تموضع أخطر مربع براءة مباشرةً على الطريق المؤدِّي إلى الصالة. كانت الألواح الخشبية الثلاثة فضفاضة ومرتببة بجانب بعضها بعضًا على ارتفاعات مختلفة قليلًا. إذا كنت تحمل صينية، فلن تكون لديك فرصة في النجاة أبدًا. وإذا كانت مشيتك سريعة أو ثقيلة، فغالبًا سينقلب أحد الثلاثة كليًا ويضربك على قصة ساقك.

عندما ضبَط فين والدته تبكي، على الرغم من أنَّها قالت إن كل شيء على ما يُرام، قرَّر إصلاح الأرضية في محاولة لرفع معنوياتها. كان من عادته أن يكتنز الأغراض، وذهب مباشرةً إلى الرفِّ العلويِّ لخزائنه. أخرج الكيس البلاستيكي المطبوع عليه متجر «أوكيه بازارز» من تحت قميصه المدرسيين المطويين بعناية. ووجد ما حَبَّاه من قطع اللبان بجانب بيضة من عيد الفصح، وشرائح

عرق السوس التي أصبح لونها أخضر زمرديًا غامقًا. لم يكن متأكدًا بالضبط كم من الوقت يجب أن يمضغها، فهل تفقد دبقها أيضًا بعد أن تفقد طعمها؟ قرّر أن يجعل العلكة رطبة فقط ثم يسحبها إلى الخارج. أعطى كل قطعة دقيقة في فمه، لا أكثر ولا أقل.

كان قد رأى صورًا لكبار الحرفيين وهم يعملون، وحاول تبني سلوكهم. أمسك حواف الشرائح أمام الضوء، وعبس بسبب خشونتها غير المناسبة. تتبعت إصبغ كُتِل القار القديمة، ثم أخذ مبرد أظفار والدته المعدني وملسها. وضع صحيفة على طاولة غرفة الطعام لالتقاط رقائق القار المتساقطة، ولكن معظمها سقط برفق في وعاء الفاكهة. بمجرد الانتهاء، اصطف كل لوح من الألواح التي يبلغ طولها سِتُّ بوصات عموديًا على اللوح الجانبي مثل صف من قطع الدومينو. لم يكن متأكدًا من كيفية وضع اللبان؛ فهل يضع قطعة واحدة طويلة وممتدة؟ أم سلسلة من القطع؟

بعد تجربة كليهما، قرر اعتماد سلسلة القطع؛ فقد بدت المسافة المُقاسة بين كل كومة من اللبان أكثر إرضاءً من الناحية الجمالية، وأكثر إحياءً بأنها ذات نفع. ذكره ذلك بمجموعة «ميكانو»⁽³⁾ الخاصة به؛ حيث اصطفّت سلسلة من الثقوب على أطراف كل شيء. تطلب هذا الاختيار المزيد من المواد، واستنفد احتياطيه بالكامل. عندما انتهى، كانت مجموعة من لبان -صُنِع قبل ثلاث سنوات- موضوعة تحت أرضية غرفة الطعام. كان معظمها من «تشايز»؛ لذا احتفظ بالأغلفة لقراءة التُّكَّات ومقتطفات «هل تعلم؟» المطبوعة على داخلها. وكان تَمَّة نفحة خفيفة أيضًا من النعناع الفلفلي والنعناع السنبلي من أنواع اللبان الأخرى. شعر فين بالفخر والبهجة عندما أنهى عمله. يتسرّب نوع من الرضا عند إتمام عمل يتطلب جهدًا بدنيًا، وتقتات على ذلك الشعور فترة طويلة، حتى عندما لا يلاحظ أحد عملك اليدوي.

على الجانب الجنوبي من جدار غرفة الطعام، كان تَمَّة باب يُفضي إلى خزانة عميقة جدًا يُشار إليها باسم المخزن. وأمنت الرفوف الخلفية الثلاثة بحقيقة قاطعة، مفادها أن أحدًا لن يصل إليها على الإطلاق. في منتصف الرف العلوي، منتصبًا مثل سلسلة من الفقرات المكسورة، وُضِعَت الأطواق السلكية المُشَوَّهة لحامل شرائط التسجيل. وُضِعَت ساق الأريكة على عمود الحامل الفقري الرقيق بطريقة ما في رحلتها في شاحنة التوصيل من فندق شوتلي السكني، على بعد نصف ميل، فأصبحت القنوات السلكية مفلطحةً بشكل مُحرج في الوسط، وضيقة للغاية على الحواف المعاكسة. لذلك أُجبر «جنوب المحيط الهادئ»، و«بريجادون»، و«سيدتي الجميلة»، و«جيجي»، وجميع التسجيلات المعاصرة على الاستلقاء فوق بعضها، واستراحت بدورها على صندوق صغير من عصر آخر. وبعد أن أصبحت فارغة، حمل غطاؤها الدائري المُبطن بالمخمل ذكرى جمالها، لا محتوياتها.

في الرف السفليّ التالي، وإلى اليسار قليلاً، وُضِعَ قفص الهامستر الفارغ، والذي كان يضم «فيلبي» ذات يوم؛ فقد سُمِحَ لفين بشراء الهامستر الأبيض شَرَطَ أن يسمّيه والدّه. «هذا القارض كان يجب أن يقبع وراء القضبان منذ سنوات». إلا إنه عَلِمَ لاحقاً أن فيلبي كان عميلاً مزدوجاً لبريطانيا، وقد انشَقَّ إلى الاتحاد السوفيتي. كان ما يزال من الممكن رؤية علامات الأسنان حيث قضم الهامستر المسحوق الأزرق الباهت الذي يغطي صينية طعامه الحديدية. كان فين قد وضع القفص هناك بنفسه، في احتفال رسمي بعد فترة وجيزة من وفاة فيلبي. لم يكن متأكدًا أين توضع منازل الموتى، ناهيك بالموتى أنفسهم. أراد أن يسأل، ولكنه لم يجد الشجاعة لفعل ذلك. شعر أن وَضَعَهُ في كيس بلاستيكي ثم في صندوق القمامة هو الحل. عندما عاد من المدرسة، عانقته والدته، وَقَدَّمتَ تعازيها، ثم انتهى الموضوع.

ولهذا السبب، عندما بدأت عجلة الهامستر بالجري عميقاً في ظلمة الخزانة بعد أسبوعين، ارتبك فين في البداية، ثم ابتهج. كان قد قرأ قصصاً ورأى صوراً حول البعث، واعتاد أن يُحَدِّقَ إلى تلك الأشعة الصفراء التي تنفجر من وراء السحب الداكنة مثل حَمَامٍ أبيض يندفع إلى السماء مُشَكِّلاً زوبعة. ركض إلى الباب وَشَقَّ الظلام، وكان من الواضح أن الضوء الذي سطع فجأة قد رَوَّعَ الفأر الأسود الضخم. ومع ذلك، فالحجم يترافق مع مقدارٍ محدد من الثقة. قام بعدة دورات إضافية قبل أن يخرج من باب القفص ويعبر كومةً من نُسَخٍ من مجلة أخبار لندن المصوّرة⁽⁴⁾.

لم يكن ثَمَّةَ جدار على الجانب الشمالي من غرفة الطعام. كان بالإمكان سحب الباب المنزلق الذي يحوي ألواحاً زجاجية على كَلِّ من جانبيه ويلتقيان في المنتصف، إذا لزم الأمر. وعلى الرغم من أن هذا نادراً ما يحدث، بدأ أن احتمال حدوثه جعل الغرفة أكثر تعقيداً. وجعلك «تشقُّ» في طريقك إلى الصالة، مثلما يجعلك رجلٌ مُهمُّ تشقُّ طريقك عبر مكتب مساعده قبل أن تتمكن من الوصول إليه. وهيمن على الصالة راديو ومُشَغَّلُ أسطوانات من نوع «جرونديج» يُحَدِّقُ إلى وجهك مباشرةً. كان يعرف أن الغرفة ملكه، حتى وعاء النباتات الفواحة الخزفيّ الكبير المقلوب رأساً على عقب، لم يستطع تغيير ذلك. مالت الأريكة وكُرسيَّان بذراعين نحوه في انتظار التعليمات، حتى عندما لم يكن يعمل. ورغم أرجله الطويلة التي كانت تجعله يبدو مثل رجل سمين بَرَبْلَتَيْنِ نحيفتين، فقد كان أرقى قطعة أثاث في الشقة بأكملها بلا ريب.

خلف الراديو، أطلت نوافذ الصالة على الشارع. وبسبب قرب الرصيف، الذي كان على بعد ياردتين بالكاد، سَمَحَتِ ستارة الدانتيل السميقة لمعظم الضوء بالدخول، وَحَجَبَتِ رؤية معظم المارّة؛ مما سمح لفين بالوقوف هناك دون أن يُلاحَظ مطلقاً. على الرغم من توقف النوافذ في المنتصف، امتدَّت ستارة الدانتيل -التي تحاكي الستائر المُرَهَّرة- حتى الأرض. في بعض الأيام كان يلفُّ

نفسه في ثناياه ويتظاهر بأنه عباءة إخفاء عندما يريد ألا يراه أحد من الداخل أيضًا. في وقت متأخر من بعد ظهر يوم الجمعة، عندما ناقش الطيبان خيارات مختلفة حول طاولة الصلاة، ظلَّ مُحاطًا به ساعات. حتى عندما اتصلوا بوالدة فين، بقي في مكانه.

سأل النحيفُ الطويل من بينهما والدته: «هل يُمكنك الانضمام إلينا بعض الوقت؟»

لقد أَحَبَّ الجميع والدته. أرادها الجميع أن تنضم إليهم فترة من الوقت. كانت جميلة، رغم أنها أنكرت ذلك دائمًا. ولكن لم يكن من الممكن إطلاقًا اتهاؤها بالنفاق في تواضعها. كانت تملك قبولًا عميقًا للحياة المكتوبة لها، وعيَّين زمرديتين غير قادرتين على الخداع أو المكر. حدق الجميع تقريبًا إلى وجهها تائم التناسق وشفثتها الممتلئتين بشهوةٍ عاقبوا أنفسهم لامتلاكها على الفور؛ لذا كانوا يعرضون المساعدة بأي طريقة ممكنة على سبيل التكفير. كان درج سريرها مملوءًا ببطاقات العمل، وبقايا الورق من أشخاص بالكاد تعرفهم، وجميعهم ينتظرون مكالمتها.

- بالطبع. هل أصنع إبريق شاي ساخنًا أولًا؟

- فكرة رائعة.

وإثاقًا من أن أحدًا لا يراه، أعاد الطيب السمين ترتيب ما بين فخذه، وباعد ساقيه. عندما أطلقت الغلاية صفيَّرًا، كان قد نفذ صبر يديه، وأخذتًا تفركان فخذه من الخارج. تظاهر الطيب الآخر بتدوين الملاحظات، وحرَّشَ ثم شَطَبَ مثل رَجُلٍ يعاني في حَلِّ الكلمات المتقاطعة.

- لا أريد سُكَّرًا.

وضع السمين مُكَعَّين.

- أخشى أنه يتعيَّن عليك توقيع كُُلِّ هذه الأوراق. إنه أمرٌ شاقٌّ حقًا، ولكنه ضروري.

بعد ذلك، حملا ظروفاً بيضاء ملآنة بالحبوب، وكتبا تعليمات طوبلة على خارجها، كأنها عناوين يجب أن ترسلها إليها.

- الجرعة الصحيحة أمرٌ بالغ الأهمية. اقترَحُ استخدام شفرة حادة من أجل الأنصاف.

- سكين الخبز لن تنفع. لم يتم الاعتراف بمحاولة والدته إلقاء دعابة.

بعد تَسَنَّتْ انتباهه المؤقت، عاد الطيب النحيف إلى ملاحظاته: «والآن، هذا أيضًا مهم جدًّا». أمسك أمبولا زجاجيًا صغيرًا وطرق عليه، ثم كَسَرَ رقبته. وبدقة شديدة، أدخل الإبرة في رأس القارورة المقطوع.

- سوف تعتادين الأمر. مباشرةً في عضلة الأرداف الصلبة. إذا احتجنا إلى عينات دم، تذكرني أن تضغطي الذراع لإبراز الوريد.

من خلال آلاف الثقوب، شاهد فين والدته وهي تتدرب.
- حسنٌ. الآن، ادفعي المكبس إلى الأمام، لا نريد ترك أي هواء في المحقنة.
أخرجت الإبرة قوسًا عريضًا انهارَ على شكل حَطِّ بَلَلٍ على طول طاولة غرفة الطعام.

قالت: «أسفة!» ورَبَّتت على الرطوبة بمنديل.
- لا تقلقي، ستتعلمين كيفية فعل الأمر بالطريقة الصحيحة.
ابتسم الطبيب السمين ابتسامَةً ملتويةً كأن شيئًا فظًا قد حدث للتو.
على الرغم من أن الشرفة كانت تبدأ من الجانب الأيسر من الصالة، فإنها لم تكن تُستخدَم كثيرًا. كانت مفتوحة، فلم تحو ستارة دانتيل، بالإضافة إلى أن شجرة النخيل المنفردة حجت المنظر مثل رجل خشبية ضخمة. حاول أصيصان من نبات الغرنوقي الأحمر الساطع جهدهما لإضفاء القليل من اللون على الزاوية المظلمة، مثل زوجين من العيون المُحتقنة بالدم. بدا أنهما يلفتان الانتباه إلى تَفْسِيههما لأسباب خاطئة كليًا. كانت سيقانها ناعمة وملتوية بسبب كثرة المياه، وأوراقها شاحبة وباهتة بسبب قلة الشمس. وقد أفادت الشرفة في غرض عملي واحد؛ إذ وفّرت طريقة أخرى للخروج. إذ كان الباب الأمامي خاضعًا للحراسة، أو إذا كانت مسألة الواجبات المنزلية قد أثرت عند اقترابك، فهناك دائمًا مخرج جهة الشرفة. لتجنّب التعرض للخيانة من قِبَل المفصلة السفلية، كانت الحيلة هي التحرك على الجوانب، ثم القفز على الحائط في وثبة واحدة.

مشيًا على طول غرفة الطعام بالكامل، مرورًا بالمطبخ وخلف الخزانة، وصل فين إلى ما كان يُشار إليه بفخر باسم المعبر: قناة مظلمة وهزيلة بلا نوافذ. كان اعوجاجها قصيرًا وحادًا، فإذا نظرت إلى الوراء بعد خطوة واحدة فقط لم تعد الغرفة الأمامية مرئية. بسبب خفة يد مهندس معماريٍّ ما، أصبح الكبير صغيرًا، وانهرس الوسع ليصبح صيقًا، واستحال الضوء سوادًا. كيف يمكن للعالم أن يتحوّل في خطوة واحدة؟ بعد أن فقد الراحة في غرفة الطعام، وقبل دخوله إلى جَمى غرفة نومه، كان هذا مطهرًا على أرضية خشبية متمائلة. كان مُحاطًا بفاصلٍ أفقيٍّ عالٍ يبعث على السخرية، ومَطْلِيًا باللون الأزرق النيليِّ القاسي. مشى هذا الخط الفاصل الخيبي الذي يبلغ قطره بوصتين على طول الممر قبل أن ينهار على نفسه مُشكلاً حَطًا متعرجًا مُروِّعًا.
كانت ثمة أماكن لجوء في هذه المنطقة غير المأهولة، مثل الحمام، والدش خلف الباب الأول، والمرحاض خلف الباب الثاني. ولكن عندما يعرّز الليل الظلام الداخلي، يصبح الصوت خبيثًا أحيانًا، كأنَّ صهريجًا عطشًا قد صار له هسيس أفعى. واليقين بأنَّ صوت تقطير صنوبرٍ لم يكن موجودًا من قبل يجعله يتصخّم. لا يمكن لغطاء بلاستيكيٍّ مُعلّق منقوش عليه حوريات البحر أن يمنع الشر من الاختمار خلف ستاره. فبينما تتراقص الحوريات مَرَحًا بين موجات

فيروزية، تحتكّ خطافات معدنية بقضيب الصدا في الأعلى وتنتظر فرصتها. غطاء الدش المشقوق في منتصفه تدلى من الصنابير. تساءل فين أين كان الرأس الذي يرتديه عندما حدث الشق. حتى في فصل الشتاء، لم يعد متهماً بالتلكؤ واستنفاد كل الماء الساخن.

إذا لم يلتفت يسارًا أو يمينًا، فقد كان يلزمه ست خطوات كاملة ليصل إلى غرفة نومه. كان الجدار البعيد خاليًا، وفكر مرة في شراء صورة لسيارة جاكوار حمراء طراز «إي-تايب». إلا إنه أمضى وقتًا غير متناسب على الملصق التالي، والذي كان صورة لأورسولا أندريس بالبيني. جعلته الابتسامة العارفة لصاحب المتجر يحمّر خجلًا ويغادر على الفور. كان سريره الفردي مغطى بمفرش أزرق اللون، مُطَرَّز بِعَزَلٍ قطنِيّ. كانت شراباته التي تصل إلى الأرض ممضوغة من قِبَل الكلب وغير متساوية، ومثل الجذور التي لم تعد قادرة على البحث عن الماء، ذَوَّت أطرافها واهترأت. كانت جدته قد أَحَصَرَتْه في الأصل من مسقط رأسها رينفرو في اسكتلندا عندما هاجرت مع زوجها في عام 1922. لم تصدق أن هذا الإرث الثمين أصبح لعبة للكلب.

- لو كنتُ أعرف، لَحَيَّطُ عِظَامًا في الأسفل وانتهيتُ من الأمر.

كان الجانب الأيسر من الخزانة يُفْتَحُ بالكامل حتى يصطدم بالحائط، ويُفْتَحُ ثلاثة أرباع الجانب الأيمن، حتى يصطدم بالسرير. إلى جانب ملابس المدرسة، احتوت الرفوف على زوجين من السراويل، أحدهما أبيض والآخر أسود، وكلاهما برباط، وأربعة قمصان، ثلاثة بأكمام قصيرة وواحد بأكمام طويلة. في المقصورة السفلية، وُضِعَ قميصان فوق بعضهما، على الرغم من أنه لم يكن بإمكانه سوى ارتداء قميص واحد. قامت جدته بحياكة ملابس يمكن النمو فيها، مُدَّعِيَةً أنها تدوم فترة أطول بهذه الطريقة. أراد فين أن يطلب من والديه بنطال جينز واسعًا أسفله، حتى لو لم يكن متأكدًا كم كان يريده واسعًا. ظَلَّت سَمَاعَةُ الأَسلاكِ المفردة فارغة في انتظار وصوله.

كان ثَمَّة قطعان قِيَمَتان للغاية مُخَبَّاتان في الخزانة. في ثنايا قميص جدته، محمّية في خزانة صوفية، كانت الأوراق التي تثبت أن كلبه الـ «كوكر سبانيل»⁽⁵⁾ كان أصيلًا. الحروف المطبوعة، والشعار المنقوش لنادي «كينل كلاب»⁽⁶⁾ في الزاوية السفلية أوحى بوضوح بأن ذلك كان مستندًا مهمًا. كانت ذات شأن قانوني. أعلنت بشكل قاطع أن الوالدين كانا: الكلب «ويلي صاحب الذيل المتأرجح والطلقات الست»، والكلبة «الإمبراطورة المُبَجَّلَة الأمتسيشي».

لم يرَ فين أية سخرية في جلب مثل هذا النبيل ابناً له اسم «بال». عبثت المربية ذات الشفتين المنتفختين بِرُقْع الكوع الجلدية في سترتها الصوفية الخشنة، وأشارت إلى أنه لا يزال ثَمَّة الكثير من المساحة المتبقية لملء الاسم، ولكنه تمسك بالأحرف الثلاثة.

قالت: «لا نبيع عادة لهيلبرو». مُحوّلة الصاحبة إلى مُشترٍ. حمل فين الجرو إلى صدره بكلتا يديه غير مدرك المجاملة الملتوية، وسألته والدته إذا كانت تقبل الشيكات.

كان الشيء المهم الآخر هو ساعة جده الذهبية من نوع «زينيث إيليت». أُهديت إليه يوم تقاعده، بعد خمسة وثلاثين عامًا من العمل مجربًا ومديرًا في مناجم ذهب «راند». ارتداها بفخر مدة أربع سنوات قبل أن يُنهبه السرطان وساعته معه. باتت تعيش الآن في كعب جورب الكريكت القديم الخاص بفين، تحت سرواله الداخلي. كان يتأكد من أنها لا تزال موجودة كل صباح، قبل تنظيف أسنانه بالفرشاة. كان قد وعد والدته بأنه لن يرتدي الساعة إلا عندما يبلغ الحادية والعشرين. كما تُرك لفين حربة جدّه في الحرب العالمية الأولى. ولكن جدته منعت انتقال النصل الطويل ذي الغلاف الجلدي.

- يكفي أن الرجال ما زالوا يريدون إطلاق النار وطعن بعضهم. لا يتعيّن علينا تذكير أنفسنا بأنه يمكنك فعل الأمرين معًا.

الصورة الوحيدة في الغرفة كانت لمهراج يتلاعب بثلاث كرات وهو يقف على قدم واحدة في منتصف حلقة سيرك. لم تُعجب فين الصورة، ولكن قيل له إنه من الوقاحة عدم تعليقها. عندما كان فين في سنّ السنوات الأربع في إجازة في بلدة «كنيسنا»، أعجب به رسّامٌ بدوام جزئي وقدمها إليه هدية، ووافق والداه. اختلط الطلاء الزيتي بشكل كبير مع الأكريليك، وشوّهت سكين لوح الألوان القماش. كانت صورة المهراج جانبية مع كرة برتقالية على قدمه، وأخرى صفراء في يده، وأخرى زرقاء تحوم فوق رأسه. كان يرتدي قبعة حمراء مُدبّبة مثل تلك التي يُجبرُ الأطفال الأغبياء على ارتدائها في زوايا الفصل ويديرون ظهورهم.

ضمنت شفرة السكين -غير القاطعة- للمهراج أنفًا مصفوعًا، ولم تضمن له عينًا. هذا عنى أيضًا أنه كان من غير الممكن جعل الكرات الثلاث مستديرة تمامًا. تساءل فين قلقًا: كيف يمكن لرجل أعمى أن يحافظ على هذه الأشكال غير المنتظمة في الهواء؟ وتساءل عما إذا كانت القبعة الغبية تعني أنه مُعاقب. والأسوأ من ذلك، بدا ذيل سترته أشبه بذيل حيوان، فهل كانت مجرد بدلة مهراج؟ هل سقط الذيل سهوًا؟ ما طبيعة الوحش الكامن في الداخل؟ من كان يُعاقبُ المهراج؟ أم الحيوان؟ وماذا سيحدث عندما تسقط هذه الكرات الثلاث أخيرًا على الأرض؟ وكلما حدّق أكثر ازداد دورانها وطوافها. كان يعلم أنه لا مفرّ من سقوطها. كان يعلم أن الرجل الذي يراقب خارج الحلبة سينفذ عقوبته الرهيبة. تمامًا مثل ساعة جده؛ فرغم أن الوقت قد توقف، لا شيء يمكن أن يوقف الشعور بالرهبة بشأن ما سيحدث بعد ذلك.

أفضل طريقة لتهدئة الذعر كانت أن يوجه نظره إلى اليسار قليلًا وعبر النافذة. كان ملعب الكريكت واستاد «واندررز»⁽²⁾ يقع بين جدار غرفة نومه

ومرائب ركن السيارات. حشر فين الساحة الشهيرة في مساحة مرصوفة بألواح خرسانية بعرض ستة أقدام وطول اثنين وعشرين قدمًا تمامًا. في السابق كان من الممكن أن تسقط رمية ضالة في حديقة «باردو»، ومع ذلك، لم يعد السياج الخشبي الذي يبلغ ارتفاعه أربعة أقدام يلعب دور حارس الوَكْت. لم يعد الياسمين يختلس النظر، ولم تعد ثمّة زهور صغيرة تنتظر أن يتم سحقها بينما كان يبحث عن كرته. هُدِمَت المنازل الستة كلها على هذا الجانب من داتشس كورت، وكان هناك مبنى من عشرين طابقًا قيد الإنشاء.

الجدار الضخم -الذي بُرِكَ دون طلاء وبلون رمادي أسمنتي- حجب كل شيء. لقد كان عاليًا لدرجة أن السيدة كابلان في الطابق الخامس اضطرت إلى إسدال ستائرهما. كانت تتناول الغداء عندما سألها رجل يرتدي قبعة من الصفيح على عارضة حديدية إذا كانت تريد المقايضة، وقَدَّم إليها واحدة من شطائره وهو يتقدم ببطء عبر نافذتها. شَرَحَتْ أنها كانت تتناول طبق اللحم المطبوخ المفضَّل لديها، أي إنه من الواضح أن المبادلة لن تتم. قالت: «على التقدُّم أن يلتزم حدود الأدب».

لم يكن ثمة ما يعوق مباراة «تيسست كريكت» في «حلبة مصارعة الثيران» الشهيرة. اضطرت إلى استخدام كامل طول حجرة التسخين حتى يتأكد من أنه يملك مساحة كافية ليتأهَّب للركض. اعتاد أن ينطلق من بابها ويجتاز اللوح الثاني ليَضْمَنَ مسارًا مناسبًا. كان الإنجليز مهذبين، ويُقَرُّون بالرميات الجيدة، أما الأستراليون، فكان لهم شأنٌ آخر. لم يمشوا، رغم حافة سميكة يمكن لأعمى القلب سماعها. تخلف عن اللعبة مجددًا، ولكنه صمَد مع ذلك. لم تتحقَّق العدالة حتى ضُرِبَت علبة الطماطم بقوة أطاحت بها. واستوعب الجمهور ما جرى وهم يقفون كأنَّهم جسد واحد. قَابَل الرامي التصفيقَ بإيماءة لطيفة ومسحة لجبينه. كان مُتَعَبًا ومُجَهَّدًا، إلا إنه كان مستعدًّا لضربة أخرى. كان قد وجد مساره وطوله، وأغرَّته حيلة القبعة تلك.

حين عاد إلى غرفته بعد أن هدأ الحشد وتَقَرَّحت يده من التوقيع، حدق فين إلى السقف. تتبع الشق في الجص وهو يتجه إلى الضوء، ثم استدار يسارًا. كانت أفكاره صعبةً جيدة، ومَلَأَتْ فراغًا، ولكن كان عليه أن يستمر في تصنيعها. قفز بال إلى السرير واستلقى بجانب سيِّده. عبث فين بأذنيه الطوبلتين مثل كل كلاب سبانيل، ورَبَّت على رأسه. قال فين: «مرحبًا يا أسلان».

Apartheid - الفصل العنصري.

آرتديكو: موجة تصميم شعبية بدأت في فرنسا ولاقّت رواجًا بين عامي 1920 و1939، وأثّرت على العديد من الفنون، كالعمارة والتصميم الداخلي والفنون البصرية؛ مثل الرسم والسينما. يجمع هذا الطراز الفني ما بين عدة مدارس، مثل التكعيبية والحداثة. بدأ هذا الطراز قبل بداية الحرب العالمية الأولى، وكان يمثل الترف والأناقة، وانحدر في أثناء الحرب العالمية الثانية ليتلاشى بعدها. تم تشييد معظم مباني إفريقيا ذات طراز آرتديكو خلال فترة الاستعمار الأوروبي، وغالبًا من قِبَل معماريين إيطاليين وفرنسيين وبرتغاليين.

لعبة تعتمد على بناء نماذج، انتشّرت في بريطانيا في بدايات القرن العشرين. "London Illustrated News" أول مجلة إخبارية أسبوعية مُصوّرة في العالم. نُشِرَ العدد الأول منها عام 1842، واستمرت حتى عام 2003.

نوع من كلاب الصيد.

The Kennel Club: المؤسسة الحكومية المعنيّة بشؤون الكلاب المنزلية في المملكة المتحدة، والأقدم من نوعها عالميًا.

استاد «إمبريال واندررز»، المعروف أيضًا باسم «حلبة مصارعة الثيران»؛ نظرًا إلى أجوائه المخيفة. يقع في جوهانسبرج، جنوب إفريقيا. تُلعبُ فيه مباريات «كريكت» بطرق مختلفة، منها «تيست كريكت».

أبهج

Enrapture

in-rap'tyer/ verb/

احتوت الشقة رقم أربعة في داتشس كورت على غرفتي تخزين. فبالإضافة إلى غرفة التخزين في غرفة الطعام، كانت غرفة النوم الرئيسية حيث يُخزنون والد فين، أو حيث يُخزن نفسه إن كان يومًا جيدًا. كانت هذه الغرفة متصلة مع الشقة، ولكنها عاشت أيضًا في كون مواز؛ فعلى الرغم من أنك تدخلها من المعبر دائمًا، فلم يعن ذلك أنك ستجد الغرفة ذاتها خلف الباب. سادَ أحلك ظلام هناك لأن الستائر كانت مُسدلةً غالبًا. ولكن الضوء كان في أسطع صورهِ حين كانت تُفتح. كيف يمكن للوهج اللطيف في الصالة أن يبهر ويؤذي عينيه في غرفة نوم والده؟ ذات مرة، كان الضوء المنعكس عن غطاء السرير اللامع قويًا للغاية، فاضطر إلى تغطيته بمنشفة. كانت الأشعة قد اندفعت عبر السرير، وتفجرت على مرآة خزانة الملابس وكهزبت الجدار البعيد. قال والده: «إشارةً من الآلهة! مُباركة للأمعاء! سأكون منتظمًا من اليوم فصاعدًا». لاحقًا في تلك الليلة، حين سمع والدته في المرحاض، أعلن والده بصوت عالٍ: «هكذا تكلم الرب».

احتوت الغرفة على سريرين مُفردَيْن مفصولين ببساطٍ زلق شبيه بالنمط الفارسي، الذي كان حسب تعبير المريض «مُصممًا ببراعة لقتل الكفار الغافلين». ووُضعت طاولتان متشابهتان بجانب كلٍّ من السريرين، ووُضع فوق كلٍّ منهما مصباح مغطى بكمة مخملية كستنائية. على غرار غطاء سرير فين، كان أسفل الكمتين شرابات، وكانت المتدلية منها على الجانب الأيمن محروقة. لبس المصباح الكمة مثل قبعة، مما تسبب في انحناء جدائل الخيط المربوط بإحكام مباشرة على اللمبة، وجعل الغرفة تفوح برائحة الخبز المحمص. رغم معرفة والده بذلك، فقد كان في حاجة إلى الضوء المباشر للقراءة. في بعض الأحيان تصبح الرائحة كريهة للغاية، فتنزع الكمة كليًا وتوضع فوق المنفضة الزجاجية مثل غطاء إبريق الشاي.

لو دخل شخص غريب الغرفة، فلن يلاحظ أيًا من ذلك في البداية. كان يُقتش العتمة ليتفاجأ بوحدة حائط ضخمة تُحيطُ الأسيرة بأقواس من كلا الجانبين، وتنتشر عبر الحائط، حيث يكون اللوح الرأسي للسرير عادة. الجلوس والاستناد خلفًا يعني لمسةً من «بريلكريم»⁽⁸⁾ أو «فيتالس»⁽⁹⁾ على العمود

الفقري لكتاب فهرنهايت 451، أو شبكة شارلوت. التَهَمَّت خزانة الكتب الهائلة كل ما في الغرفة. آلاف من الأسنان العمودية - بعضها ضيقٌ وبعضها عريض- تَاهَيْت لتتضم. أيُّ قلعٍ فردي كان يزيد الطين بلة، ويظلُّ الفم المجنون للعملاق ذي فجوة الأسنان مُنْتَشِرًا على كامل الجدار.

كَرِهَ فين القراءة لوالده وأحبَّها، كما كَرِهَ وأحبَّ غرفة نوم والده. لطالما كانت تُدعى غرفة نوم والده، على الرغم من أن والدته كانت تنام فيها أيضًا. طَوَّرُوا قواعد مع الوقت، تم الإعلان عن بعضها دون الآخر. تمسَّكت رموشه المُكَبَّرَة بالعدسات مثل الأرجل المنحنية للعناكب التي تنتظر الهروب بعيدًا. كان حجم عينيه شبيهًا بالرسوم المتحركة، والشريط اللاصق الملفوف بقسوة حول جسر إطارته ذات الحواف السميكة أضاف إلى الكاريكاتير فحسب.

كانت اللعبة متوقَّعة تمامًا؛ يعود فين من المدرسة أو من تمشية الكلب ويسمع والده يناديه. في بعض الأحيان كان يتظاهر بأنه لا يسمع، على الرغم من أن ذلك أثبت دائمًا أنه تَصَرَّفُ عديم الفائدة. يطوِّر المرضي حاسَّة سادسة حول حضور الآخرين. كان أسلوب التأخير الوحيد الناجح هو عرض صنع الشاي ثم إطالة العملية قدر الإمكان. بمجرد وضع الكأس على المفروش، كان على فين أن يتحرك إلى الجانب الآخر من السرير ويجلس على كرسيٍّ بذراعين مصنوع من الجلد المتشقق. جَعَلَ كتفيه على مستوى مسند الظهر يعني أن تتوازي ساقاه مع الأرض ويصبح باطن قدميه أمام ناظرِي والده.

- لقد كان رجلًا عجوزًا يصطاد بمفرده في زورق صغير في تيار الخليج، وقد أمضى أربعة وثمانين يومًا الآن دون صيد سمكة.

- الشيخ والبد... ب... بحر.

- حسن. فلنباشر من البداية ونر كيف سنُبلِي.

بعد أن تعرَّف على الكتاب، بات على فين الآن العثور عليه في خزانة الكتب الكبيرة وقراءته لوالده حتى ينام. والقول أسهل من الفعل؛ إذ لم تكن قامته طويلةً بما يكفي ليَطال الرفوف العلوية، لذا غالبًا ما تضمَّن البحث كرسي المطبخ الفورميكا، وموسوعة بريتانىكا. إذا كان الكتاب فوق رأس والده مباشرة، تَعَيَّن عليه خلع حذائه والوقوف على السرير. كلما تسلق الوسائد أكثر، ازداد ترهُّلها تحت ثقله. كما كان عليه أن يتوحَّى الحذر حتى لا تنزع قدماه العاريتان الأنبوب البلاستيكيَّ الرقيق الذي يزوِّد القناع بالأكسجين.

تستغرق القراءة ما بين عشر دقائق إلى ساعتين، حسب القصة نفسها والذكريات المرتبطة بها، وصحة المستمع. لعب فيندور مؤرِّد الكلمات، ولكن وجهتها لم تتبع قراره. ووجهات النظر تختلف؛ فهل رأى صياد همنغواي العظيم «يايكي ديماجيو» بالطريقة نفسها التي رآه بها رجل مريض في هيلبرو؟ تقرأ: «عَلِم الرجل العجوز الصبي أن يصطاد، وأحبَّه الصبي». ولكنك لا تعرف لماذا جعل هذا والدك يرفع رأسه ويحدق بعيدًا إلى المدى. أنت صوتُ الكلمات، ومع

ذلك لا يمكنك التحكم في وجهتها. لا تعرف لماذا يلتحم بعضها بقصة أخرى لا تقرأها. تظل مخلصًا للسطور أمامك، على الرغم من أن أفكارًا أخرى تتجمع في أثناء ذلك، ويُطلق سراح ذكرياتٍ ليست لك.

يعرف فين أحيانًا أن إيقاع قراءته هو ما يذهب بوالده إلى مكانٍ آخر وليست الكلمات. مثل الطنين المتواصل لراديو الترانزستور عند خفض صوته. اعتاد أن يراقب الوجه الهادئ وهو ينام ببطء خلف قناع الأكسجين، ويتخيل أن والده طيار «سبيتفاير»⁽¹⁰⁾. إيكو. فوكستروت. تانغو⁽¹¹⁾. تَمَّت المهمة.

ينبغي تكييف النوم تكييفًا وثيقًا في تلك الغرفة. صرير الكراسي، ومرور السيارات، وعاملو البناء الصارخون؛ كلهم ينتظرون تخريب السبات. ينبغي على الصدر المتقلص في البيجاما المخططة بالأزرق والأبيض أن يعلو وينخفض أكثر قبل أن يتمكن فين من الذهاب. يجلس بصبر ويواصل القراءة. على الرغم من أنه يحافظ على الوتيرة نفسها، فإنه يقلب الآن عشر صفحات أو عشرين في المرة الواحدة. سرعان ما تظهر نهاية الكتاب أمام عينيه المتعبتين. مال إلى الأمام ووجَّه الصفحة نحو الضوء، فأصبحت حواف الحروف حادة وواضحة.

سألت نادلًا وأشارت إلى العمود الفقري الطويل للسمكة الكبيرة التي باتت الآن مجرد قمامة تنتظر أن تندفع إلى عرض البحر مع المد: «ما هذا؟»
قال النادل: «تبيورن. سمكة قرش». كان قصده أن يوضِّح لها ما حدث.
- لم أكن أعرف أن لأسماك القرش مثل هذه الذبول الجميلة رائعة الشكل.
قال رفيقها: «ولا أنا».

وفي كوخه القائم أعلى الطريق، كان الشيخ نائمًا مرة أخرى. ظلَّ نائمًا على وجهه والصبي يجلس بجانبه يراقبه. كان الشيخ يحلم بالأشود.

لم يكن من السهل الخروج من الكرسي بصمت. يصدر الجلد العاري صريرًا على جلد الكرسي دائمًا، ولم يكن القفز خيارًا. كان على الإطار الصغير أن ينزلق مثل الثعبان، فانتهى الأمر بفين جالسًا على ركبتيه يصلي لتكون الهسهسة اللطيفة لأسطوانة الأكسجين قد غَطَّت أي أصوات غير مقصودة. كان من اللازم البقاء في تلك الوضعية فترة من الوقت، فنفاذ صبره قد كلفه الكثير في الماضي. كان الجسم الموجود في السرير يعي تغيُّر المساحة المحيطة به، وقد جعله الحركة الزائدة يرفع يده اليمنى وتُعيده إلى الكرسي.

إغلاق الباب عَنَى أكثر بكثير من مجرد إغلاق الغرفة. أصبح فين الآن حرًا من الجدران الأربعة، ولكن ليس من ذنب الهروب. هل يمكنه القفز بعيدًا عن الجدران، المحيطة أيضًا ومغادرة الشقة؟ لن تعود والدته من العمل قبل ساعتين أخريين، وإذا انتظر حتى ذلك الحين، يصبح الظلام أشدَّ من أن يسمح له بالذهاب إلى الحديقة. باستطاعة والده أن يصل إلى الحمام بنفسه، ولكنه قَصَلَ وجود شخص احتياطيًا. الزجاجة البلاستيكية السمكية الشبيهة بعش طائر

حَبَّكَ مكتمل وذيَّ مدخل أنبوبيّ، بالإضافة إلى غطاء السرير، كانا مخصصين لحالات الطوارئ فقط. كَثِيرًا ما قال والده: «من أجل الحفاظ على الكرامة، يجب الحفاظ على القدرة على الحركة». في الأيام الجيدة كانت عصا مشيه تستقر على كتفه مثل البندقية وهو يسير مبتعدًا.

أمعنت العينان المنتظرتان النظر إلى الكلب، وبقيتا تراقبان حتى حين كان فين يغني «إذا كنت ذاهبًا إلى سان فرانسيسكو» ويتخيل وضع الزهور في شعره. أمنا في عزلته، ترك فين وركيه تلتفان، وأصابه تنقر وهو يرقص وراء جرونديج. رفع صوت الراديو قليلاً مُتَوَهِّمًا أن ذلك يحوّل النظرات المُحَدِّقَة. جلس بال بلا حراك وغير متأثر بجانب حامل القبعة الذي يحتوي على رباطه المتدلي. ممزقًا بين الجسد الغافي في غرفة النوم والكلب المترقب، اتخذ قرارًا شبيهًا بقرار سليمان. قرر أن يقوم بتمشية الكلب حول الكتلة السكنية، وأن يقوموا بنزهة أطول عندما تعود والدته؛ ففي النهاية على الكلاب أيضًا أن تقضي حاجتها.

كانت الكتلة السكنية عبارة عن موقع بناء يعجُّ بالنساء الحوامل. إلى جانب البناء الضخم بجوار داتشس كورت، توجد أيضًا عيادة ما قبل الولادة وما بعدها، وعيادة أطفال في الجانب الأبعد. كانت كنيسة يهودية من قبل، ولكن المصلين الآن إما منتفخون وإما مقسمون إلى قسمين. حيثما نظرت تتجول النساء بدرجات مختلفة من العرض، أو يدفعن عربات الأطفال بين رجال سود أقوياء يغنون وهم يحفرون خندقًا لتوضع الأنابيب فيه. تمايلت المعاول مثل عصا قائد الأوركسترا. يسود الصمت عندما يتأنون في الأعلى، ثم ينقضون على الأرض الصلبة في انسجام تام. كان أجمل ما سمعته فين على الإطلاق ودون منازع. ولم يكن مفتونًا فحسب، بل مبتهجًا. جعل الصوت هؤلاء الأشخاص يتزامنون كأنهم آلة مثالية. عُراة حتى الخصر، أوحى مظهرهم بأنهم مقدّسون مثل جوقة كنيسة في أثناء نشاطها وعملها المقدّس.

فكر في نوم والده على همهمة قراءته غير السليمة. للكلمات هنا تأثير معاكس؛ هنا توقظك وتملؤك بالطاقة! هذه الكلمات لا تتلعثم، بل تطير. تمسك نفسها بشكلٍ مثاليٍّ في الهواء وهي تنزلق دون عناء. مثل الطيور في بحيرة «زو» حين تُحَلِّقُ وتحط في الوقت نفسه. تَدَكَّرُ دورانه غير المتناسق أمام الراديو، وتمنى لو كان لديه أيضًا مثل هذا الجسم مفتول العضلات؛ عندها سيصير بإمكانه هو الآخر أن يخلع قميصه ويربطه حول وركيه ويترك صدره يتأرجح في شمس الظهر المتأخرة.

يطلب منه رئيس العمال الأبيض أن يتراجع وإلا سيتأذى. كان يرتدي شورت رجبي أسود ضيقًا للغاية، وجوارب كاكي سميكة. وصل ارتفاع الجوارب إلى ما تحت ركبتيه، وطويّت إلى الخلف بدقة لتصنع حرفًا مقدار بوصتين. أبرز الحرف ربلتيه الهزيلتين. حتى عندما انحنى لمساعدة شابة على حمل عربتها فوق

الرصيف المكسور، لم تظهر عليهما علامة انتفاخ. شَكَرْتُهُ بخجل، ولكن كان لذلك تأثيرٌ مُعَاكِس. تَوَزَّدَت وجنتا رئيس العمال، وخلع قبعته وفرك حزام جلد النمر بإبهامه. أقلام الحبر الجاف الثلاثة في جيب قميصه الأيسر أَكَدَّتْ أَسْبِقِيَّتَهُ. تحقَّق مما إذا كانت ما تزال هناك، وَلَوَّح بحافظة أوراقه كالمروحة ليرَوِّح عن نفسه.

وَدَّ فين لو يبقى، ولكنه شعر أن وجوده يزعج الرئيس بطريقة ما، الذي يركل بفارغ الصبر الأنبوب الذي لم يتم مذهه بعد. ربما كان الكلب السبب. مع مغادرة فين، عَيَّر قائد فريق العمل الأغنية، وصارت الوتيرة أسرع بكثير الآن. كان ثَمَّة هتاف في منتصف الجوقة، وأدَّعى اثنان مَيَلَاتًا في كتفيهما قبل أن تعض المعاول التربة الصلبة. يتسمون جميعًا الآن، حتى مع زيادة الإيقاع. بين الضربات على الأرض، دُفِعَت الأوراق إلى الأمام بقصد غير بريء. لم يفهم فين الكلمات، ولكن من الواضح أن الأغنية الجديدة كانت تستهدف الرئيس.

- أ.. أ.. أخرق.

- أ.. أ.. أحمق.

لم يستطع فين منع نفسه من مطابقة التحية المتقطعة.

أدار جيمي اليوناني زلاجاته جانبًا، فصَرَّت حتى توقف. كان اسمه الحقيقي «فاكيس بابا ديمترو بولوس». عاش مع والديه في فندق تشيلسي قبالة شارع أورابلي مباشرة. عرف فين من مصدر موثوق أن اليونانيين -حَالُهُم حال البرتغاليين- لا يعرفون سوى كيفية إدارة مقاهي الزوايا. لذلك يشتهبه في أن جيمي يكذب عندما يقول إن والده مهندس. في محاولة لمحاكاة ثقة اليوناني، سحب فين سرواله القصير إلى الأسفل وحاول ارتدائه مثل محبي الجاز. كان جينز جيمي جديدًا تمامًا، ومزموماً تحت جواربه، وكان جسده متقدمًا بسنة أو سنتين عن عمره. وفقًا لجَدَّة فين، هذا مثالٌ نموذجيٌّ للأجانب القادمين من البحر الأبيض المتوسط، الذين يأكلون مخالب الأخطبوط ويلفون الأرز بورق العنب. كان جيمي رياضيًا، ويتمتع بثقة بالنفس كأنَّ الاختيار يقع عليه أولاً كل مرة وفي كل فريق. على عكس فين، كان لديه عضلات يمكنك رؤيتها بالفعل. ضغط صدره القميص فظهرت تفاصيله بوضوح، وملأت عضلاته ذات الرأسين كُمِّيهِ. كان جسده منحوتًا وقويًا بقدر ما كان رفيقه المقابل لِيِّنًا وهزيلًا. عَدَّل فين وقفته غير الصحيَّة، واعتَرَّتْه غيرُهُ من قوام جيمي القوي ومن الثقة التي يجلبها. كما إنه يخطئ في الكلمات، ولكن أحدًا لا يضحك على اليوناني.

- إنَّه الصبي الأخرق مرتديًا قميص المدرسة. زُرُّ خاص لربط الرقبة حتى الأعلى، وأكمام لربط اليدين حتى الأسفل. سَمَّر عن ساعديك! لم لا؟ تريد أن تكون متطابقًا أنت والكلب الأخرق؟ هو نتوء على رأسه بسبب عظمة إضافية أم ماذا؟

مجرد توجيه جيمي الخطاب إليه جعل فين يشعر بأهميته. على الرغم من وجودهما في الشارع نفسه فعليًا وفي الفصل نفسه، فإنهما لا يريان بعضهما كثيرًا. كادا يصبحان مقربين عند عودتهما من أثينا. كانت ثمّة دور سينما ليَعْرِفَهُ بها.

- لماذا تسمُّون هذا جهاز عرض سينمائي؟ و«ميلكي لين»⁽¹²⁾، لماذا اسمها ليس مكان بيع الثلجات؟ لا حليب في أي مكان؛ لا المحل ولا الممر. ولماذا «بيت اللحم»⁽¹³⁾؟ لا بيت في أي مكان. لا حديقة، لا شيء. وصلصة غدة القرد⁽¹⁴⁾؟ تأخذ قطعًا من القردة وتنشرها على شريحة اللحم؟ إفريقيا بلد وحشي، وحشي!

ضرب على صدره بقوة مثل طرزان غاضب ومتقرّز. الأهم من ذلك أنه كان بإمكان فين أن يظهر له أفضل الزوايا التي يجب أن يتخذها عند الانزلاق على هضبة ناجت. قدم عشب كيكوبو الشتوي الجاف والهشّ منحدرًا زلّاقًا مثاليًا. كل ما تحتاج إليه هو قطعة مسطحة من الورق المقوى وقليلًا من الشجاعة.

- من المهم أن تبقى عليها، وإلا سيصبح العشب ورق توالت على مؤخرتك. لم يمض وقت طويل قبل أن تضع قدرة جيمي في التعامل مع كرة القدم مسافةً بينهما؛ فقد كان قلب هجوم لامعًا، وكان فين حارس مرمى لا يختاره أحد إلا عندما يضطّرون. مرّر الجميع الكرة إلى جيمي. حاول فين التسكع معه عند الاستراحة، ولكن كلما لعبوا نسخة كرة القدم التي تتضمن خمسة لاعبين لم يصل إليه قط. طرقت باب جيمي في فندق تشيلسي مرة. فتحت الباب والدته - التي كانت ترتدي ملابس سوداء بالكامل - وقالت إنه لم يعد من المدرسة بعد. رأى فين حقيبة جيمي بجوار شجرة المطاط وفهم الأمر. شكرها على أي حال، وصرّفته بتلويحة بيدها.

نأى عنه منذ ذلك الحين. افتقد مشاركتهم الطعام في الاستراحة الثانية. مما أثار عجبه أن صندوق الغداء اليوناني غالبًا ما احتوى على المكسرات، وعادةً اللوز، والبسكويت المغطى بغبار أبيض كثيف. لهذا، كان سيبادل بكل سرور كمية غير متناسقة من الخبز السميك المغطى بمرى المشمش، أو الدجاج المطبوخ الليلة الماضية، الذي يرشح في صلصة الطماطم.

انجذب الجميع إليه، حتى عندما لم يكن يركل الكرة، وأحبه كل المعلمين. كان بإمكانه أن يخطئ ثم يُلطف كل شيء بهزة من كتفيه وابتسامة. لم يعبه شيء، ولم يُسَخّف منه أي شيء. كان بإمكانه أن يرشّ الكلمات في كل مكان دون أن ينزعج أحد.

- حسنا يا أخرق، يجب أن أذهب.

- أنا أيضًا.

- ربما في المرة القادمة آخذ كلبك. لماذا؟ لل جذب على الزلاجات مثل كلاب
ألاسكا. نداء البرية. تنزلج وتنزلج.

شاهد فين اليوناني يقفز عن الرصيف ويهبط مباشرة أمام سيارة قادمة.
فُويلَ البوق الغاضب بتلويحة مبتهجة وتحية مفرطة في العفوية. صرخ سائق
سيارة فوكسهول خلف حاجب الريح دون أي هدف. كان الجاني نقطة متوارية
في مرآة الرؤية الخلفية.

بمجرد أن تجاوز فين عربات الأطفال التي كانت جميعها مركونة بأناقة على
بلاط الكنيس القديم ذي الشكل الماسي، ثم انعطف يسارًا، لم يكن الطرف
الخلفي من الكتلة السكنية مثيرًا للاهتمام. كل شيء كان مخنوقًا بالقطران، أو
محشورًا وخانعًا تحت حجارة الرصف المربعة. حَمَت حلقات معدنية ضخمة
قواعدَ الأشجار من ذلك البحر الجديد من المواد الصلبة. هنا تشبثت دوائر من
التربة بجذوع أشجارها مثل ثقب سداة سوداء في انتظار تصريف أمطار
الصيف. لم يكن للطبيعة مكان على الرصيف. كان لا بد من القضاء على
النباتات البرية والخصلات الخضراء. وانتشرت أقاويل حول تركيب عدّادات
موقف السيارات، وحرست أعمدة فولاذية الأقواس المطلية حديثًا، التي تحدد
مكان وقوف السيارات. رأت جدته -التي لم تتعلم القيادة مطلقًا- أنه من غير
المعقول أن يتم محاسبتك على إبقاء سيارتك ثابتة.

حين التفَّ حول الكتلة السكنية، كانت الشمس منخفضة، ودُفِعَت يده إلى
جبهته مثل قِمة قبعة. كان لا يزال في تلك الوضعية عندما أغلق السيد
ترينتبريدج باب سيارته. لم يستطع فين أن يرى، ولكنه سمع أصوات مفاتيح
السيارة في الهواء. أمسكها حين كانت بارتفاع خصره.

- ماذا؟

- اخرج!

على الرغم من أن فين لم يعترف بذلك، فقد جلس على الدرج خارج داتشس
كورت لانتظار وصول الرجل. توخَّى السيد ترينتبريدج الدقة في مواعيده؛
فكان يصل إلى المنزل قبل الجميع دائمًا. اعتاد أن يقول إنه يحب أن يسبق
الجماهير الصاخبة. كما عَمَّرَه فخْرٌ كبير بسيارته، وكان في حاجة إلى تأمين
مكان في المقدمة ليركنها حيث يمكنه مراقبتها. «ليست مجرد فورد كورتينا،
بل 1500 جي تي مارك 1». تولى السيد ترينتبريدج القيام بمعظم الحديث، مما
لاءم فين. كان دائمًا ودودًا ومتحمسًا، وقالت والدته إن تلك حال الباعة. «يمكنه
بيع الثلج للإسكيمو في الشتاء». ثم قالت: «انظر إلى السعر الباهظ الذي
يجعل الناس يدفعونه ثمناً لأحذيته المستوردة تلك».

- كيف الحياة إذن يا صغير؟

- جيدة.

- هذا جيد!

شعور فين بتأنيب الضمير جعله لا يعترف أنه يتمنى لو كان والده مثل السيد ترينتبريدج؛ وجهه بشوش، وشعره مرتب وكثيف. بدا لائقًا وصحياً، ودائم التبسّم. عطر ما بعد الحلاقة الخاص به كان برائحة البحر والنجاح، ووصف نفسه بأنه رجل في حركة دائبة وطموح. كانت لديه ابنتان صغيرتان، وتساءل فين سِرّاً عما إذا كان يرغب بابن. كان دائماً يلقي بالأشياء عليه، ولم تكن الفتاتان ماهرتين في إمساك الأشياء. ذات مرة خلال مباراة تيس، أطلّ السيد ترينتبريدج من سُلم الحريق وعرض أن يرمي الكرة. سجّل فين خمسين نقطة مذهلة. قال السيد ترينتبريدج: «يا للعظمة! ربما يجب أن تفكر في الاحتراف». لم تكن بنتاه تعرفان كيف تقومان برميات عابرة للملعب.

أثار قلقه أنه في الليلة التالية للمباراة راوده حلم بأنه يتيم، وأن السيد ترينتبريدج سعى لتبنيه. كما هي الحال دائماً، كانت سُتْرُهُ متطابقة تماماً مع ربطة عنقه، واصطَفَت قمم الجبال البيضاء الثلاثة لمناديله فوق جيب صدره بمحاذاة بعضها. وعَدَتَه البطة الطائرة التي كانت دبوس ربطة عنقه برفعه إلى حياة أفضل في مكان بعيد، كما حملت رئيسة دار الأيتام -التي كانت ترتدي زياً أبيض- مضرب كريكيت لترسيخ سِلْطَتِهَا. سألت عما إذا كان السيد ترينتبريدج ينوي القيام بعمل مُتقن، والذي أكد بدوره أن الصغير سيجد حياته الجديدة مثالية، وأقسم على ذلك، وقال: «سيحصل على حذاءٍ أفضل أيضاً». استحالت سيارة كورتينا بطريقة سحرية سيارة ذات سقف متحرك. في أثناء ابتعادهما في السيارة، نبح بال سعيداً وحاول مضغ الريح.

- حسناً، أعتقد أنني يجب أن أصعد إلى حبيبتي والطفلتين.
- نعم.

- إنها ليلة تناول السمك، ولا تحب السيدة المُهابة أن تنتظر أحداً.
- نعم.

- هل ما زلت تتدرب على رَمِيَةِ الذراع اليمنى؟
- البطيئة منها.

- حسناً يا صغير، حين يضمُّونك إلى فريق «سبرينغ بوكس»، تذكر أنك وعدت بأن أكون وكيلك.

قفز الدرجات الثلاث الخارجية، واندفع نحو البهو، ثم استدار.
- وتذكّر، الهدف هو حلمٌ له موعدٌ نهائيٌّ. نابليون هيل.

فتح فين باب شقته بهدوء قدر الإمكان، ونزع الرسن عن بال. التفت روابط السلسلة المعدنية بعناية حول وسادة الأريكة لضمان التفافها بصمت. دخل على أطراف أصابعه إلى المطبخ، وملاً وعاء ماء الكلب. انتظرت فقاعة المشمع بالقرب من المغسلة. لم يكن ثمة سببٌ لمُلاحَقَتِهَا حتى تصل إلى الزاوية ووَضِعَ سلة المهملات فوقها، ولكنه فعل ذلك على أي حال، وكانت تلك غلطة؛ فبينما كان يحاصر الهواء المتضخم برفق، صَغَطَت قدمه على دَوَّاسة

السلة، وُفُتِحَ غطاؤها على مصراعيه كما لو كان يأكل ما تم وضعه تحته للتو. تمايل، ثم انغلق مصدرًا صوتًا. كان الارتطام خافتًا وكافيًا في الوقت نفسه. أذعن بال لما يجري، وركض على الأرضية الخشبية والتفَّ حول نفسه تحت طاولة الهاتف. نادى والده بصوت مرتفع فجأة. دفع فين باب غرفة النوم مُتَرَدِّدًا. كان الجسد المُخَطَّطُ باللونين الأزرق والأبيض جالسًا منتصبًا، ورأسه متوجَّه نحو بعينين واسعتين مُتَرَقِبَتَيْنِ.

- تقع قرية هولكومب على سهول القمح العالية غرب كانساس، وهي منطقة منعزلة يطلق عليها البعض من سكان كانساس اسم «هناك».

- بدم بارد.

- على بعد سبعين ميلًا إلى الشرق من حدود كولورادو.

- قلتُ بدم بارد.

- جدُّه إذن.

Brylcreem: علامة تجارية بريطانية لمنتجات تصفيف الشعر الرجالية.
Vitalis: بلسم شعر من منتجات علامة تجارية أمريكية.
Supermarine Spitfire: طائرة حربية بريطانية ذات مقعد واحد، استخدمتها القوة الجوية الملكية بالإضافة إلى العديد من دول التحالف في أثناء الحرب العالمية الثانية.
"Echo", "Foxtrot", and "Tango": حروف من الألفبائية اللفظية لدى حلف شمال الأطلسي، ويقابلها بالإنكليزية بالترتيب: E, F, T.
Milky Lane بمعنى ممر الحليب؛ متجر بيع مثلجات وحلوى في جنوب إفريقيا.
Steak house: بمعنى مطعم شرائح اللحم.
Monkey gland sauce: صلصة معروفة في جنوب إفريقيا. توضع على شرائح اللحم بشكل أساسي، ومن مكوناتها البندورة، والبصل، والثوم، والخل، والسكر.

Gullible

guleb'el/ adjective/

آمن فين بأهمية الكلمات، وحاول معاملتها باحترام. كان يعلم أنه إذا تم فهمها وترتيبها وإيصالها بشكل صحيح، فستحمل قدرًا كبيرًا من القوة والمعنى. فهم تمامًا كيف أن بعض الكلمات المُختارة والمصفوفة بشكل أفضل من سواها تخلق مسارًا أقوى. ومع ذلك، واصَلت الكلمات تديبر المقابل له. ظَلت تختبره طوال الوقت، وتنتظره مع دلو من الماء المتوازن ريثما يدخل عبر الباب. كان معجم «تشانمبرز» القرن العشرين الذي ورثه عن والده مرجعًا دائمًا، رغم أنه لم يكن ذا فائدة في كثير من الأحيان. كان العثور على المعنى الفعلي للكلمة أمرًا، وكيف يختار الناس أن يُحَرِّفوه حتى يفقد شكله كان أمرًا آخر تمامًا.

لم يساعد أن فين كان يتلغثم بشدة. كان يتلغثم كل مرة تقريبًا عند حرف (S)، وغالبًا عند حرف (P)، وأحيانًا عند حرف (B). تَرَقَّبته الكلمات نفسها هناك، متأنيةً وغير قابلةٍ للنطق. مثل المِظَلِّي الذي تلقى الضوء الأخضر، ولكنه لم يستطع إخراج نفسه من الباب. على الرغم من أن الكلمة قد خرجت من الدماغ، فإن الحرف الأول من تلك الكلمة سيصطاد قطعة آلية تدور في الطريق نحو الأسفل. كان يشعر بشفتيه ترددان الكلمة بلا صوت بينما يحدق الناس محاولين استخدام أعينهم لاستحضار حوار.

لم يكن فين متأكدًا أيهما أسوأ: لعبة التخمين تلك، التي عادةً ما تكون حسنة النية، أو قاسية أحيانًا، أم كتل الصمت التي غالبًا ما تجلُّ بشكلٍ لا إرادي قبل أن يتمكن من الكلام. الصمت في حالة كهذه يعني الغباء، وعدم القدرة على الرد على سؤال. حتى لو كانت الإجابة بسيطة بنعم أو لا. في الأيام السيئة، كان كل حرف يهرب فيما يشابه لعبة الغمضة. في بعض الأحيان كان يعد إلى عشرة، وأحيانًا إلى المئة، ومع ذلك لم يتمكن من العثور عليها. وما كانت ثمّة فائدة تُرجى من الابتسام لكسب الوقت، بل كان ذلك يؤكد أنه أحرق القرية فحسب.

أسوأ ما في الأمر كان عندما تتوقف الدوائر الكسولة لمسطرة السيدة سميت فجأة وتشير إليه. من لم يكن يعرف أن أول حاكم لرأس الرجاء الصالح هو سيمون فان دير ستيل؟ حتى إنه كان هناك -بالأسود والأبيض- في كتاب التاريخ خاصته، والمفتوح أمامه على مكتبه المدرسي. ومع ذلك، فإن الخوف من الفتح والإغلاق عند حرف السين امتد مع الصمت، لدرجة أنه طَلَب منه في

النهاية الجلوس. كان يعرف الجواب، استطاع رؤية الكلمات، ولكنه لم يستطع نقلها عبر الغابة الكثيفة في رأسه. وفي بعض اللحظات، في بعض الأيام، كانت الممرات تتشعب أكثر. قدّمت «هيتي هاتينج» الإجابة ضاحكة، وأدّت انحناءة صغيرة عند تلقيها مجاملة المعلمة.

لم تكن ثمّة حاجة إلى تأكيد غبائه من قبَل زملائه في الفصل، ومع ذلك، فقد تلقى ذلك من خلال ما سيعرفه لاحقًا فقط باسم عسر القراءة. كانت صفة «أبله» هي الأكثر استخدامًا لوصفه. وأي شخص يحول «كلب» إلى «ليك» في أثناء وجوده على السبورة يستحق ذلك بالتأكيد. لا عجب أن الطباشير قد انثُرِعَ من يديه بانفعال، وانتشر غباره الأبيض على نطاق واسع في أثناء سقوطه، وغطى حذاءه بينما كان يقف في انتظار أن يُسمَحَ له بالعودة إلى مقعده. كانت قراءته للكلمة بصوته الداخلي جيدة؛ لم يكن فيها قلبٌ من الخلف إلى الأمام، ولا صمت ولا تأتأة لينصبا كميًا له، كل ما في الأمر كان أنه في الوقت الذي وَصَلَتْ فيه إلى يده حَرَجَتْ بشكل غير صحيح. رأى تلك الغلطة أحيانًا، وأحيانًا لم يفعل. وعلى أية حال، إن حصل الأمر على الملأ فلا مجال للتصحيح، فالأخرق يظلُّ أخرق.

كانت ملاحظات المعلمة -المكتوبة بالحبر الأحمر في هوامش كتبه- هي نفسها دائمًا. كان تلميذًا غير مرتب، يجب أن يعطي مزيدًا من الإلتباه في الفصل. واصطَفَّت علامات التعجب مثل وخز دبوس غاضب لتسلط الضوء على إحباطها المتزايد. إذا كان يكتب بقلم الرصاص، فغالبًا ما كان يفرك الورقة حتى تُثَقَبَ لتصحيح تهجئته. إذا كان يكتب بالحبر، كانت تبدو الصفحة وكأنها منطقة حرب، بسكك حديدية للعبور، ونقاط حبر تترك حفرة في كل سطر تقريبًا. كلما ازداد ذعره كان يكتب بخط أصغر؛ فتصبح التصحيحات على كلماته وجمله غير قابلة للفهم. غالبًا ما كان يُفسَّر هذا بأنه نوع غريب من المكر، وحيلة لن تقع المعلمة فيها.

كان يتوق إلى النجوم الفضية والذهبية لهيتي هاتينج وفيرنون ماك آرثر. كان يحسدهما من بعيد على الانحدار المثالي لخطهما، وبياض صفحاتهما التي لا تشوبها شائبة. خلق إحساسهما بالسيطرة -الشفهي والمكتوب- فجوة لم يستطع تجاوزها. عندما كتب فيرنون ماك آرثر رسالة حب إلى مارجريت والاس ووقعها باسم فين، عَرَفَتْ على الفور أنها لم تأت منه. قالت: «إنها أنيقة للغاية. لم يُشَطَب أي شيء أو يُكْتَب بطريقة خاطئة». عرضتها عليه لتأكيد أدلتها الجنائية. وافقت إيماءة رأسه على أنه لا يستطيع الكتابة بهذه الطريقة. على الرغم من أن سهم الحبر عبر قلب الحبر الذي يربط اسميهما معًا اخترق صدره بوضوح كافٍ.

إن كانت الكلمات تختطفه عندما يحاول التحدث أو الكتابة، فقد كان سلوكها أفضل بكثير عندما يقرأها في عقله؛ إذ تدفقت هناك دون أن تصطدم بأي

شيء. في الواقع، في بعض الأحيان وُهِبَتْ سرعةً وحياءً خاصةً بها. مثل التحليق فوق هضبة ناجت على صندوق من الورق المقوى، تسارعت حتى صار بالكاد يستطيع السيطرة عليها. مَرَّت الكلمات سريعة أمام ناظره، غير واضحة، لكن يمكن التعرف عليها. تمكّنت من البقاء على اتصال بالجمل فحسب، وبالكاد تَشَبَّهت بالفقرات. تدفقت الصفحات للتحوّل إلى فصول، وظهرت النهاية فجأة مثل السيد أوتيس وهو ينغلق مصدرًا صوتًا.

غالبًا ما كانت الكلمات تغادر الصفحة وترتد بهدوء كما لو كانت على خيط مطاطي، فيميل فين إلى الوراء ويعطيها فرصة للاستقرار. أَحَدَتْ وقتها وهي تنجرف في تلك المناطق الحرارية السحرية التي يتم إنشاؤها بطريقة ما بين المؤلف والقارئ. لقد أحب هذه اللحظات؛ إذ كانت دليلًا على الحياة الأخرى القائمة بين الكلمات المكتوبة والكلمات المقروءة. مع كل حرف يعوم إلى أسفل، كان يبدأ مرة أخرى، ولكنه أبطأ قليلًا؛ إذ لم يشأ أن يُتعبَ القصة دون داع. لذلك قرأ باستمرار، مدرّكًا أن لديه مكانًا ليضع فيه. كان من المريح معرفة أنه ثَمَّة مكان آخر ليلجأ إليه. عندما سمع مصادفةً فيليب دينتون، الذي حاول دائمًا التحدث مثل أخيه الأكبر، يصفُّه بأنه «أغبي ما خُلِقَ منذ طائر الدودو المنقرض»، ويقترح أن السجق في شطائر مدرسته لديه دماغ أكبر من دماغه، كان بإمكانه دائمًا استدعاء هولدن كولفيلد⁽¹⁵⁾. كان يعلم أنه يمكنه العودة إلى المنزل إلى رواية «الحارس في حقل الشوفان» والعثور على شخص آخر «يُخفي حقيقة أنه متادٌّ».

ومع ذلك -حتى في رأسه- واصلت الكلمات ألعابها معه. وكلما قرأ أكثر، ازداد فهمه بأنها غالبًا ما تحمل معنى يتجاوز تفسيراتها الرسمية والمنشورة. كان والده قد نعته بالساذج، فبحث عن الكلمة واضطر إلى الموافقة. مَوَّهت الجمل نفسها عمدًا، وأدَّت الاستعارات إلى تحريف فصول بأكملها، ولم يكن أي شيء يتعلق بالبالغين مثلما يبدو. لم يستطيعوا قول ما يقصدونه قط، كانت ثَمَّة أسرار دائمًا، واحتوت كلماتهم على أجزاء مخفية. إذا قالوا الشيء مبتسمين، فعادة ما يقصدون العكس تمامًا. قالت مبتسمة: «بالطبع، باب شرفتي سيكون مُقفلًا الليلة. كما إنك لن تتمكن أبدًا من تسلق الشجرة للوصول إليها».

تجلى ذلك بوضوح في حالة الأنسة زيلدا هيلوك في الشقة الثالثة والأربعين. عندما انتقل إلى داتشس كورت، راقبها فين باهتمام. كان بالكاد يبلغ من العمر ثماني سنوات. بالإضافة إلى كونه ساذجًا، كان يميل إلى أن يكون حَرْفِيًّا للغاية. وبينما كانت تسير عائدة من المحلات التجارية، انتظر أن تنهار. لم يكن متأكدًا كيف سيحدث ذلك؛ قد تنخلع إحدى ساقيها، أو ربما تسقط ذراعها فجأة. على أقل تقدير، كان يتوقع أن تترك قدمًا وراءها فيتوجَّب عليها أن تعرج في طريق عودتها لإحضارها. وحين لم يحدث هذا مع مرور الوقت، ازداد اهتمامه. تمشية

الكلب - التي خطّط لها بعناية لتتزامن مع عودتها من السوبر ماركت - أظْهَرَتْ من قرب أنها بَدَتْ قوية بما يكفي. ليس هذا فقط، فقد ابتسمت ولَوَّحَتْ، ومع مرور الوقت دَخَلَتْ معه في محادثة، وتَفَهَّمَتْ خجله المتلعثم، ولم تتسرع لملء صمته. أفضل ما في الأمر أنها صَحِكَتْ كثيرًا، وعادة ما كانت تضحك على نفسها. كان حرق الخبز المحمص ثلاث مرات متتالية أمرًا فكاهايًا للغاية، وكذلك عثورها على قطتها في سلة الغسيل. وحين طلبت شريحة لحم نصف مطهوّة، كان ذلك هِسْتِيرِيًّا.

على الرغم من أن زيلدا كانت تعمل في أحد البنوك، فإنها أطلقت على نفسها اسم «حرة الروح» و«طفلة الستينيات». لم يعرف فين ما يعنيه ذلك، ولكنه أحب ما رآه. أطلقت عليها معظم النساء في داتشس كورت أسماء أخرى. قالت زيلدا إن هذا كان «متوقّع الحدوث»، وسألته لماذا يجب أن تكون حافية القدمين وحامل وفي المطبخ. لم يجد فين المذهول أي سبب وجيه. قالت: «رائع!». ورَبَّيْتُ شعره.

ومع ذلك، كلما امتنعت حالتها عن التظاهر أكثر، ازدادت قناعة فين بأنها كانت تتصرف بشجاعة وتخفيها. مثلما أخبره جده أن إصابته بالسرطان كانت عُسْرَ هضم يصبح شديدًا في بعض الأحيان. بحث عن علامات مرضها من كل زاوية، ولكنه لم يجد شيئًا. ومع تزايد ارتبائه، ازداد خوفه من حدوث شيء فظيع لها، تمامًا كما حدث لجده. بدأ الأمر يؤثر على نومه. تخيلها متناثرة في شقتها، ويدها تمزج في القدر على الموقد بينما تتراقص قدمها في الصالة على أنغام الموسيقى، التي قال الجميع إنها كانت عالية جدًا. بعد شهر من القلق، قرر أنه عليه أن يسألها. حاول إخفاء مخاوفه عبر الاستلقاء بشكل عفوي على غطاء محرك سيارة كورتينا في أثناء مرورها. سألت زيلدا عما إذا كان قد آذى ظهره، فجلس على الفور واستفسر عما إذا كانت بخير.

- لماذا؟

- مجرد سؤال.

- لكن لماذا؟

ساد صمْتُ طويل وهو يتلعثم ليجد الكلمات. كان قد تَدَرَّب على ذلك عدة مرات في رأسه، ولكن الجملة تبعثرت. كما انتظرت عدة حروف سين بابتسامة متكلفة. تنفّس بعمق. بدا أن زيلدا لم تكن مستعجلة على الإطلاق.

- تقول بعض النسب... س... س...

بعد تجاوز العقبة الأولى غَيَّرَ رأيه، وقرر إعادة بناء الجملة: «كنت أتساءل إذا كان باستطاعتي المساعدة في جميعك».

- عفواً؟

- يقولون إنك تعانين من كونك امرأة خليعة. يقولون أحيانًا إنك خليعة جدًا.

ابتسمت زيلدا وَقَبَّلته على جبهته: «الفطائر في الطابق العلوي إذا كُنْتَ مهتمًّا».

عندما روى فين القصة لوالده، اتسع منحنى فمه العلويّ متجاوزًا الحافة البلاستيكية الضيقة لقناع الأكسجين، وظل هناك بعض الوقت. قال: «أنا سعيد لسماع أنها متماسكة ومترابطة بشكل جيد».

- الآن... أغلق السيد جونز صاحب مزرعة مانور الباب الخارجي للحظائر كما اعتاد أن يفعل كل مساء، إلا إنه كان ثملًا للغاية، فنسي أن يعلق الحظائر المختلفة لجميع حيوانات المزرعة.

عرف فين الكتاب، إلا إنه لم يرغب بالانتقال إلى القراءة بعد. كان لا يزال في فمه مزيج مثالي من القرفة والحلاوة الغنية. وقت زيلدا بوعدھا، وفتحت باب الشقة رقم ثلاثة وأربعين، فاستقبلهما على الفور طبقٌ من الفطائر الطازجة ذات الرائحة اللذيذة على طاولة المطبخ، وبجانبه علبة خضراء وذهبية من شراب «لايل» السكريّ المركز.

كان يعرف المصق جيدًا، فقد قرأه عدة مرات مثل كتاب. استلقى أسد على جانبه، وطنَّ نحلٌ حول معدته.

سألت زيلدا وعيناها الخضراوان مفتوحتان بشكل مبالغ فيه: «هل سيستغرق هذا وقتًا طويلًا؟»

كانت السكين مترددةً بعض الشيء في البداية، حتى أمسكت بيده وجعلته يغرقه بشكل أعمق في الذهب اللزج السميك. ثم لقاها بشكل لولبي ووضعها جانبًا بيدين خبيرتين. صنعا معًا تصميمات معقدة على دوائر العجين المسطحة، وأحب الطريقة التي حنَّه بها على الحصول على المزيد ليُدلِّل نفسه. كان قد تعلم العكس؛ أن أخلاق الضيف الحميدة تستدعي ألا يستغلَّ المضيف إطلاقًا، وأنَّ ضبط النفس أمام الإغراء هو الشرف الأسمى. تغلبَ على إحساسه بالذنب وأخذ فطيرة ثانية، إلا إنه رفض الفطيرة الثالثة برصانة.

- اجتاز الفناء على ضوء مصباحه المتراقص، وخلع حذاءه عند الباب الخلفي لبيته، وسكب لنفسه آخر ما تبقى في برميل الجعة، و...
- مزرعة الحيوانات.

- إلى اليسار. الرف الثالث إذا لم أكن مخطئًا.

على الرغم من أن والده كان يمتلك آلاف الكتب، لاحظ فين أن خياراته تنضال. سابقًا، بدا أنه ثمة مئات الكتب التي كان عليه أن يتذكرها، وقد انخفض العدد الآن إلى عشرين تقريبًا. لم يعن ذلك أنها كانت مشكلة فعلية لفين. على الرغم من كل المشكلات البنيوية في رأسه، كان بإمكانه أن يتذكرها، ولكنه لم يستطع نطقها أو هجاءها جيدًا. اعتاد والده أن يقول له: «تلعلم ما شئت».

«لا أنوي الذهاب إلى أيِّ مكان، والممارسة هي الطريق إلى الإتقان». كان يحدق إلى السقف بتركيز عميق، بينما تتلاشى الكلمات وتتذبذب في جميع أنحاء الغرفة. وعندما يلفظ أخيرًا كلمة صعبة أكثر من العادة، كان يتنفس بعمق ويغمض عينيه لحظة. «الحمد لإله المفردات. لا تقلق بشأن الترنج، فقد تجاوزت خط النهاية».

لعل معاناة فين في الكلام ذكَّرت والده بحياته؛ فقد غادر إنجلترا حتى تتحسن صحة والدته المريضة في مناخ دافئ. على الرغم من ذلك، وفي غضون أيام، دخل في مدفن في البحر، حيث أخذها السُّلُّ والأطلسي. هبط إلى البرِّ ومعه صندوق قبعاتها في كيب تاون، وإصرار على الوصول إلى جوهانسبرج، مدينة الذهب. بذكائه وعزمته، أقتع نفسه بالحصول وظيفه في شركة سمسرة، كما استدعى الواجب والإمبراطورية البريطانية. لقد هُزِمَ في البداية من قبل «روميل»⁽¹⁶⁾ ثم انتصر عليه في النهاية. استغرق الطيار القادم من شمال إفريقيا خمس سنوات للعودة إلى مقعده الجلدي الفاخر في البورصة.

ومع ذلك، فقد بدأت روحه تتأرجح. كان قد شهدَ وجَّرب الكثير، لذا كان من الصعب حبسه مجددًا في مكتب صغير، حتى لو كان لديه هاتفان وسكرتير. قرر الطيار وسمسار الأوراق المالية المهاجر أنه ينبغي أن يكون مزارعًا، ووجد فرصته في عرض المكتب الاستعماري لمساحات شاسعة من الأراضي الزراعية مقابل «شيلينغ واحد وستة بنسات» في روديسيا الشمالية. عملاً بقصيدة كيلينج⁽¹⁷⁾: «احمل عبء الرجل الأبيض.. ابعث أفضل سلالة.. ارحل واربط أبناءك بالمنفى.. لخدمة حاجة الأسرى». ولكن ما قاله عن آسيا كان صحيحًا أيضًا بالنسبة إلى إفريقيا: «آسيا أكبر حجمًا وعمرًا من أن تتحصَّر على غرار أساليب الغرب».

دفعت رياح التغيير والده إلى جوهانسبرج. كل ما كان باستطاعة فين تذكره هو أن بال الأول -الذي كان كلبًا كبيرًا وأسود من سلالة ريدجباك- اضطر إلى البقاء. وعلى الرغم من تقييده بعربة، فقد طارد شاحنتهم، أميالًا ربما. جالسًا على حجر والدته، استدار فين وراقب الكلب وهو يتقدم عبر الغبار الأحمر. تقافزت العربة خلفه، وكانت تنقلب أحيانًا في الهواء قبل أن تُجَرَّ مرة أخرى على جانبها. في النهاية، أدارت والدته رأسه برفق نحو الزجاج الأمامي بكلتا يديها.

ربما تجد الحياة التي تتلغثم دائمًا طريقة لجعلك مريضًا. كل التوقف والبدء، وكسر الإيقاع، لا يد من أن ينطوي على عواقب. كم مرة يمكنك تغيير الاتجاه قبل أن تفقد التوجُّه؟ ما هو عكس الانسياب؟ ومهما يكن ذلك، فهل تسبب في تحوُّل الوخر الصغير المختبئ في قلب والده منذ الطفولة إلى حفرة؟ بحلول الوقت الذي كان يحاول فيه أن يصبح سمسارًا للأسهم للمرة الثالثة، كان ينفد منه الهواء. وعلى الرغم من أن المضخة هي التي أحدثت تسربًا، فقد أثرت

بطريقة ما على رثيته، مما أدى إلى إنتاج مزيج عنيد خاص عندما يكون مصحوبًا بالصداع النصفي.

في محاولة ماهرة لتسهيل قراءته، ابتكر فين قاعدة جديدة: إن رأى كلمة آخر الجملة وعرف أنه سيعاني معها، يمكنه تغييرها، بشرط ألا يلاحظ والده. ولكن إذا تم رصد هذا الانعطاف اللفظي، فسُترقَ يدُ على الفور من غطاء السرير. مثل سائق السيارة الضال بعد أن يوقفه شرطي مرور، كان على فين إعادة الكلمة الصحيحة وركنُها في الجملة. في رواية «أبكِ أيها البلد الحبيب»، تم القبض عليه مدعيًا أن الطريق المتموج عبر التلال، والأجمل من كل الأغنيات التي كتبت عنه، امتد مس... مس... سافة ثمانية أميال. «ليس حسب عَدَّاد المسافات الخاص بي». التفت الأميال الس... س... سبعة واستدارت في فمه مثل الطريق إلى قرية كاريسبروك، ولكنه وصل إليها أخيرًا. إلا إن الانتقام رائع؛ فبعد خمسة أسطر بالكاد، تخطى «وادي أومزي مكولو» تمامًا، ومضى قدمًا دون عوائق. كان جسد والده يرمش وهو يراقب السقف، ومع ذلك عرف فين أن تفكيره كان بعيدًا جدًا. على الرغم من أنه كان يقرأ قصة، فإن ما قدّمه في الواقع كان أشبه بوسيلة نقل. كلماته المتعثرة مَثَلت عجلات جيدة بما يكفي حتى تُساق إلى مكان آخر.

كانت ثمة قاعدة أخرى تخصّه وحده، وتُنقذُ فقط عندما يصبح النوم في أعماق درجاته، أي عندما يتسرب المورفين ويجعل ذقن والده يغوص في صدره. جعل ذلك قناع الأكسجين الشفاف يسحب أنفه إلى أعلى، بينما يستقر القناع بين عينيه. كان فين ينزل بهدوء من كرسيه، ويتحقق من التنفس الثقيل من الرأس المتدلي، ثم يحدق إلى الأنف الشبيهه بأنف بوركي الخنزير⁽¹⁸⁾، ويهمس: «هذ... هذ... هذا كل ما لدينا يا رفاق!» سَمَحَتْ له الحالة الرحيمة تلك بخيارين: إما أن يتحرك ببطء نحو الباب ويغلقه خلفه، وإما أن يستأنف جلوسه ويلتقط الكتاب الذي كان يقرؤه مرة أخرى، ولكن حينها كانت تصبح الكلمات والقصة ملكه.

كان الكتاب في حضنه دليلًا ومرجعًا عامًا. لم يكن مقيّدًا بخطوطه، ولم تُخفه روايته. قرأ بصوت عالٍ عندها، وميلودراميًا أغلب الأوقات. شخير والده الثقيل وإطلاقه للريح من وقتٍ إلى آخر أضاف إلى المشهد المسرحي. لَوَّحَ فين بذراعيه وشدَّ قبضتيه. كانوا قد شاهدوا مسرحية «تاريخ شكسبير» في قاعة الاجتماعات استعدادًا للمسرحية المدرسية، وسَخِرَ الجميع من التمثيل. ولكن فين أحب العيون الواسعة للغاية، وملامسة المعصم للجبهة، وتمثيلات المبارزة بالسيف، وكان البالغين صاروا في برنامج كرتون يتصرفون فيه مثل الأطفال ويتبادلون تراشق المفردات المُتممّة. مهما كان ما يقرؤه، صار يؤديه بحماسة مماثلة. إذا عانى مع الكلمات أو لم تعجبه الشخصيات، كان يغيرها. إذا كانت القصة بطيئة أو مملة، أو إذا لم تُرضه بأي شكل من الأشكال، كان يغيرها أيضًا. قرر من سيفوز، وعظم أبطاله بمدح شغوف وافتتان حماسي،

بينما عانى اللثيمون، والجشعون، والأشرار من عواقب وخيمة. باختصار، كان يفعل ما يشاء، في أي وقت يشاء.

قَبَّصَتْ عليه والدته وهو منسجم تمامًا. استدار ليجدها تقف عند الباب المفتوح. لم تكن لديه أية فكرة كم بَقِيَتْ من الوقت هناك. رَبَّتَتْ على مئزرها وَعَدَّلَتْه كما لو أن بعض الكلمات قد تناثرت عليه أيضًا.

- العشاء جاهز.

أراد أن يشرح أكثر وهما يتناولان فطيرة الخوخ. عندما كانت شوكتة تنغمس في البطاطس المهروسة وفي اللحم المفروم، أراد أن يقول إن غرفة النوم تلك عبارة عن سجن وملاذ، وكيف أنه لم يشعر قط أنه أقرب وأبعد عن والده مما كان عليه عندما كان يقرأ له، كيف أنه في بعض الأحيان -عندما تسبب الكلمات والقصص ضحكة مكتومة وابتسامات- يكاد الجسد الذي على السرير يصبح أبًا له، وأحيانًا أخرى -بغض النظر عن كيفية قراءته أو ما يقرؤه- يظل الجسد بلا حراك. ولكن كالعادة، لم تُسَعِفْه الكلمات.

الراوي والشخصية الأساسية في رواية الحارس في حقل الشوفان، وهو مراهق يبلغ من العمر سبعة عشر عامًا.

إرفينروميل: جنرال ألماني، وأحد وجوه الحرب العالمية الثانية. يُلقَّب باسم «ثعلب الصحراء». كتب روديارد كيبلنج قصيدة «عبء الرجل الأبيض» بمناسبة اليوبيل الماسي لحكم الملكة فيكتوريا. تدور القصيدة حول الحرب الفلبينية الأمريكية (1899 - 1902) ويحتُّ فيها الولايات المتحدة على استعمار الشعب الفلبيني ودولتهم.

Porky Pig: إحدى شخصيات برنامج «لونز تونز» الكرتوني.

سبوتنيك

Sputnik

sput-nik/ noun/

قال العم إد: «كانت والدتك رائعة الجمال». ثم صَحَّحَ خطأه وأضاف: «ما زالت كذلك». لم يكن العم إد عمَّ فين الحقيقي، ولكنه دعاه بذلك. كان اسمه الكامل إدوارد، الذي بدا أنه يتناسب أكثر مع ستراته وأزرار أكمامه، كما تناسب مع رأسه، والذي احتوى على أكثر الفروق الجانبية ميلًا في العالم. كان العم إد أصلع، باستثناء شريطين ضيقين يبدآن عند صدغيه، ثم يتلاشيان عندما يتحركان نحو مؤخرة جمجمته. بالإضافة إلى ذلك، التفَّ ما لا يزيد على بضع عشرات من الشعيرات فوق مساحة مصقولة من جانب إلى الآخر. كانت تلك الشعيرات الناجية سببًا في دقة الفرق الجانبي غير المعقولة. وبتباعد متساوٍ، دارت حول رأس إد في نصف مدار، مثل مسارات سبوتنيك التي شاهدها فين في مجلة لايف.

وقد سمع من جدته أن العم إد كان «لطيفًا» مع والدته، على الرغم من أنه تنحى بشجاعة عندما فاز بها والده دينيس. دار الجدال طويلًا حول ما إذا كان ذلك سيرًا حكيماً للأحداث. قالت جدته للعممة أيدا: «عندما تصبح الحياة حالكة السواد، فلا يمكنك الاعتماد على رجل كثير الكلام. على أية حال، صار الأمر طيَّ النسيان، لذا الآن ليس الوقت المناسب ليُصلح حياته كيفما اتفق». التقى دينيس العم إد في مدرج طائرات مصري خلال الحرب العالمية الثانية، وبقياً صديقين مقربين منذ ذلك الحين، وكان الدليل على ذلك موجودًا على الخزانة الجانبية في غرفة الطعام. أبرز الإطار الفضي بوضوح صورةً بالأبيض والأسود. ارتسمت على وجه دينيس ابتسامة عريضة، ووقف بجانب عروسه الجميلة، في حين حاول إشبينه -الذي فقد الكثير من شعره بالفعل- أن يقوم بمثل ذلك.

عندما سمع فين أن العم إد «سيُخلَّق في فضاء الوحدة»، كاد يسأل بغباء عما إذا كان يمتلك طائرته الخاصة؛ فقد كان طيارًا في الحرب في النهاية. ظل فين منكبًا على واجباته المدرسية، وانحنى قليلًا إلى اليسار وانتظر توضيحًا. قالوا إنه لا ينبغي العبث في شؤون القلب، حيث أكدت جدته أن الحب ليس معادلة رياضية، وإذا كان «أ» يحب «ب» فلا يعني ذلك بالضرورة أن «ب» يحب «أ». وإذا كان «ب» يكن مشاعر لـ «ج»، فليس بيد «أ» حيلة، حتى لو كانت الحقيقة

هي أن «أ» كان شريكًا أفضل لـ «ب». وافقت العمه آيدا، ودفعت قطعة رقيقة من كعكة الفاكهة بين شفثيها الحمراءين مثل ظرف ينزلق في صندوق بريد. نظر فين إلى «أ» في صورة الزفاف. كانت يدها معقودتين خلف ظهره؛ إذ لم يجد فائدة لهما، مما شَدَّ ذراعيه بشكل مستقيم ودفَع صدره بالبدلة مزدوجة الأزرار إلى الخارج. لَفَّ «ب» و«ج» أذُرْعَهُمَا حول خصري بعضهما البعض بعيون واسعة ومترقبة نقرة الكاميرا. على الرغم من اصطاف الحروف الثلاثة على مسافة متساوية من المصور، كانت ثمة فجوة واضحة بين «أ» و«ب». لم تكن كبيرة جدًّا، ولكن فين أدرك أنها كانت كبيرة بما يكفي لتتداعى حياة عمه بأكملها.

كانت ميراييد سيدة كبيرة ومهيبية. لم تكن تعتذر عن طولها أو تخجل من عرضها. لم يُسَمَّحَ إلا لأصدقائها الأكبر سنًّا بمناداتها باسم «ماي»؛ لذا لم يستخدم حفيدها هذا الاختصار. تُرَكَّت لفين مهمة فهم جدته بمفرده. كل ما كان يعرفه حقًّا هو أنها غادرت غلاسكو في قارب بعد «الحرب العظيمة الغبية» بقليل. سافرت في الدرجة الثالثة مع زوجها، واكتشفت عند وصولها أن دوار البحر الذي كانت تعاني منه كان غثيان الصباح أيضًا. سنوات سمعها تُوصَفُ بأنها اسكتلندية منغلقة. تصوَّر أنها من عشيرة تسكن مرتفعات إقليم هايلاند، وتصنع أبوابًا للمداخل، أو تسدُّها في حالتها. ولكن عندما ظهر القس كلاي بورن بشكل مفاجئ، أدرك أن ذلك كان سوء فهم آخر. قال والده إن زيارته كانت سابقة وأنها بقليل ما لم يكن يريد إقامة الطقوس الأخيرة. أجاب القس بأنه ليس كاثوليكيًّا. دفع هذا والده إلى القول -بمجرد مغادرته- إنه وجده منغلِقًا قليلًا. سأل فين عما إذا كان قادمًا من اسكتلندا أيضًا.

- لا، إنه من كوتسو ولدز أصلًا. لم تشعر قط ركبته الشاحبتان الناتئتان - المَحْنِيَّتَانِ دائِمًا في خدمة الرب - بلمس ترتان الإزار الخشن.

رغم انغلاق ميراييد، لم يكن ثمة شك في أنها كانت لطيفة مع العم إد. قالت إنه «بارع في الشؤون المالية»، مشيرةً إلى أن دينيس لم يكن كذلك. لقد استخدمت براعتها في الخبز سلاحًا هجومياً للتعبير عن مشاعرها تجاهه. كانت تُجَسِّدُ عاطفتها باستخدام الزبدة والدقيق والخميرة والسكر الناعم. حاولت أن تحرص على تزامن زيارتها مع زيارته. عندما لم يحدث ذلك، تُتْرَكُ علب صفيح مختومة من الكعكات والبسكويت بالزبدة، باسمه مكتوبًا بأناقة على الشريط اللاصق. بعد أن لعب سلسلة صعبة للغاية من مباريات تيست كريكييت ضد الأستراليين، تناول فين قطعة من البسكويت.

كان قد عاد إلى المنزل من المدرسة بعد ظهر يوم الثلاثاء ليجدها جالسة على طاولة غرفة الطعام. لم يكن يوم الثلاثاء يومًا معتادًا للزيارة. وباعتبار أن ميراييد كانت تجد أسعار تذاكر الحافلات باهظة، كان يعلم أنها سارت على طول الطريق من قصر إيفانهوي في جويبرت بارك. حتى لو اتخذت الطريق

الأهون عبر هوسبيتال هيل بدلًا من شارع ناجت، فقد مشت ساعة مُرهقة في الشمس. وُضِعَت علبة البسكويت بالزبدة على الطاولة، وارتدى الغطاء على ظهره بلا حول ولا قوة. تسبب هذا في انعكاس حاد للضوء عن سطحه الفضي، مما جعل ذقنها الواهي في الظل. لم تقل جدته المتوهجة شيئًا وهو يضع حقيبته المدرسية ويحضر كوبًا من الماء. وحين عاد فين، لم تكن قد تحركت شبرًا واحدًا. تساءل منذ متى كانت جالسة هناك.

- من الأفضل أن أتحقق مما إذا...

- إنه بخير.

لم تقل شيئًا أكثر من ذلك، ولكنه كان يعلم أن الكرسي المقابل لها هو مكان الجلوس الوحيد المتاح. بعد أن ألغى والده كمصدر لإلهاء مُحتمَل، التفت إلى كلييه. ظل بال تحت منضدة الهاتف، وفتح إحدى عينيه، ثم تظاهر بالنوم. بعد أن تخلت عنه جميع الجبهات، جلس على الكرسي وحاول أن يتنسم.

- هل هناك ما يُضحكك؟

- لا.

- وَقَعْتُ سرقة.

لم يقل فين شيئًا. كان يعلم أن التوتر سيجعله يتلعثم بالتأكيد. بالإضافة إلى أنه لم يستطع التفكير في أي شيء لن يؤكد جرمه على الفور. ظن أنه قد أغلق العلبة بشكل مثالي. كان خطؤه هو التقليل من شأن حاسة جدته السادسة وحساباتها الكالفينية للغاية. لم يبدو أنه سيجد خلاصًا في الاعتراف أو الإنكار، فاكتمى بأخذ آخر رشفة من مائه والتظاهر -عابسًا- بأنه مرتبك حقًا.

- كيف تجعل الدائرة مربعًا؟

هَرَّ كَتْفِيهِ.

- أخبز بسكويت الزبدة في صينية مربعة، ثم أقطعها إلى أصابع بعرض بوصة واحدة وطول ثلاث بوصات، فكيف يمكنني وضعها في علبة دائرية؟ ساد الصمت. حاول أن يشرب الماء الذي لم يعد في الكوب.

- أضعها أفقيًا متقاطعةً في وسط العلبة، وهذا يترك مجالًا لستة مستويات حتى تمتلئ العلبة. ومع ذلك، نظرًا إلى طبيعة المربع والدائرة، فإن هذا يسبب فجوة في كل جانب. وأضع ثلاث أصابع عمودية من بسكويت الزبدة في هذين الفراغين. ناتج ضرب اثنين في ثلاثة كان يساوي ستة عندما كنت في المدرسة. هل جرى تغيير في جدول الضرب ترعَّب في إعلامي به؟

فكَّر فين لحظة، ثم هَرَّ رأسه. دَفَعَت جدته علبة القصدير ببطء نحو جانبه من الطاولة، فحدق إلى دائرة البسكويت. صار لون حواف بعضها بُيَّيًّا أعمق من سواه في أثناء الخبز. «هل ترمز هذه إلى أجزاء روحه التي أحرقها الجشع؟»

- ثلاثة زائد اثنان يساوي؟

- خ... خ... خمسة.

- بالفعل.

أدى الصمت الذي عقب ذلك إلى تضخيم الصورة فوق رأس جدته. على الرغم من أنها مجرد نسخة مُقلّدة لمنظر طبيعي بأسلوب «بيرنيف»، فقد لجأ فين إلى ظلّتها الهندسية من الأشجار، وحاول الاختباء في مستوياتها المسطحة وخطوطها الملساء. بينما كانت هناك، يدها التي استمدّت قوة غريبة من تجاعيدها، قَلَبَت الغطاء ببطء. بعد أن تحررت من وهجه، ابتلعها السحابة المظلمة المتورمة التي غَلَقَت السنط خلفها.

- هل ثَمَّة اسم على الغطاء؟

- إدوارد.

- إ، د، و، ا، ر، د. هل تعتقد أنه ثمة أي التباس محتمل فيما يتعلق بصاحب محتويات العلبة؟

- لا.

- هل تعتقد أن للسرقه مقاسات؟ مثل الأحذية؟ وهل تعتقد أن السرقه الصغيرة ليست بخطورة السرقه الكبيرة ذاتها؟
عاد فين إلى الأشجار.

- وهل تستحق السرقه الصغيرة عقوبة بسيطة فحسب؟ أم لا شيء على الإطلاق؟ هل تقول الوصايا العشر «لا تسرق»؟ أم «لا تسرق كثيرًا»؟

كانت مظلة من خشب السنط، ذات أوراق أثخن في الجزء العلوي. صعد فين إلى أعلى مستوى ممكن، وحشر نفسه بين الأغصان المتقاطعة.

- ما يبدأ صغيرًا لا بد من أن يتطور إلى أشياء أكبر. إذا لم تقض عليه في مهده، أصبحت الحادثة الواحدة اثنتين، ثم أصبحت الاثنتان أربعة. يبدأ الأمر بقطعة بسكويت، ثم على حين غرة يتطور إلى الفكة التي تملكها والدتك، وتفاحة بائع الخضار، ثم إلى راديو الترانزستور الذي تريده، وفجأة يصبح سيارة. وتعدّ نفسك أنك ستسرق سيارة واحدة فقط، تمامًا كما فكرت حين سرقت قطعة بسكويت واحدة فقط. وسيغيب عن بالك تمامًا أن السارق يسلب نفسه أيضًا، يسلب قيمة ذاته وقدرته على النظر إلى عين أخيه الإنسان. يستحيل أن تسرق دون أن تسلب شيئًا من نفسك في الوقت ذاته. وبالتالي، كلما سرقت أكثر، قلت قيمتك.

مكسورًا ونادمًا، فشل فين في محاولة كبح دموعه.

قالت جدته: «وإذن؟» ثم سمّحت فجأة للكنتها بالظهور في كلامها: «يبدو أننا قبضنا على الفاعل».

يقول والده إنها تتحدث بالإنجليزية من خلال مزمار القربة حين تتحدث بلكنتها.

- يُسَعِدُنِي أَنْ أَلْقِي تَهْمَةَ السَّرْقَةِ عَلَى الْقَارِضِ الْهَائِجِ الَّذِي وَجَدْتُهُ عَلَى عَجَلَةِ الْهَامِسْتَرِ. وَلَكِنَّكَ رَجُلُ الْبَيْتِ الْآنَ، لَذَا احْرِصْ عَلَى الْإِلَاحِ عَوْدًا أَبَدًا. حَافِظْ عَلَى هَدْوَتِكَ وَتَمَاسِكِكَ. وَاضِحْ يَا صَبِي!

أَعَادَتِ الْغَطْلَاءُ بِكَلَّتَا يَدَيْهَا وَوَضَعَتِ الْعَلْبَةَ فِي حَجْرِهَا. تَوَقَّفَ فِينِ عَنِ الْبِكَاةِ، وَلَكِنْ عَيْنِيهِ ظَلَّتَا حَمْرَاوِينَ وَمُنْتَفِخَتَيْنِ. أَوْمَأَ بِرَأْسِهِ وَانْتَظَرَ الْإِذْنَ بِالْمَغَادِرَةِ. قَالَتْ: «تَجْرَأُ عَلَى أَنْ تَكُونَ صَرِيحًا، وَلَا تَخْشَى الْمَخَاضَ - رُوبِي بَرَنْزَ. أَعْتَقِدُ أَنَّهُ ثَمَّةٌ وَاجِبَاتٌ مَنْزِلِيَّةٌ تَنْتَظِرُ أَنْ تُنَجَزَ».

مَنْذُ مَرَضِ وَالِدِهِ، رَدَّدَ الْجَمِيعُ عَلَى مَسَامِعِ فِينِ أَنَّهُ عَلَيْهِ أَنْ يَكُونَ رَجُلَ الْمَنْزِلِ. وَمَلَائِهِ رَغْبَةٌ يَأْتِسُهُ لِئِنَّقَدَّ ذَلِكَ، لَكِنْ لَمْ يَمْلِكْ أَدْنَى فِكْرَةَ حَوْلِ الْمَفْرُوضِ فَعَلِهِ. قَرَأَتْ صَفْحَاتِ سُوقِ الْأَسْهَمِ؟ تَدْخِينِ الْغَلِيُونَ؟ حَلَاقَةُ ذَقْنِهِ؟ كَمَا قِيلَ لَهُ عَلَى الدَّوَامِ إِنَّهُ يَجِبُ أَنْ يَكُونَ هُنَاكَ مِنْ أَجْلِ وَالِدَتِهِ، وَأَيُّنِ يَقَعُ الْهَنَّاكُ؟ عِنْدَمَا فَتَحَ فِينِ كِتَابَ الْجُغْرَافِيَا الْخَاصَّ بِهِ وَشَحَذَ قَلَمَهُ، شَعَرَ أَخِيرًا بِالْأَمَانِ الْكَافِي لِمَغَادِرَةِ مَلْجئه وَالانضمامِ إِلَيْهِ تَحْتَ طَاوِلَةِ عُرْفَةِ الطَّعَامِ. وَإِنْ تَرَكْتَهُ مَشَاعِرُهُ تَجَاهَ جَدَّتِهِ فِي حَيْرَةٍ مِنْ أَمْرِهِ، فَلَمْ يُعَانَ مِنْ هَذِهِ الْمَشْكَلَةِ مَعَ وَالِدَتِهِ، فَقَدْ هَامَ بِهَا وَأَحْبَبَهَا كَمَا يَفْعَلُ الْأَبْنَاءُ. كَانَ مِنْ الْمَسْتَحِيلِ الْعَثُورَ عَلَى الْخَطَا. كَانَ يَعْبُدُهَا، بِالْمَعْنَى الْحَرْفِيَّةِ أَحْيَانًا. وَفِي أَحْلَاكِ لِحْظَاتِهِ، كَانَ يَصْلِي مِنْ أَجْلِهَا وَبِشِفَاعَتِهَا، وَأَحْيَانًا لَهَا. إِلَّا إِنْ هَذَا الْكَمَالُ خَلَقَ مَسَافَةً؛ فَقَدْ شَعَرَ فِينِ بِعَدَمِ الْاسْتِحْقَاقِ، بِأَنَّهُ مَعْطُوبٌ مِثْلَ وَالِدِهِ. كَانَ عَاجِزًا حَتَّى عَنِ الْكَلَامِ، وَنَحِيْقًا بِشَكْلِ مَوْلَمِ. «مَجْمُوعَةٌ مِنْ أَعْوَادِ الْبَسْكَوِيَّتِ الْمَمْلُوحِ الْمَشْدُودَةِ بِحِزَامِ حَوْلِ مَنْتَصِفِهَا». لَمْ يَجِدْ شَيْئًا يَشْبِهُ وَالِدَتَهُ حِينَ يَنْظُرُ إِلَى الْمَرْأَةِ. وَعَلَى الرَّغْمِ مِنْ وَجُودِ أَدْلَةٍ كَثِيرَةٍ تَثْبِتُ عَكْسَ ذَلِكَ، فَإِنَّهُ غَالِبًا مَا كَانَ يَنَامُ مَعْتَقِدًا أَنَّهُ تَمَّ تَبْيُّهُ. قَالُوا إِنْ الصُّورَ الْمَبْرَغْلَةَ بِالْأَبْيَضِ وَالْأَسْوَدِ الَّتِي تُقِطُّ فِي الْمَسْتَشْفَى كَانَتْ لَهُ. وَمَعَ ذَلِكَ كَانَ الْجِسْمُ الصَّغِيرَ مَلْفُوقًا بِالْأَغْطِيَّةِ، فَلَمْ يَمَيِّزْ شَيْئًا بِالْفِعْلِ.

مِنْ نَاحِيَةِ أُخْرَى، كَانَتْ وَالِدَتُهُ لَا تَشُوبُهَا شَائِبَةٌ فِي كُلِّ شَيْءٍ، بِاسْتِثْنَاءِ اخْتِيَارِهَا الزَّوْجَ وَالْأَبْنَ، وَازْدَادَتْ جَازِبِيَّتُهَا لِأَنَّهَا لَمْ تَعْتَرَفْ بِذَلِكَ قَطُّ؛ حَيْثُ قَابَلَتْ أَيْةَ مَجَامِلَةٍ بِالذَّهْشَةِ أَوْ الْإِحْرَاجِ، وَكَلَّمَا كَانَتْ مَلَابِسُهَا أَكْثَرَ احْتِشَامًا، زَادَ مِنْ جَمَالِهَا الْجَسَدِيَّ. كَانَتْ سَاحِرَةٌ بِتَنْوَرِهَا ذَاتِ الطُّولِ اللَّائِقِ، وَبِلُوزَتِهَا الْمُرَّرَّةِ دَائِمًا، وَوَشَاحِهَا الصَّغِيرِ الَّذِي كَانَتْ تَرْبِطُهُ عَلَى الطَّرِيقَةِ الْفَرَنْسِيَّةِ مَعَ عَقْدَةٍ عَلَى الْجَانِبِ. وَافْتِقَازُهَا التَّامَ إِلَى الْوَعْيِ بِالْفِتْنَةِ الَّتِي تَسَبَّبَتْ فِيهَا مَنَحَهَا هَالَةً مِنَ الصَّفَاءِ. حِينَ تَدَافِعُ آخَرُونَ وَوَصَلُوا إِلَى مُبْتَغَاهِمِ بِشِقِّ الْأَنْفَسِ، أَبْحَرَتْ هِيَ هَانَّةً، وَهِيَ تَقْدَمُ كُوبًا أُخْرَ مِنَ الشَّايِ أَوْ شَرِيبَةٍ مِنْ كَعْكَةٍ مَادِيرًا.

كَانَتْ هَذِهِ السَّكِينَةُ وَالْجَمَالُ الدَّخْلِيُّ بِسِحْرِ مَظْهَرِهَا الْخَارِجِيِّ ذَاتِهِ. وَزَادَ انْكَسَارَ زَوْجِهَا وَإِنْبَاهَا مِنْ صِفَاتِهَا الشَّبِيهِةِ بِمَادُونَا؛ أَمْرًا كَانَ بِاسْتِطَاعَتِهَا أَنْ تَحْطَى بِمَنْ تَشَاءُ، وَلَكِنْ انْتَهَى بِهَا الْأَمْرُ مَعَ هَذَيْنِ الْاِثْنَيْنِ. هَلْ يُعْلَى عَلَى هَذِهِ التَّضْحِيَّةِ بِالنَّفْسِ؟ كَانُوا قَدْ رَأَوْا جَمِيعًا صُورَهَا وَهِيَ تَخْبِزُ فِي بَيْتِ أَشْبِهِ بَعْشِ

نمل في مكان ما في براري روديسيا الشمالية. وأظهرت الصورة التالية في الألبوم أنها لا تزال تبتسم، مرتدية سروالاً قصيراً، خارج خيمة عسكرية قديمة. كم من الوقت عاشا على هذا النحو بينما يحاول دينيس صنع الطوب من رمال النهر وبناء منزل لهما؟ وذلك الثعبان الذي كان العمال يمسكونه متوترين؟ كان طوله ثمانية عشر قدمًا! تم قياسه سِتًّا وثلاثين مرة بواسطة المسطرة ذات البوصات السيِّد التي احتفظت بها لثُسَطْر مذكراتها. لم يكن بالإمكان رؤية الثقب في رأس الثعبان، ولكن الجميع عرّف أنه على دينيس أن يعيد تحميل مسدس خدمته قبل أن يصيب الهدف فعليًا.

كانت ثَمَّة وفرة في القمص التي تثبت صفاتها الشبيهة بالقديسين وصبرها الأبدي، وكانت أكثرها ترددًا على الألسن هي قصة دخول فين إلى العالم. وليس من المستغرب أنه كان يتأمر مع والده ليُجْعَل الأمر يتعثر؛ إذ كان قد تأخر أسبوعين تقريبًا. ولعل حدسه أخبره بما ينتظره، فقد اختار تأجيل وصوله أطول فترة ممكنة. كان المستشفى على بعد مئتي ميل على الطريق الترابي، لذا لم تكن الزيارات اليومية خيارًا. ولم تستطع أن «تنتظر» ببساطة، لوجود عمل يجب القيام به في المزرعة. كانت مسؤولة عن بطارية الدجاج والتوزيع اليومي لبيضها، الذي كان بدوره الجزء الوحيد من المزرعة الذي يجلب أي دخل ذا منفعة. وافق الطبيب على حل وسط يقتضي أن تُراجِع أسبوعيًا، وحرّر تحذيرًا شديد اللهجة بأنه عليها أن تتوجّه إلى المستشفى على الفور «إذا شعرت بحدوث أي شيء».

أما مسألة كيفية ارتباط «الفوري» بصِلَّة وثيقة بمئتي ميل من الطرق الترابية وشاحنة فورد، فلم تتم مناقشتها.

سمع فين القصة عدة مرات، وبدأ يتذكرها بنفسه. استحضر صوت والدته وهي تطلب من جام -مساعد المطبخ- أن يجلب السيد دينيس. وصل رجل يلهث من المريح وسأل عما إذا كانت ليل بخير. أجابت ليلي بأنها لم تستطع سماعه، واقترحت عليه نزع قناع سترة النحل. تردد في القيام بذلك؛ فقد كان ما يزال عليه عدة نحلات عند موضع عنقه، مما جعل جام يستجيب بقتلها بمضرب ذباب. وسمح هذا لليل بإخبار دينيس شخصيًا أن «شيئًا ما كان يحدث». قال دينيس إنه ربما يجب أن يترك آخر خليتين حتى وقت لاحق، وشعرت ليلي أن تلك كانت فكرة جيدة. عندما نظر والده إلى ساعته، كانت والدته تعلم أن شيئًا مهمًّا أضاء في ذهنه. لم يكن الوقت وقياسه على رأس قائمة أولوياته قط.

قال: «لقد اقترب الغسق».

- نعم.

- أضواء الشاحنة لا تعمل، ولَسْتُ متأكدًا من حزام المروحة، ولكن الدراجة النارية بخير.

حتى السيدة العذراء مريم لها حدودها. كان والده يتذكر دائمًا بمرح: «تحول الهواء إلى اللون الأرجواني»، وكان من الواضح أنه فخور بأنه جعل زوجته تُعربُّ عن سخطها أخيرًا. توقف جام عن كنس النحل الميت بمكنسته، ووضع راحته فوق أذنيه ونظر من النافذة. بمجرد نفاد أنفاس ليل، اقترح دينيس كوبًا من عصير البرتقال. وشرحت وهي تشدُّ على أسنانها أن العطش لم يكن شغلها الشاغل.

لو لم يستخدمًا سرجًا جانبيًا على الدراجة النارية، لاستخدمنا المقعد الأمامي لشاحنة الفوردي التي وصلت إليهما طازجةً من خط التجميع، وكانت رائعة الجمال بلا ريب، بلونها الأخضر العشبي، مع لوحات باللون ذاته. بدت شبكة الأسلاك وكأنها تتسم فوق المصدِّ الأسود الثقيل. ولكن أثر الوقت كان ظاهرًا عليها، فقد انتشرت على الطلاء المحروق أكزيما من الصدا بدأت عند الجزء العلوي وانتهت عند الباب الخلفي. على باب الراكب، كانت الحفرة البنية الصغيرة قد تجمعت معًا لتحدث ثقبًا في حجم قبضة اليد، فصار بالإمكان إدخال اليد وفتح الباب من الداخل في أثناء الوقوف في الخارج. في تعبير واضح عن التفاؤل الاستعماري، عندما تم بيع الشاحنة لهم، تم ذكر ذلك كميزة إيجابية.

قال البائع في شلالات فيكتوريا: «ليست بروعة شاحنة بنتلي ذاتها، إلا إنك لن تقودها إلى قصر باكنغهام».

قيادتها إلى ليفنجستون كانت التحدي. جلب جام وسادة تسمح لليل بإراحة جزء صغير من ظهرها على تنجيد المقعد المتقشر. كان على وشك المغادرة عندما وجد مصباحين يُدفعان إلى يديه. كان يعرف أنه ما من فائدة تُرجى من طرح الأسئلة في هذه المرحلة، لأنه كان متأكدًا من أنه لن يفهم الإجابة. بدلًا من ذلك، ذهب إلى الخلف للتحقق مما إذا كانت شطائر البيض المسلوق قد وُضعت في سلة النزهة. وجدها بجانب دورق الترمس المخطط باللونين البني والأبيض. رفعه ليتأكد من أنه ممتلئ، ثم وضعه بعناية في الفجوة وحشر مفتاح ربط على رقبتة لضمان بقاءه في وضع مستقيم.

لسوء الحظ، بدا أن استعادة ليلي رباطة جأشها أعطت دينيس الترخيص ليفقد رباطة جأشه.

- أريد كل الجوارب وسدهارتا! الآن! بسرعة!

تم اختيار جام بسبب صبره وقدرته على إنجاز المهمات. كان يدير شؤون المنزل بابتسامة لطيفة تتناقض مع مثابرتة المنهجية. لقد استمتع بحل المشكلات، على الرغم من أن الكثير منها كان من صنع الرجل الذي يقف أمامه الآن. لقد علّم هذا الرجل كيف يزرع الذرة وفول الصويا، وكيف يقتل وينتف ريش الدجاج، ومكان وضع خزان المطر، ولماذا لا يعد اللحم بالقرب من القش فكرة جيدة. حتى إنه ساعد في ولادة العجل الذي كانت وضعيته غير

ملائمة للولادة، ولكنه كان محتارًا بحق حينها. وقف هناك، ممسكًا بالمصباحين مرة أخرى، منتظرًا العثور على رابط منطقي قد يجعله يتحرك.
- جوارب! لا يهم إن كانت من الحرير أو النايلون. سدهارتا! إيجاد المعنى الفردي! هيرمان هسه!

كان من الواضح أن الرجل فقد عقله. حالة زوجته جعلت دماغه ينتفخ وينفجر. كانت على وشك الولادة، وأراد ارتداء جواربها. كما إن ذلك كان الدرج الوحيد الذي لم يفتحه مطلقًا. كان درج السيدات مملوءًا بأشياء لا يستطيع لمسها، أو حتى التفكير فيها. عند غسل هذه الأشياء، كانت تُنَشَّرُ على صَفٍّ آخر، وتخفيها النساء عن الأنظار بتعليق البطانيات على كل جانب. ومن هو سدهارتا؟ لم يكن يعرف مثل هذا الاسم. والآن ثمة رجل يدعى هيرمان أيضًا؟ أثار المصباحين، وكانا الوحيديين اللذين عملا كما يُفترض بهما.

فتح السيد المجنون غطاء المحرك وقفز كأن المحرك يلتهمه. نادى المرأة الحامل جام، ووضعت يدها برفق على كتفه، وأوصحت أن سدهارتا كتاب كان المجنون يقرؤه، وأنه على منضدة بجانب السرير. كما طلبت منه أن يجعل أبيضجل تجلب كل جواربها في كيس ورقي؛ إذ كان سيتعين عليهم استخدامها جزاءً مروحة مؤقتة في رحلتها إلى ليفنجستون. بعد أن تنفّس الصعداء، وضع جام المصباحين جانبًا وفعل ما طَلِبَ منه. كان سعيدًا عندما رأى عند عودته أن محرك الشاحنة قد بدأ يعمل ويستجيب للضغط الشديد على دواسة البنزين. انتشر دخان أسود في كل مكان، مما جعل بعض العمال يَهْلَلُونَ بعد اجتماعهم بشكل عفوي ليشكلوا حفلة وداع. ولكن ارتياحه لم يدم طويلًا. أفسحت ليلى مجالًا بجانبها وأعطته المصاييح مجددًا، وقالت: «أنت مصاييحنا الأمامية».

بينما كانت الشاحنة تتراخى وتندفع عبر بوابة المزرعة التي لم يكن لها سياج على أيٍّ من الجانبين، انحنت ليلى على جام ولوّحت من خلال النافذة، وعبر مرآة الرؤية الخلفية، شاهدت النساء يرقصن وهن يحملن أطفالًا خياليين بين أذرعهن. رصد دينيس كتابه أعلى لوحة القيادة وشكر جام، ثم قال: «يتكون الاسم من كلمتين باللغة السنسكريتية: (سيدها)، والتي تعني (تم تحقيقه)، و(ارتا)، والتي تعني (ما تم البحث عنه)؛ ومن هنا جاء اسم سدهارتا». عالقًا بين الباب والسيدة التي احتلت مساحة شخصين، كان كل ما باستطاعة جام فعله هو إزالة مقبض النافذة من ضلوعه والتحديق عبر الزجاج الأمامي.

التَهَمَّت الأميال الخمسون الأولى جوربًا واحدًا وابن أوى بانسًا ركض لسبب غير مفهوم في نفس اتجاه الشاحنة المائلة. اعتذر السائق كثيرًا، لكن لم يعرف أحد في المقعد الأمامي تمامًا إلى من وَجَّه تلك الاعتذارات. تحدث دينيس في مرآة الرؤية الخلفية كما لو كانت ميكروفونًا. ربما كان يعتقد أن ابن أوى -الذي انغرس في كل من العجلات الأمامية والخلفية- قد ترك عائلة

وراءه. اعتراه دَنْبٌ بالطرح من سلالة أخرى في الوقت نفسه الذي كان يحاول فيه الإضافة إلى سلالته. لتهدئته، اقترحت ليلي استراحة شاي.

اعتقدت أنه لن يكون من الحكمة لها أن تتحرك؛ لذلك بينما كانت ترتشف من الكوب المعدني، حاول جام إخراج ابن أوى بعصا، ووضّح لدينيس كيف بدأ الأمر كما لو أن العجلة الخلفية قد صار لها ذيل. لعل السائل -الذي لا يزال ساخنًا في الدورق المعدني المقاوم للصدأ- هو ما تسبب في حدوث الانقباضات الأولى. في كلتا الحالتين، جعلت الصرخة من الكابينة كلا الرجلين يتركان الذيل مكانه وبركضان إلى مقدمة الشاحنة. كانا قد تَرَكَا المحرك يعمل خوفًا من ألا يقلع، وواصلوا مسيرهم في غضون ثوان. أخذ جام الكوب من ليلي، وبَرَمَه على الجزء العلوي من الدورق. ليلي -بدورها- أمسكت بفخذه وغرزت أظفارها بعمق.

لم يكن حلول الليل على الطرف الجنوبي من شمال روديسيا عملية متجانسة؛ إذ كان الضوء يتباطأ مازحًا، وبتزايد الوهج الباهت شدة أحيانًا عندما يرتدُّ عن الغيوم، أو يشعل نارًا في الأفق، ثم يختفي. وكأنَّ زَرًّا ما قد أطفئ، ساد الظلام عميقًا حتى لا يمكن للمرء رؤية يده أمامه. اختفى أي أثر للطريق، فانحنى دينيس إلى الأمام كما لو كان الاقتراب من الزجاج الأمامي سيساعد. حصرهم السواد. أغلق نافذته، على أمل أن يزيد الهواء النقي من رؤيته بطريقة ما. رفع جام يد ليلي عن ساقه وأنار المصباح.

- تمهّل.

- لم تتجاوز سرعتي الثلاثين.

- تمهل وإلا ستسبب في حادث.

بينما كان الزوج والزوجة يتجادلان في الكابينة، وقف جام على اللوح بجانب الباب حاملًا مصباحًا في يده. لم ينفذ ذلك بشيءٍ على الإطلاق، باستثناء تقديم بعض الإضاءة غير المنتظمة ربما للسيارات القادمة في الاتجاه المعاكس. انحرفت السيارات عن مسارها مرتين في اللحظة الأخيرة لأنها أدركت أن المصباح الوحيد صادر عن شيء أكبر من دراجة. مع ارتداد الضوء وتمايله في كل اتجاه، صلى دينيس حتى يظهر القمر من بين خط الأشجار. بعد منتصف الطريق بقليل، ازدادت الانقباضات تكرارًا وشدة. نظرًا إلى أن فخذ جام كان بعيدًا عن متناول اليد، أصبح الإسفنج القديم والراشح للوحة العدادات الخيار الأفضل. ولأن خمسين ميلًا كانت تنتظرهم بعد، فقد انتشرت نُفُ الإسفنج في جميع أنحاء المقعد. كانت بطارية المصباح الثاني على وشك النفاد، ومع ذلك شعر جام أن خارج السيارة كان أكثر أمانًا. لم يكن ثَمَّة مكان له على أي حال. باتت ليلي الآن ممددة على المقعد الأمامي ورأسها في حضن السائق.

أنقذهم اكتمال القمر والسماء الصافية، وعدد كبير من جوارب زوجة المزارع. حين شعرت الإطارات بالقار تحت مدايسها، ألقت المباني الواقعة

على مشارف ليفنجستون ظلّالاً قمرية واضحة. كما أدى وصولهم إلى تدفق هائل من السوائل على المقعد، ثم على الأرضية. كان مصباحا جام قد انطفأ منذ فترة طويلة، ولكنه واصل رفع أحدهما في وجه الظلام بصورة رمزية، وأبقى عينيه مثبتتين نحو الأمام. تحدى دينيس جميع لافتات الأسهم بدقة، والتلويح المحموم للحارس الليلي وهو يقف في حديقة الورود في مدخل المستشفى. لم يسمح السقف المرتفع ودائرة الدوران العريضة للشاحنة بوصول أكثر هدوءاً تحت ظل الخيمة الأنيقة. كان الخبر السار هو أن كل هذا الضجيج أفضى إلى خروج طبيب المناوبة الليلية. ركض دينيس إلى جهة الراكب وفتح الباب مثل مُقَدِّمٍ برامج محموم يكشف عن ذروة عمله الرئيسي. قال الطبيب: «حسناً، لقد أنجزَ معظم عملي».

في صباح اليوم التالي تَظَّفَ دينيس الكابينة. تبعثرت حُصَلُ صفراء من الإسفنج في كل مكان. سوَّى قطعة وصنع إشارة مرجعية منها. وعلى الرغم من أنه قرأ منذ ذلك الحين سدهارتا عدة مرّات، فقد بقي الشريط الأصفر المضغوط دائماً في الصفحة 33، حيث رُسِمَ حَظُّ تحت الفقرة الأخيرة بالقلم.

«في تلك اللحظة، عندما ذاب العالم من حوله، عندما وقف وحيداً مثل نجم في السماء، غمره شعور باليأس الجليديّ، ولكنه كان أكثر حزماً من أي وقت مضى. كانت تلك آخر اهتزازات يقظته، وآلام الولادة الأخيرة. على الفور، مضى قدماً مرة أخرى، وبدأ يمشي بسرعة ونفاد صبر، دون أن يتجه نحو منزله بعد الآن، دون أن يتجه نحو والديه بعد الآن، دون أن يلتفت إلى الخلف بعد الآن».

الطليعية

Avant-garde

av'an-gärd/ adjective, French/

كانت عطلة نهاية الأسبوع، لذلك ترك العم إد أزرار أكامه في المنزل. ومع ذلك، فقد احتفظ بستره مزدوجة الصدر ومنديل عنق خمري حيث تكون ربطة عنقه عادة. قلب وصوله غير المتوقع كل شيء رأسًا على عقب. اعتذرت والدة فين مرتين لانشغالها في الأعمال المنزلية. ونتج عن ذلك مزيد من الإحراج عندما لم تجد أي شيء تُقدِّمه مع الشاي. كانت الشقة في فوضى عارمة، والمطبخ بالكاد نظيفًا، وكان بساط الممر لا يزال معلقًا على جدار الشرفة في انتظار الضرب.

كانت الساعة الحادية عشرة والنصف من صباح يوم السبت، وكان إدوارد يتنعم بتلك اللحظة. لم يلق نفسه في كثير من الأحيان في دور الضيف غير المتوقع؛ إذ لم تكن العفوية إحدى الصفات التي قد يُوصَف بها. كما لم يكن بالإمكان وصفه بالخباثة، ومع ذلك فهذا هو ذا يتصرف بصورة لعبوة لكن إيجابية. رفع ساقًا على أخرى وأنزلها مثل تلميذ نفذ صبره، مع ابتسامة ملتوية خجولة أظهرت غمازة واحدة على الجانب الأيمن من وجهه. غير قادر على احتواء حماسه، فَرَكَ رأسه كيفما اتفق، تاركًا القوس الأملس الطبيعي لشعره الفردي متقاطعًا ومتشابكًا.

- عليك أن تخبرنا يا إدوارد.

- ليس قبل أن يستيقظ دينيس.

- يا لك من شيطان!

رأى فين أنه من الغريب رؤية أحد شيوخ الكنيسة الميثودية المحلية والعاظف الرئيسي على الباريتون في كورالها يعتره مثل هذا الفخر لدعوته بالشيطان. مرر العم إد إصبعه حول مؤخرة منديل العنق، حيث ارتفعت درجة الحرارة في الغرفة فجأة. من تحت الطاولة، شاهد فين عمه يضغط على ركبته في محاولة لاحتواء حماسه. كان قد اختار هذا المنظور لأن مجموعة الميكانو الخاصة به كانت على الأرض على أي حال، كما سمح له ذلك بالتظاهر بعدم الاهتمام، فلم تعجبه الثثرة المرحية وشبه الحميمية بينهما. فَصَّلَ أن يظلَّ عمه أكثر خنوعًا. لقد كان ممثلًا مساعدًا، وليس نجم العرض. حطم الرافعة بساق الطاولة، وشاهد عجلة غطاء الرأس تتدحرج تحت اللوح الجانبي.

سأل العم إد كما لو كان فجأة مسؤولاً: «هل وقع حادث في الأسفل؟ هل نطلب سيارة الإسعاف؟»

كان مركز كل المؤامرات فوق الطاولة في صندوق كرتون مربع كبير، مغطى بدوره بورق تغليف لم يوح بالاحتفال بعيد ميلاد شخص ما ولا بعيد ميلاد المسيح. قرر فين أن ورق التغليف كان احتفالاً بـ «يوم لا شيء» سعيد. انطلقت نجومٌ صغيرة من بوقٍ وانفجرت في سماء زرقاء مثل مزيج من رسومات تينكريل الكرتونية وجاي فوكس⁽¹⁹⁾. حدّقت طيور صفراء ساذجة ذات عيون واسعة ومحلقة في ذهول، وأصاب أحدها ذهولٌ جعله يغطي منقاره ووجهه بجناحه. ما أزعج فين أكثر هو أن الوزن لم يتطابق مع الورق السخيف، حيث كان قد رأى أن ثقلها قد جعل كتفي عمه تميلان، واحتاج إلى كلتا يديه لوضعه برفق على الطاولة.

مهما كان الذي في الصندوق، فقد ازدادت أهميته مع انتظارهم والده ليتزحزح. أدى ذلك إلى فنان آخر من الشاي، و«محاولة إنقاذ سيئة» حين قُدِّمت أربع قطع بسكويت جافة في طبق جانبي. مدّ فين يده ليأخذ إحداها، ولكن أوقفته حلقة والدته الغاضبة وحاجبها المقوَّس، وقالت: «الزائرون أولاً». وزاد رفضُ العم إد البسكويت من غباء اللحظة. لمعاقبة والدته، كان عليه أن يرفض عرضها عندما عادت إليه. كان الصندوق يسبب مشكلات ولم يتم فتحه بعد.

قالت والدته: «أنا آسفة. كانت ليلة سيئة، اضطررنا إلى إعطائه المورفين.»

- صداع نصفي؟

- نعم، وكافح من أجل التنفس.

من تحت مفروش المائدة، شاهد فين والدته تشير إليه خلسة، ثم تضع إصبعها على شفيتها. أوما العم إد مُتَقَهِّمًا: «حسنًا، أنا متأكد من أنه سيكون أفضل بكثير عندما يستيقظ.»

فجأة، سمعوا طقطقة إبريق الماء ومصباح السرير يُنار.

- سيادته ينهض.

كان الروتين ذاته دائمًا بعد المورفين أو البيثيدين. تدخل والدته أولاً - لتجعل الغرفة آمنة-، دون أن تعرف ما ستجده خلف الباب المغلق. غالبًا ما كانت تكتشف جسده كما كانت قد تركته؛ مستلقيًا على ظهره وكُمّاه لا يزالان مرفوعين عنوةً عند مرفقيه بعظهما الظاهر، مما أظهر مهاراتها المتواضعة في التعامل مع الإبرة للعيان، والكدمات السوداء والبنفسجية منتشرة مثل القارات عبر ساعديه. قال ذات مرة وهو يحدق إلى أطلسه ذي العروق: «إفريقيا، لقد وضعت النيل الأزرق حتى في المكان المناسب». إذا شعر بالنعاس أو بالغثيان، كانت تعلم أن عليها مسايَرُّته، وإقناعه بلطف حتى يصحو تمامًا. كانت تهمس له حول الشاي الساخن والحمامات الدافئة، وإن كان يعلم

أن برنامج «اختبر الفريق» سيُذاع على الراديو الليلة، وإن كان بإمكانها أن تفتح الستارة نصف بوصة فقط، وأنه كان يومًا جميلًا، فهل يسمح له بالدخول؟ في أيام أخرى، كان للأفيون تأثيرٌ سحريٌّ أقوى. كان الجسد يجلس في وضعية مستقيمة، والوسائد مقدسة بالفعل على شكل العرش، والبيجامات مُرَّرَّة بأناقة من الياقة إلى الكف. عندما يُفْتَحُ الباب، غالبًا ما تكون هناك دعوة للرقص. عند سماعه أن بطاقتها ممتلئة، كان يلفف قلم الرصاص الذي وضعه مثل شاربٍ بدهاء، ويقول إنه سينقل اليخت إلى أنتيب غدًا، ويسألها إن كانت مهتمة بالانضمام إليه. كان الرد المعتاد هو أنها ستتنضم شرط أن تحضر والدتها معها. فيقول: «ربما مولان روح في وقت لاحق من الأسبوع، إذن؟» وتجيبه بـ «ربما».

مرت خمس عشرة دقيقة كاملة قبل دخول فين وإدوارد. حتى ذلك الحين، كان يرفض الخروج من تحت الطاولة، على الرغم من أن رأس عمه المقلوب رأسًا على عقب قد ظهر تحت القماش عدة مرات في محاولة لإجراء محادثة. كانت الستائر في غرفة النوم مفتوحة بما يكفي لرؤية الغبار ينتقل عبر شعاعها الوحيد. رقصت ودارت قبل أن تختفي في الزاوية المظلمة حيث كانت أسطوانة الأكسجين منتصبَةً في انتظار الأوامر. حُلِقَ شعر والده وسُرح بدقة إلى الخلف. اختلّطت رائحة عطر «أولد سبايس» برائحة المطهر والمعدن التي تسربت من وعاء التبول المغسول والمغطى.

كان من الواضح أن والده لم يرتدِ ملابسه بنفسه، وهذا الإحراج حَرَمَ جسده من الراحة، وحاول جاهدًا ألا يظهر غضبه مثل طفل أجبر على ارتداء زيٍّ جديد. كان قد تم تغيير ثيابه إلى رداء بيجامة مغسول حديثًا وكبير جدًا عليه. امتدت الأكمام إلى مفاصل أصابعه، واستوت الكتفان المكوّبتان حديثًا مثل الخيام إلى جانبي رأسه. كلُّ زرٍّ تم تثبيته بإخلاق حتى العنق. سخّر من الجذع الذي كان يهنّئهم. وجعل الصندوق المربع الثقيل في أسفل السرير والده يشدّ رجله رغماً عنه، مما أدى إلى جبل لم يستطع فين أن يرى بسببه.

- مرحبًا، إد. ما الذي يقودك إلينا؟ وفي صباح يوم السبت أيضًا؟ لم تتعافَ تمامًا من حفل الشامبانيا والكافيار الليلة الماضية.

- آسف لمقاطعة تعافيك من السُّكَّر، ولكنني اشتريتُ لك هدية. رأيته في المتاجر هذا الصباح وفكرت: لِمَ لا؟

- لم يخبرني ما هي، وقال إنه عليّ الانتظار حتى تستيقظ!

فركت والدته ركبتي والده القابعتين على قمة الجبل، مما دفعه بعد وهلة إلى البحث عن نظارته التي كانت موضوعة على غلاف «الجاسوس القادم من البرد». توقّف مرةً أخرى بينما كان يفرك الانبعاثين الكبيرين على جانبي أنفه. ترك وزن نظارته شقوقًا عميقة لم يعد بالإمكان تدليكها. أخيرًا، وضع النظارة

الثقيلة، فتضاعف حجم عينيه على الفور. مثل خدعة ساحر درامي، أكد ذلك أنه منخرط تمامًا الآن. تدحرج رأسه ببطء من جانب من الغرفة إلى الآخر.

- لا أراها.

- خلفك.

- ضعها أمامي إذن.

دفع إد الصندوق إلى أعلى السرير، ثم انحنى إلى فين ليشير إلى أنه عليه فتحه. طلبت منه والدته توخي الحذر، وقال بشقاوة إنه لا يمكن فتح شيء ما دون تمزيق الورق. أثار شكوكه هذا التوق المفاجئ والترقب، ولم تعجبه الطريقة التي كان كل الكبار يمزحون بها مع بعضهم بعضًا كما لو كان كل شيء مثاليًا وطبيعيًا بأعجوبة وعلى الفور. نظرت عينا والده الكارتونية إليه موبخة، ولكن ما كان ثمة مغزى من ذلك على أي حال. على الرغم من تمزيق ورق التغليف، لم يعرف أحد ما الهدية. أحاطت شرائط الكرتون المصنع بالمرعب. نزع فين مبدئيًا الشريط اللاصق السميك الذي كان يربط كل شيء معًا، وبعدها وجد خيطًا سميكًا يحمي الحزمة في وضع رأسي محكم وخطوط أفقية.

- ربما يجب أن أتابع من هنا؟

جمّع إد إصبعه الوسطى وسبّابه للإشارة إلى المقص.

- سأعود حالًا، إنه في المطبخ.

مع رحيل والدته، شعر الرجال الثلاثة فجأة بالخرج بين بعضهم. سكتوا وقتًا طويلًا جدًّا، وبدأ إد يربّت على الصندوق.

- ليس كلبًا آخر يا إد؟ لدينا واحد بالفعل.

مع وجود الخيط والدرع المصنوع من الورق المقوى على الأرض، بدت الهدية أكثر تسطحًا وانسيابية. كان الصندوق يحتوي على لوحات مثبتة معًا بواسطة دبابيس نحاسية سمكية. كان الدليل الجديد الوحيد هو الطباعة التي كانت بحروف كبيرة في الأعلى: ستريو كونتيننتال «401». تم ثقب حرفين من الطباعة بالدبابيس، في تحدٍّ للجميع ليفصلوهما. لم يكن لدى فين أية فكرة عن ماهية ستريو كونتيننتال «401»، وشعر بالارتياح لرؤية أن والديه لم يعرفا أيضًا. شهقت والدته متحمسة، ولكنها لم تعرف لماذا. نظر والده من فوق نظارته مثل أستاذ يشعر بالملل ينتظر الطالب ليقول الإجابة.

- كدنا ننتهي.

بينما يهاجم إد الدبابيس السمكية بمقصه، واصل فين قراءة الصندوق. كان يعرف كلمة ستريو، ولكنه لم يصادف ستريو من قبل. بدا أمرًا مدهشًا، بل فائقًا. شعر بمتعة تُوقع بالذنب وهو يدور بالكلمة حول فمه ويقوم بمحاولات

مختلفة لنطقها. أبرّزت هذا الشعور اللطيف لكلمة «كوتيننتال» التي ارتبطت بها في المعدن اللامع.

كانت هيلبرو ملآنة بأشياء «كوتيننتال»⁽²⁰⁾. حتى إنه كان ثمة مقهى اسمه «كوتيننتال»، حيث يشربون قهوة لم تكن في علبة «فريسكو»، وهناك خبز غير مُقَطَّع إلى شرائح، بل على شكل طوربيدات ممتلئة، ويرتدون ملابس مختلفة أيضًا. قالت جدته إن سراويل الجميع هناك ضيقة للغاية، وتنايرهم قصيرة للغاية، ولكن لم يكن ذلك ما يملكه القاريون، بل كانوا يملكون أسلوبًا. لم يكتفِ الرجال بارتداء السراويل القصيرة والجوارب الطويلة أو بدلات السفاري. أما النساء، فلم يكنَّ محاصرات في قماش كريميلين. لم يكن لديه أي فكرة عما يعنيه ذلك، ولكن عندما قالت والدته، بدا أمرًا جيدًا.

التأييد النهائي للقاريين جاء من زيلدا. لقد قالت إنها تحب كل هؤلاء الأوروبيين الذين يتدفقون إلى هيلبرو، وخاصة الفرنسيين والإيطاليين. وقالت إنها تعلم أن الحزب الوطني كان يسمح لهم بالدخول فقط لأنهم أرادوا المزيد من البيض لموازنة السود. ومع ذلك، فقد كانوا مصدر بهجة، لا شديدي التعصب والتزمّت. استمتعت بالتحدث معهم، وأحبّت لهجاتهم المختلفة. حتى الألمان -صدق أو لا تصدق- كانت لديهم روح الدعابة. قالت إن التفكير القاريّ أكثر طليعيّة. مرة أخرى، لم يكن لدي فين أي فكرة عما يعنيه ذلك، ولكنه بدأ إيجابيًا. في وقت لاحق تم تأكيد هذا أكثر من قبل قاموس «تشامبرز». من منا لا يريد أن يكون جزءًا من اسم يعطي معناه من يدعمون أحدث الأفكار؟

كان المقص صغيرًا بعض الشيء، والدبابيس متينة للغاية، فلم تستسلم دون قتال. أصبح العم إد مرتبًا بعض الشيء لأنه بدأ بحفر ثقب حول المشابك المعدنية بدلًا من محاولة فكها. حاولت والدته الحفاظ على حماسها بحاجبين مرفوعين، بينما فتح والده رواية «لو كاريه» الجاسوسية للتحقق من الصفحة التي كان يقرؤها؛ مما سمح لفين بالتفكير في «401». بدأ هذا الرقم غريبًا. شعر أنه كان من المفترض أن يكون «400»، ولكن شخصًا ما أضاف شيئًا ما في اللحظة الأخيرة فصار «401»، وهنا تكمن الطليعيّة. لا مثل لأولئك القاريين.

فجأة بدأ أن ستريو كوتيننتال «401» يعُدُّ بقدم أشياء جيدة. بدأ إحساسه بالرهبة وسوء الفكاهاة ينحسر. لتحسين الرؤية، فتحت والدته الستائر شبرًا آخر، فعزز ضوء الشمس الزائد تحوُّله الإيجابي. أمال إد الصندوق جانبًا وسحب المقبض البلاستيكي الذي أصبح مكشوفًا. تشبَّت الصندوق مثل طبقة جلد ثانية، فهزّه بعنف، لكن دون جدوى. واصل والد فين النظر من فوق نظارته، بينما ظلّت إصبعة في مكانها داخل الكتاب. بدأ العم إدوارد يتعرق، فأخذ استراحة ليربّت على جبهته، قبل أن يطوي المنديل مجددًا بحرص ويعيده إلى جيبه.

- ربما إذا رَفَعْتَهُ إلى أعلى وسحبْتُ الصندوق إلى أسفل؟
لسبب غير مفهوم، عَمَّرتَ فين جرعة من الغيرة. كأنما كانت والدته تساعد
عمه في نزع الملابس عن شيء ما. وعاد قَلْبُهُ. صَحِكَ مَعًا بينما يتلوَّى
الصندوق ويدور بين أيديهما. رأى أصابعهما متداخلة حين دَفَعَتِ الصندوق مرةً
أخيرة فسقط مثل تنورة مناسبة. وُثِرِكَ إِد حَامِلًا إِيَّاه عَالِيًا كما لو كان ينتظر
تصفيقًا، أو ربما صورة فوتوغرافية.

- هَلَّا أَنْزَلْنَاهُ؟

- بالطبع.

وضعه برفق على السرير وهو يمسك مقبضه، وَرَتَّبَ البطانية المحيطة به.
انتَظَرَ فين المزيد من الكلمات ليقرأها. في نقش معدني صغير على جزء
مرتفع في المنتصف كانت كلمة «فيلبس»، وَكُتِبَ على قرصين أبيضين على
اليسار: «الصوت» و«النغمة». إلى اليمين، وفي الجزء نفسه المرتفع حيثُ
كُتِبَ «فيلبس»، كان سبعة مكعبات. الأول كان بلون أحمر فاقع، وَكُتِبَ عليه:
«تسجيل». أما مكعبات «إيقاف مؤقت»، و«تشغيل»، و«إيقاف»، والمكعبان
اللذان تم تمييزهما بأسهم مزدوجة تشير في اتجاهين متعاكسين، فكانت كلها
بيضاء. في أقصى اليمين كان هناك قرصان آخران يحملان علامتي: «ميكرو»
و«فونو».

حَدَّقَ والد فين بهدوء، ثم ابتعد بساقيه أكثر كأن الأداة الغريبة قد تلدغ، وجعل
رَدُّ الفعل هذا العمَّ إِد يَغْتَمُّ. ترك المقبض ببطء، وبدأ في البحث عن عزاء من
خلال التمسيد على منديل عنقه، ثم أشار فجأة إلى الآلة كما لو أنها أعطته
فكرة.

- بالطبع! يحتاج إلى هاتين!

من مطروف كبير لم يلاحظه أحد خلف الوسادة المبعثرة، أخرج بَكْرَتَيْنِ.
كانت إحداهما فارغة، والأخرى بها شريط رفيع بني. وضع كليهما على
المسامير المعدنية المُجَهَّزة، وأدخل الشريط من خلال فتحة مجاورة، ثم تَبَّتْ
البكرة الكاملة بالبكرة الفارغة. استعاد الثقة، وطالب بِمُحَوِّلٍ مزدوج حتى
يستطيع توصيل الآلة. من حجيرة سرية على جانب الجهاز، أخرج ما بدا كأنه
مصباح لكن دون ضوء في النهاية. بدلًا من ذلك، حدقت إليهم لمبة معدنية من
الفولاذ المصقول مثقوبة ملآنة بالثقوب الصغيرة.

قال العم إِد: «ميكروفون».

قال والده: «رائع».

- قل شيئًا.

- لماذا؟

- أحاول تسجيل صوتك.

- لماذا؟
- إنه جهاز تسجيل؛ الأحداث.
- أنت صاحب الصوت الساحر، أنا لا أغني في الجوقة.
- ليس عليك الغناء، قل شيئًا فحسب.
- أنا أقول شيئًا ما.
- قل شيئًا أكثر عمقًا.
- الدب الدبدوب محبوب، الدب الدبدوب مطروب.
- عميق.
- دورك. أسمعنا ترنيمة «النعمة المذهلة».
- لا.

تحرّر زر التسجيل الأحمر من وضع الضغط إلى أسفل وبررّ مُطيّعًا. ثم أخذ دوره المكعب الأبيض ذو الأسهم التي تشير إلى الخلف. بمجرد عودة ذلك أيضًا إلى موضعه، توقف إذ مؤقتًا من أجل التأثير الدرامي، ثم ضغط على زر التشغيل. كان ذلك أطرف شيء سمعه فين على الإطلاق. بدا الصوتان المتشاجران وكأنهما زوجان من الكوميديين. كيف يمكن أن يكونا مضحكين إلى هذه الدرجة دون أن يحاولا؟ لماذا كان الاستماع مرة أخرى أكثر إمتاعًا من الاستماع إليهما مباشرة؟ لم يدرك من قبل أن صوت والده كان منخفضًا جدًّا، كأنه جرار يحاول التحدث. وصوت عمه كان فاخرًا جدًّا! «قُول شايئًا. أوحاولُ تاسجيل صاوتك».

كان ذلك صوتهما، إلا إنهما لم يكونا مصدره. تعجب فين من غموض كل هذا. بدا الجميع كأنهم يهدون! ضحكت والدته بلا انقطاع وهي تحاول مسح الدموع من عينيها. اهتز جسد والده، بينما انتفخت بيجامته بسبب ضحكاته. تساءل فين عما إذا كان والده المنتفخ من الضحك قد يرتفع عن السرير ويطفو نحو السقف. كلما حاول صدره الهائج التقاط أنفاسه، كان يطلق شخيرًا عاليًا ويثيرُ الغرفة بأكملها مرة أخرى. جاب العم إذ الغرفة، ووجد في النهاية ملجأ خلف أسطوانة الأكسجين؛ حيث قهقهه في الزاوية. لم تكن الغرفة سعيدة بهذا الشكل من قبل. حوّل الصندوق السحري زلزلة مظلمة تفوح منها رائحة المستشفى إلى مكان مسحور بمجرد ترديد أصواتهما.

كان هذا سحرًا لم يستطع فين استيعابه كليًا. ضحك كثيرًا، ولكنه شعر بعودة القلق البعيد، وتوتر بسبب سرعة كل ذلك. كان التغيير سريعًا وعنيفًا جدًّا. ألا تتطلب التعاويذ السحرية ثمنًا لها؟ لم يكن ترديد أبراكادابرا مجانيًا، ولا بد من وجود تكلفة. هل مارسوا عن غير قصد الفنون المظلمة، وهل سيحاسبون الآن؟ لم يثق بالآلة، توقع وجود فدية، ولكنه لم يعرف الشكل الذي ستخذه فحسب.

لم يكن مضطراً إلى الانتظار طويلاً للحصول على الجواب.
بيضاء عادت الغرفة إلى وضعها الطبيعي. اعتذر إد بغزارة، وتنحنج وسوَّى
منديل عنقه. تحولت ضحكة والده إلى سعال، وعاد قناع الأكسجين إلى مكانه
الطبيعي. توقفت والدته عن الضحك، ولكنها واصلت البكاء. ابتسمت من خلال
دموعها وغادرت الغرفة لتحضير الشاي الطازج للجميع. خفت الضوء، ورفض
الغبار الرقص. شاحباً وضعيفاً، بالكاد وصل بريقه إلى السرير قبل أن يُفنيَ
نفسه على غطاء السرير البني. بحلول الوقت الذي عادت فيه والدته مع الدرج
والأكواب الأنيقة، كان يعلم أنها ألعاب خفة رخيصة.

- لقد تركت الأوراق تستقر.

- ممتاز.

أخذ إد مصفاة الشاي وأوماً برأسه ببلاهة: «أظن أنه كان عليّ الاتصال به
سابقاً».

- لا، على الإطلاق.

تم رفع الأكسجين في محاولة لخنق السعال. جعل صوت خروج الهواء
المحاذثة صعبة. استيعاباً لوالده، كان عليهما التحدث بصوتٍ أعلى، وكَرِهَ فين
هذا؛ لأنه بدا كأن أحرق دخل الغرفة فجأة. غالباً ما كان الناس يفعلون ذلك
عندما لا يتردُّ على الفور. استدار ليغادر. كان بال ينتظر عند الباب. أوقفه إد،
الذي حَوَّلَ المصفاة إلى سيف ووجهها نحو صدره.

قال: «انظر، بغض النظر عن الضحك، ثمة غرض آخر لهذه الهدية».

شعر العم إد بالذنب، وتحدث كما لو كان يدافع عن نفسه. كان يعلم أنه ما
كان يجب أن يكون عفويًا قط. كان يعلم أن هذا يؤدي إلى كوارث في عالمه.
ما الذي كان يفكر فيه حتى أتى صباح سبت دون سابق إنذار؟

لقد حاول أن يلطف الجو ويرتجل، والآن ها هو ذا يدفع الثمن. لم يكن متأكدًا
تمامًا ما المشكلة فيما جرى، ولكن هذا بالضبط ما يحدث عندما لا يخطط
للأمور بعناية سابقًا. كان كل شيء في حالة اضطراب، وكان ذلك خطأه كُليًّا.

- هل تعرفون مافيس؟

هز الجميع رؤوسهم. لم يعرف أحد مافيس.

- حسناً، على أي حال، كدحت سنوات في قسم الحسابات لدينا. كانت عاملة
جيدة، إلا إن نظرها كان يخذلها لأسباب تتعلق بمرض السُّكري حسب ما أظن،
واضطرتُّ إلى طردها. بالمختصر؛ جمعنا المال من كل منا واشترينا لها
واحدة من هذه.

وأشار إلى جهاز التسجيل.

- ليس نموذجًا مبهجًا تمامًا، ولكنه جيد جدًّا. لا من أجل الاستماع إلى العبث
السخيف، بل للاستماع إلى الكتب.

عرف فين في تلك اللحظة بالتحديد أن كل شيء على وشك أن يتغير، كأن زراً قد صُغِطَ ومرت لحظة وما عاد بالإمكان التراجع عما جرى. تَقَدَّمَ العالم، وتَخَلَّف هو عين الركب. تُرِكَ وحيداً على الطريق، وتم تهميشه. قُدِّرَ له أن يظل مُراقِبًا خارجيًا. نظر إلى الصندوق المعدني والبكرات التي لا تزال تحدد إلى الخلف، وإلى التفاف الشريط البلاستيكي من جانب إلى الآخر في ابتسامة متكلفة. لم يفهم ما يجري تمامًا، ولكنه علم أن قواعد جديدة ستُصدَر، وستؤدِّي إلى إزاحة كل شيء. ما تم بناؤه من قبل لم يكن قوياً للغاية، ومع ذلك فقد تمكن من التماسك. الآن ستبدأ الأمور في التدهور. على الرغم من أن أحدًا لم يطلب رأيه أو إذنه، كان يعلم أنه يتنازل عن السيطرة. سحب عينيه عن المسجل وعاد إلى محادثة عمه.

- إنها منظمة رائعة تسمى «تيب إدز» للمكفوفين. ليس عليك أن تكون أعمى، يكفي أن تعاني في القراءة. لديهم كل الكتب؛ مكتبة ضخمة. وأفضل ما في الأمر أنها تُقرأ من قِبَل أفضل الأصوات في جنوب إفريقيا. كل هؤلاء الرجال والنساء المحترفين الذين تسمعهم في الراديو هم من يقرؤون. إذا فاتك شيء ما أو نمت، ما عليك سوى النقر فوق الزر وإرجاعه. والصوت؟ بإمكانك رفعه وخفضه كما يحلو لك.

كان تخوف فين المتصاعد مُطَرِّدًا تمامًا مع حماس إد المتزايد. وبينما كان عمه يقاتل لاستعادة تأييد الحاضرين، أدارت والدته صمام الأكسجين لتتأكد من أنه بإمكان والده أن يسمع. ولكن إد واصل الصراخ. على الرغم من أنه ينقل المعلومات، فإنه بدا كأنه يطمح إلى تحويلهم عن دينهم. بدأ في التبشير حالما اكتسب الثقة، وارتفعت ذراعاها عن جانبيه وهو يرحب بالجميع في هذه التقنية الجديدة. أقنعت يدها ليلي وفين ليقتربا ويعاينا المستقبل. انتظرتهما آلة شانغري-لا المعششة على شرف السرير. كل ما كان عليهما فعله هو اعتناق فكرتها.

- هل تريد استراحة؟ صُنِعَ فنجان من الشاي؟ أو الذهاب إلى الحمام؟ فقط اضغط على إيقاف مؤقت. يسمح لك زر النغمة باختيار صوت عالي الطبقة أو صوت جهير. اضغط إلى أسفل أو إلى أعلى. إدارة قرص أو نقر مفتاح، أنت من يقرر. أنت سيد متعة الاستماع الخاصة بك يا دينيس.

رفع دينيس يده ليبين أنه يفهم.

- وضع الشريط سهل بمجرد أن تتعود...

رفع دينيس كلتا يديه في علامة على الاستسلام، وفي محاولة لخفض الصوت أو -الأفضل من ذلك- طلب الصمت. توقفت خطبة إد، وسُجِبَ قناع الأكسجين من الفم إلى الذقن. هرب نصف الهواء من عنق والده، مما أدى إلى تضخم صدره وانتفاخه مرة أخرى.

- شكراً لك يا إدوارد. فكرة رائعة. (ترك كتاب «الجاسوس القادم من البرد» خلف مصباح السرير). كيف نصل إلى هذا المكان المدعو تيب إدز؟ أحب فكرة أن تُقرأ رواياتي لي بالنطق الفصيح.

شعر فين بالكتلة الأولى من الأشياء المعتادة تهوي. لم يعرف يوماً رأي والده فيه؛ كان يشك في أنه محبوب، على الرغم من أن هذا لم يجعل كونه هامشيًا أسهل. شعر أنه لا يخسر حبًا مترددًا فحسب، بل إحساسًا بوجود هدف. تساءل عما إذا كان سيحدث أي فرق لو كان لا يتلعثم. كان يقرأ صفحاتٍ وأحيانًا حتى فصولًا دون مشكلة. لقد ألف فقرات للالتفاف حول حروف السين، وعَيَّر أسماء الأبطال، وحرَّف القصص. يومًا بعد يوم كان يتذكر تلك التغييرات حتى لا يتم القبض عليه. الآن يمكنه أن يرى أن كل شيء كان بلا طائل.

تم استبدال آلة به. آلة ليس لديها مشكلات مع أي كلمات. ستطعم إحدى البكرات الأخرى، وستتدفق القصة. دارتا معًا في انسجام مثالي كما لو أن الصوت نفسه كان يشحم دائرتهما الكسولة. لن يسود الصمت طويلًا ما لم تضغط الإصبع على زر الإيقاف المؤقت. لم يكن على جهاز فيلبس الذهاب إلى المدرسة، أو التمشية مع الكلب، أو الرغبة في الاستماع إلى أفضل عشرة أغان على الراديو، بل كان ستريو كونتيننتال فاخرًا. عرف فين أنه لم يتم استبداله فحسب، بل تم تخطيه.

أحد أعضاء مجموعة الكاثوليك الإنجليزية الإقليمية التي خططت لمؤامرة البارود الفاشلة عام 1605.
Continental Europe: إشارة إلى أوروبا القارئة.

موعد

Rendezvous
ron'di-voo/ noun/

آلمه أن نسخة أفضل منه يمكن أن تصل في صندوق. لم يعجبه الأثر الذي تركه على الكرسي الجلدي ذي الذراعين الذي اعتاد أن يكون له. لم يوافق على طريقة إعادة ترتيب الغرفة لضمان وصول السلك إلى القابس. ولكن الأهم من ذلك كله أنه كان يكره الطريقة التي يأمر بها الجميع في الغرفة بالقيام بما يناسبه. كان راديو جرونديج القابع في الصالة ساكنًا وحميدًا مقارنةً به. بينما كان القارئ يتحدث، كان على الجميع التزام الصمت، حتى لو كان والده نائمًا. في اللحظة التي تضغط فيها على زر الإيقاف، سيردُّ المكعب الأبيض بنقرة عالية، وسيستيقظ والده. لذا، واصل جهاز فيلبس حديثه، وحظي بمركز الاهتمام، حتى لو لم يكن أحد يستمع.

صارت غرفة النوم ملآنة بالقصص حرقياً، وصار فين يقف ويتنصت عند الباب. على الرغم من أن وقوفه في الممر جعله يشعر بالقلق وعدم الارتياح، فإنه لم يكن مستعدًا لإرضاء الآلة برؤيته بأي شكل من الأشكال. من خلال التصميم المتعمد، كان الكتاب الأول الذي تم طلبه هو نفس رواية لو كاريه الجاسوسية التي لا تزال مثبتة خلف مصباح السرير. انحنى فين على الحائط، وأخذ باليداعب كرة تنس قديمة.

قال ليماس مستهجنًا: «أيها الوغد! أيها الوغد القذر! كنت تعرف أنني لن أسلم نفسي إلى استخباراتك الفاسدة؛ ذلك كان السبب، أليس كذلك؟ وذلك سبب استخدامكم شخصًا روسيًا».

- استخدمنا السفارة السوفيتية في لاهاي. ماذا كان بالإمكان أن نفعل غير ذلك؟ وحتى ذلك الحين كانت العملية عمليتنا، وهذا معقول تمامًا. فلا نحن ولا أي شخص سوانا يعرف أن جماعتك في إنجلترا سيصلون إليك بهذه السرعة. قال ليماس مودعًا: «وداعًا. حظًا طيبًا».

قال فين وهو يسحب الكرة من فم كلبه: «تعال». كان قد سمع هذا الجزء عدة مرات بالفعل، فوالده دائمًا ما يغفو ثم يعيد الشريط إلى الخلف أكثر من اللازم.

- حان وقت المشي. علينا أن نذهب إلى برلين الغربية. لا يبلي الروس بلائًا جيدًا، ولا أريد أن أشرب الفودكا مع العشاء مجددًا.

قرر أن نقطة تفتيش تشارلي ستكون قصر فيلا دي إستون. يقع المبنى في منتصف الطريق بين داتشس كورت وحديقة هضبة ناجت. وفي أثناء قيامه باستكشاف دقيق من خلف شجرة الجكراندة، لاحظ حرس الحدود الألماني الشرقي جالسًا على درجات المدخل. انحنى حارس زولو الليلي على مرفقيه، بعصاه الغليظة وزِيَّه الكاكي، وتثاءب. لم يندفع فين بهذا السلوك الذي يبدو عَرَضِيًّا. سحب بال قطريًا عبر الطريق، ونحو منتصف السياج الخاص. كان في حاجة إلى تقييم الموقف من زاوية أخرى.

انحنى الحارس إلى الخلف أكثر؛ مما تسبب في جعل كل من الشارة الموجودة على قبعته ونجم كنيسة صهيون المسيحية على صدره باتجاه الأعلى نحو السماء. فكر فين في نفسه: هكذا سيلاعبه إذن. قَلد لا مبالاته بالسماح لكلبه بشم كلب بودل عابر. ولكن شيئًا ما حول هذا اللقاء أثار اهتمام الشرطي السري، الذي جلس منتصبًا فجأة، ونقر على سلاحه وحدق إليه مباشرة. تساءل فين عما إذا كان عليه أن يهرب. هل سيصل إلى الجانب الآخر؟ كان بإمكانه رؤية الحديقة تغريه، وَلَوَّحت له مشجعةً مساحتها شاسعة من الأخضر، وصفوف من الأفحوان الأبيض المزروع بجانب المنزل. كان يملك منزلًا آمنًا هناك؛ إذ لم يعرف أحد بوجود شجرة الصفصاف. نادته الحرية. كان يكره هذه الحرب الباردة، وهذا الجدار اللعين الذي يجعلك تختار! تلك الندبة المصنوعة من الطوب بنيت في صميم قلب الأمة.

ما عاد يمكنك الوثوق بأحد. حتى عندما نظر إلى ناحية بوابات دخول الحديقة، تساءل عَمَّا إذا كانوا قد تسللوا إليها أيضًا. هل كان ذلك المكان آمنًا حقًا؟ أم كانوا ينتظرونه متنكرين بذراعين مفتوحتين وابتسامات كاذبة؟ سيتعين عليه اتخاذ قرار قريبًا. وقف الحارس وبدأ قلقلًا كأنه يريد عبور الطريق. ثم ماذا؟ سيتحقق من أوراقه؟ الحظ يقف في صف الشجعان. سحب فين كلبه نحو المنظر المخيف للرجل وهو يفرك فخذه بعصاه الغليظة. تلك كانت اللحظة المناسبة! لا رجوع إلى الخلف. كان عليه أن يمر أو يعيش بقية أيامه بصفته ضيقًا على أمن دولة ألمانيا الشرقية.

- مهلاً!

تجمد فين مرعوبًا، وحتى بال رفع رأسه وضرب أذنيه.

- مهلاً!

تفحص الأرض، وتوقع الأسوأ. تم نسف تخفيته. اقترب منه الحارس وهو يمشي بخفة. لم يكن ثمة ما يمكنه فعله سوى قبول مصيره. بمن كان واثقًا أكثر من اللازم؟ من كان الخائن؟ شخص ما قد وشى به، ومن المحتمل ألا يعرف أبدًا اسم ذلك الخنزير المجهول الوجه. ثم حصلت معجزة. استمر الحارس في المشي. تجاوزه وعبر الطريق إلى السيارة المتوقفة في الزاوية. غَيَّرَ رَاغِبٍ في أن يكون واضحًا للعيان، أدار فين جسده ببطء بمجرد وصوله

إلى ملجأ الأقحوان. الرجل الصيني الذي كان يسيطر على نقابة «فا-في» المحلية كاد أن يغادر دون جمع رهان الحارس لهذا الأسبوع، فهل كانت مصادفة؟ أم تغييرًا مخططًا له؟ في كلتا الحالتين، هرع فين وكلبه إلى الحديقة فرحين ومرتاحي البال.

ولكن بمجرد وصوله إلى هناك لم يستطع التخلي عن حذره. نزع عن بال رباطه، ولكنه وجد على الفور السيدة عند مسيح الأطفال مثيرة للشبهات. أولًا، كان المسيح فارغًا، فلماذا اختارت الجلوس بجانبه؟ ربما كان موعدًا تم الترتيب له سابقًا؟ بعد فترة وجيزة قد يجلس بجانبها رجل متوسط الطول يرتدي معطفًا مطريًا سخيًا وقبعة مبتذلة، ويضع طردًا بينهما دون أن يقول شيئًا، ثم يغادر بعد بضع دقائق ويترك الكيس الورقي البني على المقعد. بالإضافة إلى ذلك، تم تسريح شعرها، ووجهها مملوء بمساحيق التجميل، ولكنها كانت بمفردها. لماذا قد تتأنق من أجل موعد مع لا أحد؟ ماذا يعني أحمر الشفاه السميك والرموش الهائلة الملتصقة في الخامسة بعد الظهر؟ كان ذلك مبالغًا فيه بالنسبة إلى عمل مكثبي، ولكن الوقت مبكر جدًا على أي نوع من النشاطات الليلية. لقد قرأ عن الجاسوسات في مجلة قصص مصورة في أثناء شراء الخبز في مقهى الزاوية، كانت بعنوان «مصيصة العسل». بدت مثل السيدة على الغلاف، على الرغم من أن تنورتها لم يكن بها شق طويل في الجانب.

قال بصوت عالٍ: «عميلة محرّضة».
- لا أعتقد ذلك.

كاد فين يهوي أرضًا من المفاجأة. استدار ليجد رجلًا يقف خلفه بما لا يتجاوز ست بوصات.

- انظر إلى لطخة المسكرة، خاصة تحت العين اليمنى. لقد كانت تبكي.
عاد فين إلى الورا لخلق بعض المسافة بينهما. كان وجه الرجل وساعدها بلون بني غامق، وكانا الشبيئين الوحيديين المتطابقين. كان ينتعل حذاء تنس أبيض، ويرتدي بنطال بدلة أنيق، وقميص بيزلي أزرق وأصفر وأرجواني. كانت ياقته نظيفة، رغم أنها بالية. تبعثرت الخيوط السائبة في كل مكان، وحاول بعضها تسلق جانب رقبته. لم يرتد جواربًا، ومع ذلك كان يحمل قبعة فيدورا لبادية جديدة تمامًا. عرف فين مصدر القبعة والمادة المصنوعة منها لأنها كانت معروضة في هاريهاتري؛ وهو متجر كان يمر بجانبه كل يوم في طريقه إلى المدرسة. مع كل هذا الصدام بين الألوان والأناقة، بدا الرجل واثقًا بشكل غريب، بل حتى محتكًا بعض الشيء. تم تأكيد هذه الثقة بالنفس من خلال الطريقة التي لف بها قبعته حول سبابته دون أن ينظر إليها.

- كانت تبكي. وفي الوقت الحالي، تبكي من الداخل لا من الخارج. قلبها ينفطر، ولا أدلة لدينا سوى طريق يتسع لدمعة واحدة عبر المسكرة.

نظر فين إلى المرأة مرة أخرى، وطمغى عليه حزنها فجأة. أصبحت البركة الفارغة منطقية عندها، فأين قد يجلس المرء عندما تجف حياته؟ حدقت إلى الدولفين القافز المصنوع من البلاط الأبيض والأزرق الصغير، ووجهه المبتسم المرتبك يؤكد أن كليهما تعرض للخداع. تساءل فين كيف لم يلاحظ هذا الحزن من قبل. أصبح واضحًا، حتى إنه شعر به يتسرّب إليه.

قال الرجل: «الحب يجعل العالم يدور، وقد يوقفه في بعض الأحيان أيضًا». وضع القبعة على رأسه، وفعل ما افترض فين أنه رقص رومانسي مع شريك غير مرئي. ظنّ أنه قد يكون رقصة التانغو. اتّجه جسد الرجل إلى اليمين، ثم استدار فجأة وبقوة إلى اليسار. فعل ذلك عدة مرات قبل أن ينهي رقصته بشكل مثير وظهره إلى الأمام بينما كانت عيناه تحمقان إلى الخواء الذي أمسكه برفق بين ذراعيه.

قال الرجل وهو يقوّم وقفة شريكه الخيالي ويطلق سراحه: «لا تقلق. لا تخصك هذه القصة حتى تنخرط فيها. كان من المفترض أن يأتي شخص ما ولم يصل. هذه هي مشكلة الإنذارات الأخيرة؛ أنه عليك أن تختار في نظام ثنائي: نعم أو لا. إن لم تختار نعم، فالوداع هو ما يبقى، لا شيء بينهما. لا يمكنك التردد، لا يمكنك أن تنقع الجواب في تتبيلة التردد. لقد أحبّته، وفي الوقت المناسب ستدرك أنه أحبّها بدوره».

نظر إليه فين مذهولًا وهو لا يزال يحاول ترتيب كلماته ومفهومه عن الأناقة بطريقة ما. كان من المستحيل تخمين عمره. خمسة وأربعون، وربما ستون حتى؟ كانت زرقة عينيه المميزة تُشبه تلك التي يملكها الأطفال، ولكن وجهه كان كثير التجاعيد، وانتشرت ثقوب صغيرة في الجلد الممتد عبر عظام وجنتيه. كاد أنفه أن يصبح مدببًا، إلا إنه انحنى مجددًا بلطف عند نهايته. لم تتموضع قبعته على رأسه، ركبت موجة ضخمة من الشعر، انحدرت إلى الأمام، ثم عادت في عملية اكتساح ضخمة مثل لبدة الأسد الذهبية. لو لم يكن لديه الكثير من الشعر الممشط بشكل جانبي، لكان يبدو مثل إلفيس بريسلي بلا دهون.

كما كان لافتًا للنظر على حدّ سواء المربع الأسود والرمادي لشعر وجهه الذي انتشر تحت شفته السفلية وغطى معظم ذقنه.

قال وهو يراقب عينيّ فين: «لحيتي».

- إنها مربعة.

- تجعل وجهي متناسفًا، مثل غرفة تحتاج إلى سجادة.

أوما فين.

وتابع: «حبيبها من سبينالونجا، جزيرة صغيرة قبالة جزيرة كريت، وهي جميلة بصورة قطة. عائلته تريد عودته، وثمة فتاة محلية تنتظره هناك. تم ترتيب

ارتباطهما، والأمر معقد. أخت ابن عمه من الدرجة الثانية. إذا تزوجا، أصبح المخبز ملكاً له، وهكذا يتم تأمين مستقبل والديه».

- ك... ك... كيف تعرف؟

- اعتادا أن يأتيا إلى هنا كثيرًا ويناقشا الأمر. أتمدّد كثيرًا على المقعد المقابل، وأحيانًا أضع الجريدة أمام وجهي. لا يلاحظني أحد. لا يضع الناس أي حواجز عندما لا يرونك. لا يعني ذلك أنك يجب أن تسمع كل شيء؛ يبوح جسدك بالكثير أيضًا. يمكنك الاستماع بعينيك إذا كان لديك الوقت أو الصبر.

استمر فين في التحديق شاغراً إلى الرجل الشبيه بسوق البضائع المستعملة أمامه.

- على سبيل المثال، الآن وجهك يقول لك لا أعرف ما أتحدث عنه، حتى لو لم يكن فمك ينطق بذلك.

فتح فين فمه، ولم يقل شيئاً، ثم أغلقه. كرر ذلك مرتين.

- كما تحديق إلى قبعتي. إنها جديدة تمامًا، وتظن أنني سرقتها لأنني لا أستطيع تحمل تكلفتها. حسناً، خرج رجل من «تاترستالز» - حيث يراهنون على الخيول - وأصرّ على اقتسام بعض مكاسبه. يمكن للناس أن يكونوا طيبين.

تم إنقاذ فين من قبّل أنينٍ مخنوق. وضعت المرأة مرفقيها على ركبتيها وضمّت وجهها بكلتا يديها.

- إنها في حاجة إلى التعبير عن مشاعرها... كانت تؤجل ذلك فترة طويلة.

- أنت تعيش هنا؟ في الحديقة؟

- في معظم الأيام، عندما يكون الطقس جيداً.

- منذ متى؟

- منذ فترة.

- وفي الليل عندما يغلقون البوابة؟

- أحياناً أبقى، وأحياناً أذهب.

- إلى أين تذهب؟

- لدي عدد من العناوين.

- الشقق تتحوّل إلى شقق سكنية الآن.

لم يعرف فين لماذا قال ذلك، وشعر على الفور بالحاجة إلى المتابعة والشرح: «الكلمات تتغير طوال الوقت. أعاني في فهمها».

- لم أعرف ذلك.

- لس... لس... ساني ثقيل، وأتلعثم أيضًا.

فاجأه القبول القويّ. لماذا يسلط الضوء فجأة على خطابه؟ ولماذا يختار القيام بذلك مع شخص لم يقابله من قبل؟ دائماً ما تُحدّره والدته وجدته من التحدث إلى الغرباء.

- هل حقًا؟ متى؟

- طوال الوقت.

- طوال الوقت؟ ولكن بالكاد تفعل عندما تتحدث معي.

- أنا...

- ربما لأنه لا داعي للقلق بشأن أمثالي. لا شيء يدعو للتوتر. لا داعي لإثارة إعجابي.

- أنا... أنا... أنا...

- هل هذا تلغثم؟ أم مجرد تكرار لنفسك؟

- حرف الـس... س... س... حسين هو المشكّلة الحقيقية. يقول والدي إنه حرفٌ مُنحَنٍ مثل أس... س... سلاك شائكة تتعلق بلساني.

تعجب فين من كلامه؛ لقد أصبح هذا اعتراقًا.

استدار كلاهما عندما بدأ جسد الفتاة في التشنج والارتجاف. حَبَّأت وجهها بإحكام خلف يديها، مما جعل اهتزاز كتفيها يبدو أكثر عنفًا وخروجًا عن السيطرة. كان رأسها ساكنًا، ولكن فقدت التحكم في جسدها. تَلَمَّس فين جيب سرواله وسحب منديله، الذي ما يزال مطويًا بأناقة.

- تقول أمي إنك لست رجلًا حقيقيًا إذا لم تحمل منديلًا نظيفًا دائمًا.

لم يستطع منع نفسه من التحدث إلى هذا الرجل، حتى لو لم يقل سوى الترهات.

أوماً الرجل برأسه، بينما سار فين ببطء نحو الفتاة. خنق كَفَّاهَا صوت بكائها، ولكن الدموع تسربت من بين أصابعها. وقف هناك بصبر وذراعه ممدودة، غير متأكد من كيفية جعلها تلاحظ عرضه. تنحج عدة مرات دون جدوى، فلمس كتفها بآسَاء، وكان تلك غلطة. فتحت عيناها قَرِحَةً، ثم ضاقتا في ارتباك وانغلقتا في يأس عميق. كان من الواضح أنها اعتقدت أنه صديقها الضال. لم تَرِ المنديل بدايةً، ولكن حين فتحت عينيها للمرة الثانية قَبِلَت القماش الأبيض بابتسامة بالغة القصر. بينما كانت تنشف عينيها، جعلها اللطف تبكي أكثر فجأة، واختفى وجهها خلف منديله.

وقف فين فترة من الزمن مُكَبَّلًا بالذنب والحيرة تغمره. زاد اللطف بطريقة ما من حسرتها، وأصبح الآن متواطئًا في معاناتها. كيف يمكن أن تصبح النيات الحسنة سيئةً بهذه السرعة؟ اعتذر، ثم استدار وابتعد ببطء.

تلقائيًا، توجه فين نحو شجرة الصفصاف. أَوْصَحَ لَوْحٌ مؤقت أن الشجرة قد رُزِرَتْ مؤخرًا ضمن مشروع «تجميل هيلبرو». انبثق من جذعها الرفيع أغصان أرفع مثل نافورة خضراء. على الرغم من أن ارتفاعها كان بالكاد مترين، فإن أطرافها المترامية وقَّرت ستارة مثالية. كان فين على وشك الانزلاق والاختباء خلف أوراقها الضيقة عندما رأى القبة.

- لا تدعني أعوقك عن التَخَفِّي في كهف الأوراق.
- توقف فين وهو يشعر فجأة أنه جبان لرغبته في الاختفاء، وسأل: «كيف سَبَقْتَنِي إلى هنا؟»
- رأيتُ أن لقاءك سيستغرق بعض الوقت. كان ثمة فيضٌ عاطفة لا يحتويه منديلٌ واحد.
- حَوَّلَ يده إلى منديل، والمنديل إلى مظلة تركها تنجرف في الهواء قبل أن تهبط على العشب.
- عندما ينتهون من بناء الشلال، أعتقد أن هذا سيكون أفضل مكان في الحديقة. شجرتك المميزة، والظلال، وتدفُّق الماء، ومنظر جميل لجورج⁽²¹⁾. يا للروعة! ألاحظ أنك كثيرًا ما تختبئ هنا. اختيار جيد. بمجرد دخولك، لن يتمكن أحد من رؤيتك.
- اعتقدتُ أن بال هو الوحيد سواي الذي يعرف.
- كيف حال المرأة الباكية برأيك؟
- شعر فين بعدم الارتياح. لم يُكْتَشَفْ مخبأه السري فحسب، بل لم يعجبه أيضًا الطريقة التي استلقى بها الرجل عَرَصًا على ظهره وهو يتحدث إلى الغيوم ويستولي على مساحته. لم يكن متأكدًا ما إذا كان يجب أن يجلس بجانبه أو يظل واقفًا. شعر أن النزول إلى مستواه سيكون إعلانًا عن استسلامه، فاستند بدلًا من ذلك إلى عمود اللافتة المعدنية الثقيلة التي تقول: «للبيض فقط»⁽²²⁾.
- وَمُقَلَّدًا الرجل، وَجَّهَ إجابته إلى الركام المتجمع.
- لقد جعلت الأمر أسوأ.
- كيف؟
- إنها تبكي أكثر.
- هل تعتقد إذن أن حجم الدموع يساوي درجة الحزن؟
- نعم.
- وماذا عن دموع الفرح؟
- ماذا؟
- هل كلما ذرفت المزيد منها كنت أكثر سعادة؟
- لا أعرف.
- هل تعتقد أنه يمكن أن تذرف كِلا النوعين في الوقت نفسه؟
- لا أعرف.
- ربما بعض دموعها كانت حزنا على ثانوس (إنه الرجل الذي كاد يصبح زوجها) والبعض الآخر امتنانًا لصبيِّ قَدَمٍ منديله؟

عثر بال على فين، وجلب معه بعض الراحة التي كان في أمس الحاجة إليها. ألقى كرة التنس عدة مرات، قبل أن ينجرف الكلب إلى زوجين نحيلين من كلاب «إرديل». صمت الرجل، ومع ذلك كان لا يزال يحدق إلى السماء. تساءل عما إذا كان في غيبوبة ما. على الرغم من كل حديثه السابق، فقد أثار اهتمام فين أن فترات الصمت الطويلة بين أحاديثهما لم تكن تُقلِّفه. تم تأكيد ذلك من خلال دفع الرجل قُبَعَتَه فوق عينيه كأنه سيغط في النوم. هل كان ذلك إيذانًا بالمغادرة؟ أم إنه كان من المفترض أن يبقى؟

قال الرجل دون أن يفتح عينيه: «افعل ما تشاء».

نظر إليه فين وهو متمدد بقدميه عديمتي الجوارب، والهيئتين بطريقتين عفوية، وإلى حذاء التنس العمودي الخاص به. اكتشف خطأ رقيقًا في بنطال الرجل لم يكن قد لاحظته من قبل. ورأى عندها أيضًا أن حذاءه كان أكبر من اللازم بمقاسين على الأقل، وأن أربطته مصنوعة من خيوط متينة صناعية. آخر مرة رأى فيها مثل هذا الخيط السميك كان ملفوفًا حول صندوق من الورق المقوى الذي يحمل مسجل شريط «فيلبس». انحنى إلى الأمام لإجراء فحص دقيق، وقرر أنه ذاته تمامًا.

- أخرجته من سلة مهملات خلف داتشس كورت.

- أعيشُ هناك.

- يا لها من صدفة!

استدار فين ليذهب، وشعر أنه قد صُرفَ غالبًا.

- قبل أن تسأل، القميص هدية أيضًا؛ من رجل نبيل مع وشاح رأس مطرز، وشيء ملفوف كبير إلى حدِّ ما في فمه. أخبرتك أن الناس يمكن أن يكونوا طيبين.

توقف فين وانحنى إلى اللافتة مرة أخرى.

- قال إنه عصر برج الدلو، وإن كل ما نحتاج إليه هو الحب. وفي تلك اللحظة بالتحديد صدرت أغنية فرقة بيتلز من راديو الترانزستور الخاص به: «كل ما نحتاج إليه هو الحب»، هل تعرفها؟

ربما عبس فين لحظة، أو لم يرد بالسرعة الكافية، في كلتا الحالتين، على سبيل التوضيح، بدأ الرجل يغني بصوت عالٍ. كان فين مُحَرَجًا للغاية، ولم يملك أي فكرة عما يجب فعله. كان دليلًا حيًّا على أنه يمكن لأي شخص أن يغني أية أغنية. ظل الرجل في وضع أفقي، وكان صوته رديئًا، ولكنه صدح بسعادة وبأعلى صوت باتجاه السماء. والأسوأ من ذلك أنه قرر أن يؤدي دور الآلات الموسيقية أيضًا. أطلق صوت الترومبيت نحو الأفق وصوت البوق نحو الفضاء. التفت الناس في جميع أنحاء الحديقة لمعرفة مصدر الضوضاء. يائسًا، أنزل فين نفسه ببطء حتى ربض بجوار العمود، حتى ينأى بنفسه أكثر عن الضجيج، حدَّق إلى الكنيسة الكاثوليكية الضخمة أسفل الهضبة. تم بناؤها على مقربة

من مطعم «كازابلانكا رودهاوس»، حيث تتالى النادلات بتنايرهن البيضاء القصيرة، ويقمن بدوريات قصيرة بزلاجاتهن لتوصيل السندويشات المحمصة ومخفوق الحليب الوردي إلى نوافذ السيارات.

عاد بال إلى الورااء باهتمام ليرى من يعاني ألمًا شديدًا، ولحق وجه الرجل وخلع قبعته. كان اللسان الخشن بمكانة زر إيقاف، واستؤنف الصمت.

- بسبب الصدفة، خلع فيليكس (هذا اسمه) قميصه وسلمه إليّ. قال إنها علامة. اصطفت النجوم مع موجات الراديو لترسل رسالة. كان عليه أن يشارك القليل من الحب؛ لذلك أعطاني قميصه. قال إنه كان يرتدي ملابس أكثر مني، وأحبّ طاقتي. لقد أعجبته.

- هل أنت متشرد؟

- قد أكون كذلك بالطبع.

قال فين وهو يقرص أنفه: «ألا تبدأ أحيانًا...؟»

- حسنًا، لا تخبر أي شخص، ولكن مسيح الأطفال في الصباح الباكر مفيد جدًا. بالطبع، ليس مفيدًا إلا إن كان فيه ماء. وثمة بضعة صنابير. أحتفظ ببعض الصابون ودلو في كيسي.

- ربما عندما يعمل الشلال؟

- نقطة جيدة. كيف أبلي الآن؟

- ليس عظيمًا.

- لدي بعض مستحضرات ما بعد الحلاقة التي وجدتها خارج قصور «جينزبورو». ثمة الكثير من العُراب هناك.

- ليست بهذا السوء.

- جيد... أليس لك اسم؟

- بلى.

- هل هو سر؟

- لا.

- هل لي أن أعرفه؟

- فين، فين باكستر. اسمي الكامل هو س... س... ستيفن، ولكن يناديني الجميع فين. أستطيع أن أنطق صوت الفاء من خلال أنفي أفضل مما أستطيع أن أنطق السين من فمي.

وقف الرجل كأنه على وشك الذهاب، وتظف العشب عن مؤخرة بنطاله. فجأة لم يشأ فين أن يغادر. بدا أطول، وبدت كتفاه أعرض بعد أن صار في مواجهته مباشرة. أشار الرجل في الوقت المناسب، ليرى المرأة ذات تصفيفة شعر خلية النحل وهي تكاد تسقط في سرير من الصبار البرتقالي المزهر.

حفر كعبها في العشب مع كل خطوة تخطوها، تاركة وراءها أنفاقاً عميقة.
توقفت كل ياردة لخلع الكعب وإعادة لبسه.

- من الأفضل أن تذهب وتساعدنا قبل أن تكسر كاحلها. تريد أن تعيد لك منديلك فحسب.

ركض فين نحوها وأخذ القماش المبلل الذي قَدَّمته يدان كأنه غطاء مقدس.
قالت مبتسمة: «أنت شابُّ لطيف للغاية. أنا آسفة لأنه مغطى بالمسكرة كَلِيًّا.
أمل أن تتفهم والدتك الأمر».

أوماً فين وابتسم بدوره. استدار على الفور، ولكنه كان يعلم سابقاً أن الرجل لن يكون هناك.

اختصارًا لجوهانسبرج.
Whites Only, SlegsBlanks - للبيض فقط: إحدى اللافتات التي انتشرت في فترة الفصل العنصري في جنوب إفريقيا.

الرواقية

Stoicism

sto'i-sizm/ noun/

نظرت إليه سارة وأحبته، أحببت خطوط وجهه، وزرقة عينيه الداكنة، وحاجبيه المستقيمين. رأت الضحك والحاجة في هاتين العينين، وشعرت بقوة يديه الممتدتين إليها، ورأت خلفية قرمزية تغطي النافذة. اشتعلت أنفاسها وقالت بحماقة: «سأتمكّن من إنهاء كتاب روث معها. ستكون سعيدة».

- يجب أن تؤولي ذلك إلى ما بعد شهر غسل. أنا لست واحدًا من هؤلاء الفرسان الذين يمكنهم انتظار الجنة. أريد جنتي حمراء وساخنة! قالت وهي تشعر بعجز شهويّ: «أوه، يا حبيبي، أنت تقول أشياء مجنونة للغاية. من سمع عن جنة حمراء ساخنة؟ أحبك!»

كان هذا بالطبع أكثر من كافي لتشجيع برنت. شرع في إقناعها - بشغفٍ وحشيٍّ وناغم في آن واحد- بأنها أكثر الكائنات المعشوقة في الكون. وثانية واحدة فحسب، شعرت بالامتنان لأنها من بين جميع النساء في العالم تستطيع أن تكون سارة، زوجة برنت.

شاهد فين آخر بوصة من الشريط -على اليمين- تنزلق وتلتف حول البكرة المنتفخة على اليسار. تَمَّت إهاتته. عن طريق الخطأ، أرسلت «تيب إدر للمكفوفين» إلى والده الاختيار الأدبي لامرأة تُدعى دينيس باكستر؛ والذي كان روايةً من «ميلز أند بون» بعنوان «شجرة التوليب»، لكاتبها كاثرين بليير. وما زال يفضل الاستماع إليها على أن يقرأ له ابنه. لا يهم أن والده قد قال إنه يستمع إليها من أجل الضحك؛ فقد كانت ملآنة بالفكوك المربعة والشفاه المرتعشة، والضغطات المندفعة نحو الأعلى والداخل بينما تحلق القلوب نحو الخارج.

كان ثمة عزاء قليل أيضًا في حقيقة أن والده كان ينام معظم الوقت؛ لذلك لم يعرف شيئًا حول شجرة التوليب التي رفضت أن تزهر في حديقة الدكتور روث ماستر، وكيف تساءلت سارة نايت عمّا إذا كان ذلك رمزًا لحبها لبرنت ميلوارد. عندما علم فين أنهم أرسلوا الشريط الخطأ، وقف عند نهاية السرير. حتى إنه كان يحمل بين يديه كتاب «عناقيد الغضب»؛ لأنه الكتاب الذي اختاره

والده في أغلب الأحيان. كان يقول: «غنائيُّ دائماً. ساخط، لكن غنائيُّ». وبدلاً من ذلك، طُلِبَ منه المساعدة في مَدِّ الشريط.

أصبحت سيطرة الآلة على الغرفة مطلقة الآن. جلست مرتاحة ومتمركزة في الكرسي الجلدي الذي اعتاد أن يكون لفين. حتى إن منشفة يد بيضاء صُمِّت ودعمت ركنها الأيمن الأقصى، لإبقائها مستوية تمامًا. ورأت عيناها الدائريتان المتعجرتان كل شيء، وطالبت بالاحترام. قال والده: «على رسلك»، عندما حاول إدخال الشريط بعنف عبر الفتحة الضيقة. «ليست لعبة يا صبي». إذا لم يستطع إتلاف المُسجِّل على الأقل يمكنه تجعيد الشريط من حين إلى آخر. كان يستمتع بسماع الكلمات تتمدد فجأة أو تنثني على نفسها. وحين يكون الالتواء الذي تسببه أظفاره عميقًا حقًا، فقد كانت الكلمة تختفي تمامًا. أراد أن يعرف والده أن ستريو كوتنينتال لم يكن مثاليًّا هو الآخر، ولكنه لم يلاحظ ذلك مطلقًا. شاهد فين البكرة الكاملة تستمر في الدوران، بينما تتباطأ البكرة الفارغة حتى تتوقف. عرف أن الآلة لا تزال تخبره أن كل شيء يتغير. شعر بتغير حياته، وكان يفقد رباطة جأشه. تم إلقاء الحبال والسلاسل التي كانت تثبته في البحر. على الرغم من أنه أراد بشدة أن يثبت نفسه، فإنه لم يكن متأكدًا مما يجب أن يتمسك به. لم يبدأ أي شيء ثابتًا. استلقى والده منتصبًا والوسادة العلوية تعانق رأسه مثل خوذة، وأكمل قناع الأكسجين مظهر رائد الفضاء. ربما كان جزء من والده موجودًا في الفضاء الخارجي بالفعل!

صارت والدته مختلفة الآن أيضًا. هزت كتفها حتى عندما لم يسألها أحد عن أي شيء. وعندما كان يطرح عليها سؤالًا، كل ما كانت تفعله هو تمرير يديها من خلال شعره. سألها لماذا اختار والده الاستماع إلى قصة حب بدلًا من قراءة عناقيد الغضب، أو حتى مزرعة الحيوانات. أوضح فين كيف أحب والده أداءه لصوت ميجور العجوز، وكيف كانوا يغنون في الماضي «حيوانات إنجلترا» معًا. ابتسمت وابتعدت فحسب. تبعها، وبينما كانت تشغل الغلاية، تخيل نفسه يتسلق أرضية الفينيل على كرسي المطبخ ويغني بصوت عالٍ: إنجلترا الحرة

ساطعة الحقول

صافية المياه

عليلة النسومات

بقرًا وأحصنةً

إوزًا وديكًا روميًّا

من أجلها سنعمل

حتى الممات

من كل حَدٍ

من كل صوب

في إنجلترا وفي أيرلندا
اتحدت الحيوانات
اسمعوا أنشودتي
انشروا النبوءة
الزمن الذهبي آتٍ
رغمًا عن الظلمات

قالت والدته: «اشرب الشاي قبل أن يبرد». تغير العم إدوارد أيضًا. ازداد عدد زيارته، ولكنها صارت أقصر. كما لو كان يرى مريضًا وليس صديقًا. بطريقة ما - في ذهنه - صارت ثمة ساعات زيارة عليه التزامها. «لا نريد إرهاب صديقنا!» كان دائمًا يصل مبتهجًا للغاية، ويكره نفسه لأنه لا يغادر بالروح ذاتها. شعر أنه يخذل الفريق، وراح يعتذر لوالدة فين باستمرار. «أنا فاشل تمامًا في هذا النوع من الأشياء».

سأل فين: «أي نوع من الأشياء؟» ومرةً أخرى، لم يجد إجابة. عرف إد أيضًا أن وصول جهاز التسجيل الخاص به قد أدَّى إلى تغيير كل شيء. انتقال كل تلك القوة إلى الصندوق قد غيرَ اعتباره أيضًا. اضطر أكثر فأكثر إلى التزام الصمت بينما يستمع كلاهما إلى الصوت الثالث. كانت القصة تملأ الغرفة فقرةً بعد فقرة، وتأخذها إلى مكانٍ آخر أبعد فأبعد. كان إد يجلس مستقيم الظهر، مع نظرة تركيز متألّمة على وجهه، وكان يميل إلى الأمام من حين إلى آخر كأنه يحاول سماع إعلان ما قد يُوضَّح وجهتهما.

قال والده: «كن أنت القصة».

قال العم إد: «حسنًا».

تظاهرت ميرايد بأنها بقيت على حالها بالضبط. وكلما زادت من تظاهرها، أصبح أكثر وضوحًا أنها تأثرت بالدوامات التي تزيد سرعة كل ما حولها. ورفضت أن تدور، ولكنها لم تستطع منع نفسها من الاستدارة في بعض الأحيان. كانت تحمل الرواقية مثل هراوة، لتنهال بها على أولئك الذين قد يشعرون بالأسف على أنفسهم.

سألت فين: «من المريض هنا بالضبط؟ بدأتُ أعتقد أنك تخلط بينك وبين والدك».

تم القبض على فين وهو يمزق الورق البني وهو غاضب من كتاب التمرين الذي كان يحاول تجليده، ويُلقى المزق المكورة على الحائط. ارتدَّت الكرة عن رأس بال واتجهت إلى الممر. انحنت ميرايد ببطء لالتقاطها، وفحصتها على الأرض، ثم في يدها. رفعت الورقة المسحوقة نحو الضوء مثل المُتنبِّ الذي يتأكد من اكتشافه.

- لقد أهدرت ورقةً سليمةً تمامًا، والكتاب لا يزال مكشوفًا، وقد اختبأ الكلب تحت السرير معتقدًا أنه خطؤه.
- أمي تقوم بهذا عادةً.

- أعرف ذلك. ولكن من منظورٍ أعلى، من غير المرَّجَح أن تتسبَّب هذه المشكلة في انهيار الكون على ذاته. تَمَّة قضايا أكثر إلحاحًا في الوقت الحالي، قضايا تتطلب أن يحمل الرجال عبئها على أكتافهم. كما إن انحناء شفرة مقص الأظفار تجعله غير صالح لقص خط مستقيم في ورقة. إذا أحصرت الأدوات الصحيحة من حقيبة الخياطة، فأنا على استعداد للمساعدة.

لم يكن مجرد القطع الملتوي وكتلة الشريط اللاصق الملتوي هما ما أغضبه، بل فكرة أن المدرسة ستبدأ من جديد، وأن الاستراحة الفصلية قد انتهت. ما عاد يفصله عن سرواله الرمادي العريض بشكل يبعث على السخرية سوى عطلة نهاية أسبوع واحدة. سمع والدته تردُّ بشكلٍ دفاعيٍّ على جدته: «المشكلة ليست في السروال، بل في ساقيه». وواصلت: «إنهما نحيفتان للغاية، وعليَّ أن أضع أربطة مطاطية في جواربه لتبقى في مكانها. لقد رأيتُ أعواد أسنان أسمن منهما». ادَّعى كوبوس فيسر -الذي كان يملك ساقين مثل النقانق المنتفخة- أنه مُبتَكِر لإطلاقه اسم «السيقان الفاتنة» عليه. وبحلول العطلة، كانت الدعاية قد انتشرت بين الطلاب.

في محاولة لتخفيف قلقه، قرر فين زيارة زيلدا. كان الباب رقم ثلاثة وأربعين هو الوحيد في داتشس كورت الذي امتلك الشجاعة ليطرق عليه. نقر بلطف، ثم انتعد باحترام. لم يبدُ من الصواب الوقوف على بساط كتب عليه «أهلاً وسهلاً». ظهر رأس زيلدا غير الواضح من خلال الزجاج المُصنَّفَر. قامت بلصق وجهها عليه بطريقة فكاهية، ثم رفعت شريطةً طويلة لتشرح ما تفعله. شاهد رأسها وهو يطير إلى الخلف وإلى الأمام عدة مرات وهي تحاول توزيع شعرها بالتساوي. أخيرًا تم عقد العقدة، وفتِح الباب بعد سحبه أخيرًا.

- لطفٌ منك أن تُكرِّمني بحضورك يا صاحب الجلالة.
انحنت ودَعْتَه للدخول: «أتيتُ في الوقت المناسب، لقد انتهيتُ للتو».

- ماذا؟

- أنهيت.

تَفَقَّصَت تسريحة ذيل الحصان الذي تركته عريضًا خلف كتفيها، وفتحت علبة «بيتر ستايفسان» وسحبت سيجارة ببطء.

- العمل على جواز سفري إلى متعة التدخين الدولية. هل لديك ولاءة؟
- لا.

- جيد، حافظ على ذلك. إذا بدأت يومًا، سأضطر إلى إخبار والدتك، أو الأسوأ من ذلك؛ جدتك. وستجعلك تأكل الهاغي والبودينغ السوداء⁽²³⁾.

- يبدأ الفصل الدراسي يوم الإثنين.

- لا تبدو سعيدًا.

هَرَّ فِين كَتْفِيهِ.

- كيف حال جيمي اليوناني؟

طُرِحَ السُّؤَالُ مِنْ وَرَاءِ عَمُودٍ مِنَ الدَّخَانِ، وَالَّذِي حَاوَلَتْ أَنْ تُبْعِدَهُ بِيَدَيْ فَارِغَةٍ الصَّبْرِ.

- لا بأس. ما عاد يلعب معي. س... س... سأكون حارس مرمى احتياطيًا، كما هي الحال أحيانًا.

- فصل جديد، وبداية جديدة. قد تجد صديقًا جديدًا. ربما شخص قد انتقل إلى المنطقة للتو؟ فهيلبرو أشبه بمحطة قطار عملاقة. التقيتُ مؤخرًا رجلًا من يوغوسلافيا. قال إن رئيسه يُدعى تيتو. ألا تظن أنه سيكون اسمًا رائعًا لكلب؟ «تعال هنا يا تيتو! اجلس يا تيتو!» وهو رجلٌ قويٌّ كما يبدو؛ لذا من الأفضل أن أتَوَخَّى الحذر.

- علينا أداء مسرحية هذا الفصل، وعلى الجميع أن يشاركوا فيها، وأن يقوموا بتجارب الأداء.

- فهمتك.

التَّقَطَّتْ زِيلْدَا قِطْعَةً تَبِغُ مِنْ طَرَفِ شَفْتَيْهَا وَوَضَعَتْهَا فِي مَنْفِضَةِ سَجَائِرِ. كَانَ الثُوبُ القَرْمِزِيُّ الرَّقِيقُ -المربوط بإحكام عند خصرها- مَلَانًا بِقُلُوبٍ مَطْرُزَةٍ هَبَطَتْ مِنْ كَتْفَيْهَا. حَمَّنَ فِين أَنَّهُ لَا يَوجَدُ شَيْءَ أَسْفَلَ، فَقَدْ بَدَأَ جَسَدُهَا سَائِلًا أَكْثَرَ مِنَ المَعْتَادِ. كَانَ يَتَدَفَّقُ وَيَتَمَائِلُ فِي اتِّجَاهَيْنِ فِي الوَقْتِ نَفْسَهُ أَحْيَاءً.

- قالت جدتي إنه يجب أن يص... ص... صبح لدي كتفا رجل.

- هل فعلت؟ حسنا، أعتقد أن كتفيك واسعتان جدًا بالفعل.

- الحاجة إلى أكتاف الرجال تعني في الحقيقة أن والدي مريضٌ جدًا، أليس... س... س كذلك؟

أَوْمَأَتْ زِيلْدَا بِرَأْسِهَا وَتَرَكَتْ «نعم» بِصَوْتٍ خَافِتٍ جَدًّا تَهْرَبُ مِنْ شَفْتَيْهَا.

- أتمنى لو يقول الناس ما يقصدونه.

- لعلهم يحاولون حمايتك.

لَوَّحَتْ زِيلْدَا لِتُبْعِدَ سَحَابَةَ أُخْرَى مِنَ الدَّخَانِ، وَعَرَضَتْ عَلَى فِين الجُلُوسَ عَلَى كُرْسِيٍّ، فَاخْتَارَ الأَرِيكَةَ المَخْمَلِيَّةَ. عَادَةً مَا يَخْتَارُ الاستلقاء على كيس الحبوب البرتقالي، ولكنه بدأ مُسْتَهْلِكًا هذه المرة. تبعثر الجلد على الأرض، وبدأ منهكًا، وبدت تجاوبفه عنيفة وعميقة، وخجل من ضربه مثل كيس الملاكمة حتى يستعيد شكله. جلست زيلدا على كرسي بار -على الرغم من عدم وجود بار- وبدأت في تمشيط ذيل الحصان خاصتها.

- هل تذكر زيغي؟

- عازف السدس... ساكسفون في سدس... سيكستيون؟
- نعم، كان لديه شعر رائع.

فحصت زيلدا نهايات شعرها المتقصفة.

- أتمنى لو تبادلنا الشعر. يا له من ذيل حصان! حين يرخيه، كان يصل إلى
خصره تقريبًا. لقد كان بارعًا للغاية، ليس فقط مع الساكسفون.

- سمعتُ أنه يعزف مع فرقة موسيقية مشهورة في أمريكا الآن، بل وأصدر
أسطوانته الخاصة.

- آمل ذلك.

رَنَّ جرس الباب. عبست زيلدا وشدت ثوبها حول رقبتها.
- يوم مزدحم.

استدار فين ليشاهدها وهي تتدحرج إلى الباب حافية القدمين. فتحت بوضة أو
اثنتين فقط هذه المرة. ساد صمْتُ تلاه همس، تلاه صمْتُ آخر. ولكن الرائحة
الحلوة والمالحة لمُستَحْصِر ما بعد الحلاقة تَحَدَّثَتْ بصوتٍ عالٍ. كان ذلك السيد
تريبتريدج.

نادى من عند الباب: «يا صغير! أريد استعارة كوبٍ من مسحوق الخبز من
أجل حلوى السيدة فحسب!»

عادت زيلدا مباشرةً إليه وابتسمت. بدا واضحًا أن مسحوق الخبز قد نفذ من
عندها.

أراد إخبارها عن الرجل الراقص الذي التقاه في الحديقة، والسيدة التي كانت
تبكي بجوار المسبح الفارغ، وكيف استطاع الرجل أن يجعل قُبَعَتَهُ تدور دون
أن ينظر إليها ويغني بأعلى صوته وهو مستلق، وكيف كان وجهه مربعًا
ومستديرًا في الوقت نفسه، وكيف بدا شعره متفجّرًا كأن أحدهم قد وضع
قنبلة يدوية هناك وشد الدبوس، وكيف يجب ألا تُعطى إنذارات أخيرة إذا كانت
الملكية المحتملة لمخبز على جزيرة خارج جزيرة كريت متضمنة، وكيف تترك
الخناجر ثقوبًا حتى أعماق من مناقير أبو منجل. ولكن الآن تغير شيء ما في
الغرفة. على الرغم من مواصلة زيلدا نفخ الدخان، فإنها لم تعد تحاول إبعاده.

مرة أخرى، شعر فين أنه كان سببًا في تغيير المخططات. كانت الحياة تناور
المرور من خلاله. تجاهلته قصة أخرى، وعَمَرَتِ الكلمات. شعر بالغضب
والاستبعاد. مثل البكرة الفارغة على جهاز التسجيل، ظلَّ يلف بلا جدوى، ودون
أن يجد ما يقوله. نهض ونفض الغبار عن ظهر سرواله مُقلِّدًا رجل الحديقة.

- من الأفضل أن أذهب.

- بهذه السرعة؟

هَزَّ فين كتفيه.

- حسناً، عُذُّ يوم الأحد. أخطط لجلسة خَبز ماراثونية. كل ما يمكنك أكله من الفطائر وبراونيز الشوكولاتة. أضف القليل من الرفاهية إلى صندوق غدائك المدرسي.

لم يشأ الاعتراف بذلك، ومع ذلك كان يعلم أنه الواقع. أصبحت كل رحلة مع بال الآن مطاردة لمعرفة ما إذا كان بإمكانه العثور على الرجل ذي قبعة فيدورا اللبادية. ظنَّ أنه رآه في مكان مرتفع في موقع البناء بجوار داتشس كورت، وسحب بال إلى الجانب الآخر من الطريق لإلقاء نظرة أفضل، ولكن الكتلة الخرسانية المحوفة التي كان يقف عليها أصبحت فارغة فجأة. كما ظنَّ فين أنه قد رآه في قاع الشلال شبه المكتمل. كان يركض على منحدر هضبة ناجت الوعر، ويملاً جواربه بالبلوط الأسود، وكاد يسقط مرتين، ولم يجد شيئاً. رُبطت ثلاثة صناديق من الورق المقوى معاً لصنع سرير تَقَيٍّ، وعندما نظر إلى داخلها كان كل ما استطاع إيجاده هو بطانية زرقاء قديمة، ونصف شمعة ملتصقة بقطعة من الصفيح، وحلقة مفاتيح على شكل هلال دون مفاتيح ملحقة بها.

تساءل عما إذا كانت الأربطة من صندوق التسجيل لا تزال متماسكة، ولماذا، إذا قال الرجل إنه يعيش في الحديقة، فلن يتمكن من العثور عليه هناك. أنهى كل جولة بحث بالاختباء تحت شجرة الصيفاف الكثيفة. كان ينتظر عينيه لتتكيف مع الظلام، ويأمل أن يجد صورة ظلّية أخرى تتكئ بهدوء على الجذع. في اليوم الرابع من بحثه، تولى دور الرقيب بيل داوسون، الدعامة الأساسية لفصيلة الملازم بيت، التابعة لأفواج البندقية من كتيبة مشاة أكسفورد شايرو باكينغ-هامشاير الخفيفة. كان ذلك يوم الأحد، وخشي فين ألا يجده قبل بدء المدرسة. كان يعلم أن الرقيب بيل داوسون مات في الصفحة التاسعة عشرة من جسر بيغاسوس، في صورة المعارك المصورة التي كان يقرأها، ولكنه كان الرجل الأفضل لهذا المنصب. فقد حشد رجاله في كاليه خلال الأيام المظلمة من عام 1940، وبفضله أُنقذَ عددٌ من الناجين عبر القناة ليقاتلوا يوماً آخر. ويُعدُّ الشبيه الأكثر صرامة ودهاءً من تومي⁽²⁴⁾.

قال لبال: «لن نغادر حتى نقبض على الرجل».

مَشَّطاً كل شبر من حديقة ناجت من الغرب إلى الشرق، وجابا المساحة الخضراء الطويلة والضيقة جيئةً وذهاباً مرة تلو الأخرى. أثار حماسهما في البداية رجلٌ نائمٌ على بطنه وجريدة «صنداى تايمز» تحمي مؤخرة رقبته المحروقة بفعل الشمس. وعند الفحص الدقيق، وجد أن الأحذية كانت جديدة أكثر من المفترض، والقبعة مفقودة. زحفاً تحت شجيرة أرجوانية مزهرة من نوع برونفلسيا، أو «أمس اليوم وغداً» وفقاً للوحة المعدنية المثبتة في قاعدتها. كان الوقت قد حان للتقييم بهدوء. حَوَّلَ فين يديه إلى منظار، وببطء مسح المكان من اليسار إلى اليمين.

أوضح لبال: «الاستطلاع. عندما لا يتمكنون من رؤيتك، يُظهرون أنفسهم في بعض الأحيان».

رأى رجلاً منهك المظهر يتكئ على الحائط المطلي باللون الأبيض. تَحَوَّل إلى نسخة من ظله المظلم بينما كان يكافح من أجل التقاط أنفاسه. حَمَّنَ فين أنه كان يحاول بيع المعجنات طوال اليوم. بدا من المستحيل موازنة مثل ذلك الكيس الضخم على سرج دراجة واحد. مسح نقاط العرق الفضية عن جبهته وانزلق على ركبتيه. رفع سرواله الطويل حول خصره بقطعة قديمة من الحبل معقودة من الأمام، مما أفسح المجال لقدميه الحافيتين للوصول إلى الدواسات دون عائق. شاهد فين عامل الحديقة وهو يرتدي زِيَّه الداكن ذا الأزرار الذهبية ويطلب منه التحرك من مكانه وهو يُلَوِّحُ بعصاه مثل شرطي كيستون.

صرخ الرجل وهو يعاني في دفع دراجته صعودًا: «م... ي... ل... ي... س!»
- «م... ي... ل... ي... س!»

ومرة أخرى أدرك فين أن كلمة «ميليس»⁽²⁵⁾ هي الكلمة المقصودة، ولكنها لم تَبْدُ كذلك بسبب طريقة صياحه.

أعاد تركيز منظاره إلى اليسار. حاول طِفْلٌ صغير يرتدي بدلة بحار ركل كرة قدم بلاستيكية برتقالية اللون، ولم تُصَبِّها قدمه اليمنى إطلاقًا، مما جعله يُقْعِي على مؤخرته المبطنة. كان حفاض القماش سميكًا، ولم يستطع تهدئة العويل المستاء مع ذلك. وصلت الأم المهمومة مرتدية قفطانها وصندلها، عازمة على تصحيح كل الأخطاء. وضعت يدها على وركها مُشَكِّلَةً علامة استفهام باستخدام جسدها، وطالبت طفلها بإجابة، فأشار الصبي البحار بإصبع الاتهام إلى الكرة على الفور. اتسعت عيناها وهي تتحني وتلتقطها.

- كرة شقية! شقية! صفة! صفة!

أزاح فين منظاره إلى اليسار. أثار اهتمامه الباب الأخضر لحجرة الأدوات. «لم نبحث هناك». كان بال يفقد الاهتمام، وكان عليهما التحرك قريبًا. لم يخفَ على فين أن الكوخ المصنوع من القش كان موطئًا لآلات الحشائش وأدوات البستنة وأكياس السماد. «ابقَ منخفضًا، وتحرك ببطء». نزع الرسن عن طوق الرقبة، واجتاز شجيرة برونفلسيا كاسرًا إياها قليلًا. لم يستطع إنكار إعجابه بخصم ماكرٍ ومراوغٍ لهذه الدرجة. أمسك فين بعصا وجدها مثل مدفع رشاش. «انتشروا!» أطاعه بال أكثر من اللازم، وركض إلى مجموعة من الأطفال معهم مثلجات. قبل ياردين، انقَصَّت كتف فين على الباب الخشبي.

فُتِحَ الباب بعنف، واصطدم بوعاء من الطين، وأزاح مِنْكَشَ نار سقط جانبًا، مما سَدَّ طريقه إلى الدخول. غادر صرصور متفاجئ عبر النافذة الخلفية. لم يكن فين متأكدًا مما يجب فعله بعد ذلك. تَمَعَّنَ في الغرفة المظلمة، وأبقى عصاه في وضع الاستعداد على كتفه.

كان هناك موقد غاز، ووعاء، وكوب، وبعض تبغ غليون من نوع «بوكسر». قرر أن ينحني تحت منكش النار ويتحقق أكثر. وجد أثرًا في السماد المنسكب، واستطاع أن يرى أنه من حذاء عامل حتى في شبه الظلمة. العنصر الآخر الوحيد الذي كان مثيرًا للاهتمام هو مشط بُني مصنوع من السلحفاة البني. كان يتكى على الحائط، ويوازن بدقة رأسًا على عقب على المقبض المعدني للمجرفة.

- فات الأوان.

أنزل الرقيب داوسون بندقيته مُحَبَطًا.

جاء صوت من ناحية ضوء الشمس: «ليس بالضرورة».

كان فين ما يزال مُحاصَرًا في الداخل بواسطة منكش النار، و حَدَّقَ مباشرةً إلى الشمس.

- أنا سعيدٌ لأنك لم تلمس أيًا من الأشياء التي تخصُّ حارس الحديقة. إنه رجلٌ صارم ومُنَظَّم للغاية، خاصةً عندما يتعلق الأمر بنسخه القديمة من مجلة سكوب، التي لم تجدها لأنها محشورة خلف شبك الدجاج في السقف. لقد أخبرني عدة مرات أن هذا مكتبه، ولا يجب المتسللين.

انزلق فين تحت منكش النار وأغلق الباب خلفه. عاد بال واثراً المثلجات حول فمه. بعد أن عثر فين على الرجل الذي كان يبحث عنه، لم يملك أي فكرة عما سيقوله له. سار الثلاثة -دون سبب واضح- إلى المقعد المجاور لمسبح الأطفال. حَوَّلَ فين بندقيته إلى عصا للمشي بشكلٍ مبالغ فيه. كان قد رأى كيف يتجول كبار السن. مشى إلى المقعد، وركز الأرض مع كل خطوة وأدار معصمه. جلسا متباعدَيْن كثيرًا، مؤكِّدَيْن أنهما غرباء في الأساس. قاوم فين إغراء بدء الحديث على الفور. انتظر مدةً اعتقد أنها طويلة لدى الناضجين قبل أن يفتح فمه.

- سأعود إلى المدرسة غدًا.

- أعرف. جميع صناديق القمامة ملآنة بصناديق أحذية مدرسية فارغة.

- كيف حال رباطك؟

- بخير.

نظرا إلى أحذية بعضهما.

- لم أحصل على زوجين جديدين هذا الفصل.

- ولا أنا.

- ولكنني حصلتُ على قميصٍ جديدٍ مخططٍ للغاية.

- نعم. تقول بطاقته: «مصنوع حسب معايير بيرما بيرست لجمهور الموضة». وجدته يرفرف مثل علم على هوائي سيارة. لا بد أن رياح الليلة الماضية انتشلته عن حبل غسيل. هل تتطلع إلى المدرسة؟

- عليّ القيام بتجربة أداء من أجل مس... مس... مسرحية مدرسية.
 - لا تقلق بشأن ذلك.
 - موعتها غدًا. في أول يوم بعد عودتنا إلى المدرسة.
 - لا تقلق بشأن ذلك. ستكون بخير.
 - كيف لك أن تعرف؟
 - كيف تعرف أنك لن تكون بخير؟
 - كل ما كان عليّ قوله آخر مرة كان «س... س... سَلِّمُوا ما لديكم»، فقد كنتُ حارس... س... س... سنا. اس... استغرقتُ فترةً طويلةً جدًّا، واجتازني الملك وفرسانه ودخلوا القلعة.
 - ذلك كان في الماضي، الآن شأن آخر.
 - وبالتالي؟
 - حين كنا هنا آخر مرة كان المسيح فارغًا، والآن هو ممتلئ.
 - وبالتالي؟
 - الأشياء تتغير.
- نظر فين إلى الرجل الذي ينظر إليه. كانت قبعة الفيديورا مائلةً، وحاجبه الأيسر مرفوعًا وكان ذلك سبب ميلان القبعة. من كان هذا الرجل؟ كان قد نزع قلنسوة بلوطة شبيهة بكأس ووضعها في منتصف لحيته، وكانت كأنها تُثبَّتُ مربع الشعر تحت ذقنه في مكانه. مثل ترباس متموضع في المركز تمامًا.
- منديلٌ واحدٌ تالف لا يعني حياةً من البؤس. قد تكون المرأة التي ساعدتها أكثر حكمة وقوة الآن. لعلك قمت بدورك في إعدادها لحياة أفضل. فصل واحد لم تستطع فيه نطق جملتك لا يعني أن الفصل التالي سيكون مشابهًا.
 - شعر فين بالانزعاج قليلًا. لم تعجبه الطريقة التي استدار بها الرجل في مواجهته، وأدار إبهامه وانتظر الرد. تحولت عصا مشيه إلى بندقية مرة أخرى. أطلق النار على كلب الزاسي، وعلى الكلب الألماني الهستيري الذي كان ينبح عليه. ثم صَوَّبَ على الأم ذات القفطان، التي كانت الآن تضرب الأرجوحة لضربها طفلها الصارخ على رأسه. وجد الرقيب داوسون رَجُلَهُ، ولكن من الواضح أنه لم يكن مثل سجناء جيرى الذين رفضوا الحديث دائمًا.
 - لا أحد يعرف ما إذا كانت الأمور لن تسوء غدًا.
 - توقف الرجل عن الدوران، ومدَّ يده نحو الشعر المتفجّر خلف رأسه. لم يكن احتواؤه بقبعتيه ممكنًا، وترامى نحو الحرية في كل اتجاه. من تلك الفوضى المتشابكة، أخرج أنبويًا من حلوى «لايف سيفرز»⁽²⁶⁾. رفض فين عرضه اللطيف، بينما اختفت الحلوى الخضراء في الفم المقابل له.
 - ولا أحد يعرف ما إذا كانت الأمور لن تتحسن.

امتصَّ بصوتٍ عالٍ، ووضع لسانه من خلال الفتحة الموجودة وسط قطعة الحلوى.

- جدتي تقول إن الحياة تظل مزحة حتى تفقد عينًا.
دفع الرجل قبعته إلى الخلف، وقرر أن يتسمَّر. تمَّعَّن فين في الخطوط الضيقة والعميقة التي انتشرت من حواف عينيه المغلقتين. انتشرت باتجاه أذنيه، ولكنها لم تصل إليهما. وفي تلك المساحة البعيدة، نمت خصلات شعر بَرِّيَّة ومتفشية.

- وكم شخصًا أعور تعرف؟
- لا أحد، إذا استثنينا القراصنة.
قال: «غداً. غداً. غداً». وكان متعبًا على ما يبدو لمجرد التفكير في الأمر.
«الجميع يقلقون بشأن الغد».

- ألا يجب أن نقلق على المستقبل؟
استقام الرجل في جلسته مرة أخرى. انتزع قلنسوة البلوطة من ذقنه ولَعَقَهَا وغرزها في منتصف جبهته. حَدَّقَ إلى فين من خلال عينه الوسطى الجديدة، وهتف ثلاث مرات: «أوووم». ثم قال: «الغد هو اليوم فحسب، ولكنه بعد يومٍ من الآن».

طبقان شائعان في المملكة المتحدة، يُصنَّعان من رئة الخروف.
تومي برينس، بطل حرب كندي شارك في الحربين: العالمية الثانية والكورية.
بمعنى «ذرة» باللغة الأفريقانية.
علامة تجارية أمريكية.

تغيُّرُ الحظ

Serendipitous

ser-en-dip'i-tes/ adjective/

ابتهج بال لأن سيده قرر عدم العودة إلى المنزل مباشرةً بعد الحديقة؛ فبدلاً من ذلك، وعلى الرغم من أن الشمس كانت تغرب، فقد غيَّرا طريقهما نحو آخر شارع أورايلي، ونحو الاتجاه العام لضاحية يوفيل. كلما ابتعدا عن هيلبرو، عادت مجموعات المنازل إلى الظهور مرة أخرى، وتجمعت بجانب بعضها في محاولة صادقة لإظهار الاحترام. امتدت مروج حشائش صغيرة مجزوزة إلى حدود بوابات أمامية مطلية حديثاً، وتُركَ بعضها نصف مفتوح في ترحيبٍ حذر. كان ذلك الطريق الذي قَلَّ سالكوه وكان ملأً بالمناظر والروائح الجديدة. سُمِحَ لبال بأخذ زمام المبادرة، فقد بدا سيده مُسْتَبْتاً، وترك نفسه ينجذب في أي اتجاه. حتى إنه لم يلاحظ الاتهام السريع لنصف شطيرة دجاج بالمايونيز بجانب قناة المجاري. وحين وصل فين إلى طريق هارو، لم يكن عقله أكثر وضوحاً، فقرر عبوره والمشى أكثر. غمره ارتباك حيال اكتشاف الرقيب داوسون. لم يكن متأكداً حتى من سبب ذهابه للبحث عن الرجل في المقام الأول. لقد طارد فريسته ووجدها، ولكنه شعر بطريقة ما أنه الشخص الذي تم القبض عليه. كلما تحدثا أكثر، أصبح متشابكاً. في كثير من الأحيان كان يبدو أنه يعطي الإجابة قبل أن يطرح فين السؤال. ولكن هذه الإجابة دفعته إلى التفكير في سؤال آخر. لقد بدا نائماً نصف الوقت، على الرغم من أن رأسه كان يتحول ببطء نصف بوصة إلى اليسار واليمين كما لو أن قبعته كانت تحوي راداراً سرّياً.

لقد قال إن مهمتنا لم تكن محاربة الوقت، فقط ركوبه. ثم فعل تلك الحركة حين يدير قبعته، وقال وكلتا عينيه مفتوحتان كتغيير: إن الكثيرين يدَّعون أنهم يعانون من عدم الاكتفاء، بينما المشكلة الحقيقية هي الإسراف. حاول فين أن يبدو ذكياً لأن الرجل تحدث كما لو أنه يعرف هذا من قبل. أوماً فين برأسه طيلة الوقت، بينما كان دماغه ينعقد على نفسه أكثر فأكثر. لم تساعد الطريقة الغريبة التي تحدث بها الرجل.

بدأ فين يتخيل أن ما يزوده بالطاقة هو لوحة الدارات المعدنية القديمة خلف الباب المعدني الوحيد في داتشس كورت. بدت علامة «خطر الموت» المخطوطة والقفل المكسور تحتها مكوناتٍ مثالية لعقل الميال إلى المعرفة والاستفسار. كانت اللوحة ملآنة بالمفاتيح والأسلاك النحاسية المكشوفة،

وشباك العنكبوت الممتدة من ملصق باهت إلى آخر. وكتب: «الطابق الأرضي» و«الطابق الثاني» بخط جميل بالحبر الأزرق الداكن. كان كهربائيُّ مُعجَبٌ بالخط المُدبَّل والانحناءات المبالغ فيها قد كتب رسالة حب إلى الدارة الكهربائية التي رَكَّبها منذ زمن بعيد. اصطَفَت قطع الورق المستطيلة البيضاء الباهتة لتشكّل مربعًا فخورًا محاصرًا بدقة من الزوايا الأربع بواسطة جُعب مثليَّة. كان قد رأى هذه الأكياس نفسها من قبل في ألبوم صور والديه. وبينما كان يُضيء شعلة فوق عوازل المطاط، انبثقت خطوط فضية من شباك العنكبوت، فانتشع كل شيء بالحريير الناعم. كانت أشبه بخلطة كيميائيٍّ من العلوم الدقيقة.

فُتِنَ حينَ بحقيقة أن هذا الشيء الجميل وغير المرئِب باستطاعته تزويد كل داتشس كورت بالطاقة. عندما كان المصعد يتوقف أو تنطفئ الأنوار، كان يتخيّل عنكبوت مطر يحاول رفع رؤوس أطرافه عن سلك حي. رأى الشعر على أطرافه يصبح مشحونًا وأزرق بعد أن حوَّلتَه الكهرباء إلى زينة عيد الميلاد. شعر حين أن مصدرًا سحرًا مشابهًا - لكنه متقطعٌ - يزوّد الرجل الذي قام بتنويره وإرباكه في الوقت ذاته. نتج عن سكونه صوتٌ مفاجئ، لُتَبِعَه بالصمت مرة أخرى. إن كان نائمًا أو نصف نائم، كان الصمت يجلُّ بالسرعة ذاتها التي يُبادُ فيها. صُغِطَ على المفتاح الكهربائي مع إمالة الذقن إلى أعلى أو هبوطه.

على الرغم من أن الجمل كانت غير منتظمة، وعينيه الزرقاوين المذهلتين تَقَلَّبَتَا ما بين الانغلاق الشديد إلى الحملقة المتعجِّبة، فقد قال بوضوح إن الخير يمكن أن يكون غير متوقَّع مثل الشر، وإنه علينا أن نحرص على عدم لعب دور الضحية مقدمًا لكيلا نجذب الحظ الخطأ. قال: «اليوم قد تجدنا الصدفة التي أضعناها». لم يعرف حين ما يعنيه ذلك، وكان قد انتظر دليلاً آخر دون أن يجده. لقد حاول أن يشم خلسة ليرى ما إذا كان بإمكانه التقاط نفحة من الكحول في أنفاس الرجل، وشعر بالخلج من أنه وجد رائحة قوية من معجون أسنان بيبسودينت، ممزوجًا بحلاوة نكهة التفاح من حلوى لايف سيفر.

واكتفى الرجل بقول: «سوف تتساءل أين ذهب اللون الأصفر». مما سمح لفين بإنهاء حديثه مع نفسه.

كما طلب من فين التوقُّف عن القلق بشأن دوره في مسرحية المدرسة. بعدها انتقلا إلى شجرة الصفصاف، وجلسا بجانبها وحدِّقا إلى الأفق فترة طويلة. بدلًا من الغناء، ألقى جزءًا من قصيدة هذه المرة: «قد لا أبقى هنا أيتها الصفصافة الرمادية حتى يجدد الربيع أوراقك. ولكنني سأتحقِّق، وأخفي في قلبي حسرة الوحيديين». مرة أخرى، نظر إليه فين في انتظار تفسير، ومرة أخرى لم يكن التفسير في انتظاره. بدلًا من ذلك، أنزل نفسه ببطء على ظهره كأنه يختبر مرونة عموده الفقري، وحدِّقَ إلى السماء. كان فين قد انتظر بضع لحظات، ثم فعل الشيء نفسه.

قال وهو ينظر إلى الغيوم: «ستكون بخير. انظر إلى هذه الشجرة؛ تنمو نحو الأعلى حتى تتغلغل في الأسفل. لا أحد يفهم الجاذبية أفضل من الشجر». كنت تظن أن شخير الرجل المجاور سيضمن ألا يغفو له جفن، ولكن حين نام بدوره. حين أيقظه بال كانت الشمس أعلى من السابق بكثير. شكَّلت شجرة الصفصاف مثلًا من الظل أنقذ وجهه، لكن ليس ركبتيه. حَدَّقَتْ إليه التلال العظمية ذات اللون الأحمر الغاضب. بأعجوبة، كان الرجل ما يزال هناك، بجسده المستلقي باستقامة وذراعا على جانبيه، نائمًا ومنتبهًا في الوقت نفسه. كانت غابة شعر صدره التي صُيِّعَ بعضها باللون الذهبي بفعل الشمس ترتفع وتهبط عميقةً ومنتظمة. استدارت تحت ذقنه مباشرةً ندبةً على شكل حدوة حصان.

قال: «زجاجة». دون أن يفتح عينيه أو يُخَلِّ بِإيقاع أنفاسه. قال فين: «من الأفضل أن أذهب». ثم نهض وأعاد ربط رسن بال بطوقه. في البداية، بقي الرجل في وضع أفقيٍّ وأومأ برأسه فحسب، فسأل فين: «هل لديك اسم؟ لقد أخبرتك باسمي».

أجبر السؤالُ الرجل على الجلوس على مرفقه، ثم قدميه. رَبَّتْ على نفسه مرة أخرى. نزل العشب الجاف من سرواله وانهاه على بال، الذي لم يعجبه ذلك. انتشَلَ سيده القطع الجافة عن أذنيه.

- هل تعتقد أن الأسماء مهمة؟

- الجميع في حاجة إلى واحد.

- إذا قلتُ إن اسمي ألجرون أو إيبينزر، هل ستنظر إليَّ بشكلٍ مختلفٍ عَمَّا لو كان اسمي بيتر أو جون؟

هَرَّ فين كتفيه.

- ماذا عن زافيير؟ لطالما أردتُ أن أكون زافيير.

شرع الرجل في التمدد في عدد من الأوضاع وكأنه يستعد لنشاطٍ رياضيٍّ كبير. بدأ بإطالة أجزاء مختلفة من جسده بحركة بطيئة. أدار رقبته، بينما كان يدير وركيه مُرتَكِرًا إلى نقطة دوران. ثم رفع كلتا يديه قبل أن ينزلهما جانبًا ويمسكهما بشكلٍ موازٍ للأرض.

ثبت على تلك الوضعية بعض الوقت، ثم تَبَّتْ يديه نحو كل من الشرق والغرب، ثم التوى نحو الأسفل وطوى ذراعيه، ومثل القوزاق، حاول لمس كل ساق بالتناوب. ولم يقم بأداء جيد إطلاقًا. كاد ينقلب مرتين بينما كانت مفاصل ركبته تكافح لتحمل وزنه. بدا جسده غير متناسق. وإذا كان التمرين مصممًا لتذكير هيكله بالطريقة التي من المفترض أن يعمل بها، فلم يكن ناجحًا على الإطلاق. وَعَلِقَ عند وركيه. لكونه غير قادر على الحركة، سقط على ظهره في النهاية، واستلقى هناك فترة من الوقت، ثم وقف أخيرًا.

- ماذا لو قلتُ إنني اللورد مارمادوك الثالث؟ إنني وريث ثروة هائلة، وأملك قلاعًا في كل مكان، وملعب جولف خاصًا بي؟ (كان صوته فاخرًا بشكل يمكن تصديقه وهو ينفخ أنفه المتعالي) أو ربما ماد آيمالون؟ هاربٌ دائمًا. هاهاها (كان يضحك بجنون) لن تقبض عليَّ الشرطة أبدًا! لن يجدوا المال أبدًا! (وأشار إلى عينه نصف المغمضة، بينما أطلقت يده الأخرى سبابته بشكل عشوائي) ماذا عن توماس على سبيل المثال؟ زوجٌ مُحبٌ وأبٌ لطيفين. قُتِلت الأسرة بشكل مأسوي في حادث سيارة، ولم يعد إلى طبيعته منذ ذلك الحين. أحب جاك، اسم بسيط وقوي. خدم في الجيش سابقًا، في القوات الخاصة. رأى الكثير، وربما أكثر من اللازم. مع مرور الوقت، لا بد أن يؤثر ذلك عليك. قَرَّبَ فين بال إليه وهو يحاول تركيب رَجُلٍ واحد من العديدين الذين وقفوا أمامه.

- أيُّها اسمك إذن؟

- هيب.

- هيرب؟

- لا، هيب. إذا كُنْتُ تريد مناداتي بشيء ما، فليكن ذلك: هيب.

- ليكن.

- هيب ثلاثة عشر اثنان.

نزع هيب ثلاثة عشر اثنان قُبَعَتَهُ الفيدورا وتَظَفَ حافتها بين إبهامه وسبابته، ثم استبدل بالقبعة التي غطت مساحة شعره الواسعة المشبك الثابت لقطعة ليغو وَجَدَت موضعها الدقيق.

- سوف تتدبَّر أمرُك. لديك عقلٌ ذكيٌّ وراقص.

مشى هيب ثلاثة عشر اثنان خطوات قليلة راقصة نحو الأمام، ثم أعاد الكرة، ولكن إلى الورا.

- عليَّ الذهاب.

صعدت قبعة فيدورا وهبطت بينما كان يتراقص، ووركاه غير المشحمتين ثُلولبان بشكلٍ مؤلم.

حين وصل فين إلى المنزل كان قد مشى في ساحةٍ كبيرة بعد هارو، ويسارًا إلى إيبيل، ثم يسارًا مجددًا إلى كوارتز، وعاد إلى شارع أورايلي. ولم يتحدَّث إلى أحد باستثناء صاحب كلب البيبول ذي العينين الورديتين والرسن المُرَصَّع. إذا كان لديه عقل راقص، فقد بات الآن جالسًا على الرصيف خارج شقته مُنَهَكًا. كلما حاول تصفية رأسه ازداد تشوشه. في النهاية، سمح لبال بالتنقل من جزيرة عشب إلى أخرى. حتى الرائحة الغنية لحبوب القهوة المحمصَة من «غوبل أندغو» لم تبطئه. كان يتمهل في العادة ويسمح للمثلثات الضخمة لكعكة الشوكولاتة بإغرائه من الرف الزجاجي الذي يملأ النافذة.

أجبر نفسه أخيرًا على الوقوف وتقليد هيب ثلاثة عشر اثنان ببعض تمارينه. عندما استدار، رأى السيدة كابلان مترقبة وذراعها خارج نافذة الطابق الخامس. ودّعه ليدخل صامتًا. فتح فين الباب رقم أربعة بهدوء قدر الإمكان. توجه بال إلى وعاء الماء الخاص به مباشرة، بينما حاول فين التسلل إلى غرفة نومه دون أن يلاحظه أحد. في مكان ما وسط اندفاع الكلب، وقف على لوح خشبي سائب، الذي أصدر صوتًا وهو يخرج من مكانه ويعود إليه.

- متأخر قليلًا الليلة، أليس كذلك؟

على الرغم من أن فين تعرف على الصوت، فإنه كان مرتبًا من موقعه. كانت الألواح بين الصالة وغرفة الطعام خارجة عن مكانها قليلًا، لذلك اضطر إلى النظر إلى حول الزجاج المُصنّف. كان والده جالسًا مسترخيًا ومنتصبًا في الحال، مع نشرة أخبار لندن المصورة في حجره، ويحدق إليه بدوره. كان شعره مُمشطًا بعناية، ووجهه حليقًا تمامًا. والأكثر إثارة للدهشة أنه كان يرتدي ملابسه بالكامل، بل كاد يكون متأنقًا. كانت السترة الرياضية والقميص الأبيض المرَبَّعَين قليلًا يوحيان بحفلة كوكتيل راقية. حُشِرَ البنطال الرمادي ذو الثنية المثالية بحذاء أسود فاخر. لم يُنَقِّص الغبار عنه، بل تم تلميعه. كان التصميم المُتَّقَط على مقدمة الحذاء يدور حول نفسه مرتين قبل أن يصعد جانب الحذاء. لم يرَ فين والده يلمع من قدميه سابقًا.

حاولت والدته التوضيح: «اعتقدنا أننا سنستمع جميعًا إلى الراديو الليلة مثل عائلة». تَحَدَّثَتْ كما لو كان قد تم تدريبها على السطور. كَثَّرَتْ «وقتٌ عائلي» كما لو كانت تأمل أن تدرج التسمية.

دهش فين، فقد كان مستعدًا لأي شيء باستثناء محاولة للتصرف بشكل عادي.

- حسنا.

بحث عن أسطوانة الأكسجين. لم تكن خلف الستارة أو الورقة الشجاعة الأخيرة لما كان النبات الداخلي الوحيد. استنشق والده الهواء ثم زَقَرَ بطريقةٍ مبالغ فيها ليعطي الجواب. ثم تلا ذلك رَفْعٌ غير ضروري على الإطلاق لإبهاميه، حتى أدرك فين أن ذلك لا يدل فقط على أنه يستطيع التنفس، ولكن أنه قد طُلِبَ منه أن يُحسِنَ التصرُّف. لم يتذكر آخر مرة كان الثلاثة فيها معًا في الصالة. ربما في عيد ميلاده الأخير؟ سمح الصداع النصفى لوالده بغناء «عيد ميلاد سعيدًا» ولكنه خنق الهتافات الثلاثة التي كان من المفترض أن تلي الأغنية. واصلت والدته: «لِمَ لا تجلب كتابًا وتنضم إلينا؟» كانت تحاول أن تجعل الأمر يبدو كما لو أنه يحدث مساء كُلِّ أحد. «باعتبار أن الغد هو يومك الأول في المدرسة، اعتقدتُ أنه قد يكون من الجيد أن تحصل على دَعْمٍ عائلي؟» رغم محاولتها الجاهدة، لم تستطع والدته ألا تنهي الجملة بسؤال.

- سأغسل يدي أولًا.

لم يكن متأكدًا من سبب اضطراره إلى غسل يديه، ولكن خطر في باله أن ذلك قد يكون ما يفعله الأبناء في العائلات العادية. مشَّط شعره بدوره، وحاول إخفاء الأوساخ على قميصه بدسَّها في سرواله القصير. كان على وشك أخذ كتاب «كوميكس» حربي يظهر غلافه أستراليًا بقبعة مقلوب طرفها وهو يدافع عن نفسه ضد جنديٍّ يابانيٍّ مجنون. وكان الجندي الأصغر بكثير من الأسترالي يهاجمه بحربةٍ بطول سيف ساموراي. ولكن بدا أن المناسبة تتطلب شيئًا فيه رسومات أقل، فاستبدل به رواية «المعركة الأخيرة» لسي إس لويس. كاد يقرؤه عدة مرات سابقًا. وجد الفانتازيا غير ضرورية في الروايات، فالحياة الحقيقية تُوقَّر ما يكفي من ذلك.

واصلت والدته إضفاء الوضوح والتوجُّه على الأمسية: «نستمع إلى برنامج أي». كانت حريصة على توفير اللباقة اللازمة على أمل أن يحدو زوجها حذوها. ابتسم وفق البروتوكول الصحيح. «إنها ساعة من الموسيقى الرائعة. لم لا تجلس هنا؟» أشارت إلى وسادة موضوعة سابقًا على السجادة وموضوعة بين والديه بالقرب من الراديو. «سأحضر لك شراب ميلو لاحقًا». لم يُعرَّض عليه الميلو منذ عامين. أصبحت آخر بوضة منه صلبة للغاية في قاع البرطمان الزجاجي خلف علبة البقسماط. كانت في حاجة إلى مثقاب لإزالته.

جلس على الوسادة كما طُلبَ منه، على الرغم من أنه كان يقصِّل كرسياً. بدا السيد جرونديج -الواقف على ساقيه المتقوَّستين- مستاءً من التَّطَقُّل على مساحته الشخصية. فتح فين كتابه وتظاهر بالقراءة. كان الجميع يتظاهر؛ إذ لم يستطع أحد مسح الصفحات لادِّعاء الذكاء، بينما كان لويس جوردان يلاحظ أن جيحي قد تحوَّلت إلى امرأة بين عشية وضحاها. وفي أثناء تساؤله عمَّا إذا كان أحق بلا عقل، أو أصابه عمى جعله غير قادر على الإدراك، تظاهر والد فين باهتمامه بصورة للملكة إليزابيث وهي تُمشي كلابها. وحين تساءل لويس إذا كان يقف أقرب من اللازم أو أبعد عن اللازم، ومتى تحول بريق جيحي إلى نار ودفؤها إلى رغبة، استسلمت والدته تمامًا. أغلقت كتابها وعينها في الوقت نفسه، واستندت إلى كرسيها، وحاولت أن تسترخي أكثر مع الأغنية. راقبها زوجها من فوق نظارته وسمح لنفسه بالابتسام. فتحت عينها فقط بعد أن أنهى كومبير من مدح كلمات ألان جاي ليرنر وموسيقى فريدريك لوي.

قالت لفين: «كان لدينا مشغل أسطوانات محمول في المزرعة. عند آخر سبت من كل شهر كنا نعلق مصابيح الكاز على الشجرة المجاورة للمطبخ ونقيم أمسية رقص. أعلم أنك سمعت هذا مئات المرات من قبل. كان والدك مثل فريد أستير⁽²⁷⁾».

شعر فين بالذنب لهزه رأسه. أرادها أن تستمر، ولكن كلماتها كانت قد نفدت. أغمضت عينها مرة أخرى. انتشر ضباب ذهبي لامع على المرج، وارتفعت الذرة مثل عين الفيل. وقفت الماشية كلها مثل التماثيل، وضحكت الصفصافة

الباكية. ضرب والده ركبته مثل راعي البقر في رقصة الحظيرة، ونقر حذائه ببعضهما في الوقت المناسب.

أوه، يا له من صباح جميل!

أوه، يا له من يوم جميل!

يراودني شعورٌ جميل

بأن الأمور ستجري كما أريد.

كانت القطع الموسيقية التالية عبارة عن عزف آلات موسيقية؛ لذلك تم تفسير هذه الفترة على أنها استراحة. اختفت والدته في المطبخ، وعادت مُرَجَّحَةً وَرَكَّهَا بطريقة لم يشاهدها عادةً إلا لدى نادلات مطعم رودهاوس. كانت قد خبزت الكعك، الذي عُرفَ بأنه ليس بجودة كعك ميرايذ ذاتها، ووضعت على طاولة القهوة مع التفافة جسورة. على الرغم من أنه أحرَجَ بعض الشيء من مرح والدته، فإنه جعله سعيدًا للغاية بطريقة لم يستطع وصفها.

- ولكَ أيُّها الوسيم.

على الرغم من وجود القليل جدًّا من الميلو في حليبه، شكرها ووضع الكوب على رواية «سجلات نارنيا». عندما أعاد رفعه، كانت دائرة رطبة قد تشكلت حول قرن وحيد القرن على الغلاف. كانت والدته الآن تسكب كوبًا آخر من الشاي لراعي البقر الذي كان ينظر إليها بشكلٍ مؤذٍ إلى حدِّ ما.

- شكرًا لك سيدتي.

- يمكنك مناداتي ليل. لقد رأيتك هنا من قبل.

- ادعَى دينيس.

- هذا اسم رائع.

حامت فوق ركبتيه، متظاهرةً بأنها تريد الجلوس على حجره. تحول وجهه فين إلى الأحمر الفاتح. مضغ دينيس حافة ملعقة السكر كما لو كانت ساق ذرة.

- حسنا، أيتها الصبيَّة ليل، أنتِ تصنعين مشروبًا شهيا.

- شكرًا لك للغاية أيها السيد. أخبرني كيف أستطيع تلبية حاجاتك الأخرى.

حين عادت والدته إلى مكانها، كانت أذنا فين تحترقان ووجهه مشتعلًا. لم يكن يعرف إطلاقًا لماذا أصابته غمزة والده في الصميم، على الرغم من أنها كانت تستهدف والدته. أراق بعض الميلو على ذقنه، ولكنه لم يدع والدته تقترب منه لتربت عليه بالمنديل. قال صوتٌ لائقٌ للغاية مُعَدِّرًا في الراديو إنهم سيعزفون الآن قطعة من موسيقى الجاز. وطلبًا للمغفرة، أوضح الصوت أنها معزوفة على سلم مي مينور، واستخدم فيها المتر الخماسي غير المعتاد. لم تغير معزوفة «تيك فايف» التي أدَّاهَا رُباعيُّ ديف بروبيك من الجو الغريب المحيط بفين. بدا أن النغمة الثنائية المتكررة للبيانو والساكسفون مضبوط الإيقاع تبحث عن المشكلات ولا تحاول تجنبها.

ثم أتت مسرحية «سيدتي الجميلة» الغنائية لتنفذ الموقف، على الرغم من أن الأمور لم تُعد إلى طبيعتها حتى النصف الثاني من أغنية «كنت سأرقص طوال الليل». بينما أوضحت إيزا أنه كان بإمكانها نشر جناحها وفعل آلاف الأشياء، عاد والده إلى قراءته عن «كلب الملكة»، وحاولت والدته حزينَةً العثور على الصفحة التي نَسِيَتْ وضع إشارة عليها. توقف فين حتى عن التظاهر بالقراءة، وترك الموسيقى تعبر من خلاله وهو يراقب القماش أمام السماعات يهتز. تخيل أن جلده يفعل الشيء نفسه عندما يدخل الصوت إلى صدره ثم يضرب ظهره.

انجرف في مكان ما في مسرحية «قصة الجانب الغربي». لم يكن مستيقظًا ولا نائمًا؛ فقد سمع مقدم البرامج يطلب منهم الاستعداد لأن تلك كانت مسرحية موسيقية أمريكية حديثة. لقد كانت علاقة عاطفية جامحة ومُعِدِيَّة للغاية.

حين أوضحت المرأة البورتوريكية المفعمة بالحيوية أن ناطحات السحاب تزدهر، وأن سيارات كاديلاك تجوب أمريكا، عادت الغرفة إلى حالتها القديمة. حاول والده أن يظل أنيقًا، رغم أنه كان عاجزًا عن منع كتفيه المبطنتين من الارتفاع حتى تلمسا أذنيه بينما كان ينزلق على الكرسي. ظلَّت قدمه تنقر، لكن بشِدَّة أقل. لم يكن باستطاعته مجاراة الأغاني على كل حال. ارتعش حذاؤه على إيقاعها بينما يده -المرتخية على ركبته والمصابة بكدمات أرجوانية عميقة على طول أصابعها- توقفت عن الحركة.

- هل هي بهذا السوء؟

- ماذا؟

- كعكاتي. لم تجرب واحدة حتى. إذا كانت بلا طعم، فالمرى ستساعد.

- لا. بالطبع! ... نسيت فحسب.

وتناول واحدة وحشرها في فمه.

قال الصوت في الراديو: «وداعًا» و«إلى اللقاء». وتمنى أن ينتظره الجمهور في الوقت نفسه الأسبوع المقبل، وتمنى لهم كل ما يتمنونه لأنفسهم ريثما يلقاهم مرة أخرى. «وكالعادة، نهي الأمسية مع أغنية «في المساء الأزرق». تسلم الدفة سيد سيناترا».

كان هيب ثلاثة عشر اثنان على حق؛ فقد فاجأه الليل بسعادة غير متوقعة. ولكن فين عرف أن ذلك لن يدوم، ولم يتوقع أن يفعل. لا يمكن الحفاظ على هذه الخفة، كان على الثقل أن يعود. لعله قد بدأ يفهم الجاذبية هو الآخر. بدأ والده في السعال بينما كان يكافح من أجل النهوض من كرسيه. أمسكت والدته بأحد مرفقيه وتشبَّث فين بالآخر، ورفعاه ببطء. وقف ساكنًا لحظة، محاولًا استعادة توازنه وتنفسه. لم يتمكنوا من التحرك. لم يكن لدى والده

خصر، وعلى الرغم من أن الحزام كان مشدودًا إلى أقصى حد، فقد سقط
بنطاله على فخذه. صار يقف على ثنيبي بنطاله.
ممثّل أمريكي ومُعَرِّق وراقص، ومصمم رقصات ومقدم برامج، ويُعدُّ من أعظم الراقصين في السينما
(1899 - 1987).

سكتة دماغية

Apoplexy

ap'o-pleks-i/ noun/

لم يكن اليوم الأول بعد عودته إلى المدرسة فطيغًا بقدر ما تصوّر في البداية. بدأ يومه بأن التقى كلبًا ضالًا وهو يخرج من داتشس كورت. جلس الكلب على الرصيف بأذن مرفوعة وأخرى متدلّية وكأنه ينتظره. بعد أن ربت عليه فين عدة مرات، قرر الكلب أن يمشي معه. امتلأ الشعور بالخواء في معدته. أحب حقيقة أنه لم يتبعه كما تفعل معظم الكلاب الضالة، بل سار بجانبه، ناظرًا إلى أعلى من حينٍ إلى آخر للتأكد من أنه كان يواكب خطاه. ابتسم فين وهو يراقب كيف حلق الجسم الممدود فوق أطرافه القصيرين. كلما ازدادت سرعتهما في المشي، ازداد تقافزه.

لقد تذكر السيد ترينبريدج وهو يتحدث عن كلب جمعية الرفق بالحيوان - قبل أن يتم دهسه - باعتباره خليطًا عالي الجودة بين الهجين والأصيل. بدا ذلك وصفًا جيدًا لهجينه. كان من الواضح أنه مصنوع من قطع غيار، ولكنه أظهر براعة في معرفة الشارع، وذكاءً، وسُعدً فين بالتحدث إليه. أصبحت المحادثة مفعمة بالحيوية بشكل خاص عند إشارات المرور الحمراء. كان الكلب يجلس بصر علي رجليه الخلفيتين، ويرفع رأسه ويحاول جاهدًا رفع كلتا أذنيه. كان طوله أفقيًا لا رأسيًا، مما جعله يندفع مثل طوربيد عندما تغيّر الضوء إلى اللون الأخضر.

تجاذبا أطراف الحديث وسارا معًا على طول شارع كوتزي بأكمله قبل أن يتجها يمينًا إلى شارع إيديث كافيل. اعتاد فين أن يقلق حول كيف سيعود الكلب إلى المنزل، أو ما إذا كان لديه منزل حتي، ولكن الفكرة لم تخطر بباله قط عندها. وبطريقة غريبة، شعر كأن الكلب يتأكد من وصوله هو إلى وجهته. أوحى بقاء قدمه المبطنة أمام فين دائمًا بوجود هدف، والطريقة التي كان ينظر بها إلى الوراء بعد الالتفاف عند كل زاوية. حين وصلا إلى بوابات روزنيث براماري كان الجسم والذيل النحيفان للغاية - المكسوران والمنحنيان في المنتصف - ما يزالان معه. جلسا على الرصيف وحدقا إلى بعضهما.

- لا يمكنك الدخول.

بدا أن الكلب قد فهم. شرع يخدش أسفل فكه بلا مبالاة. رَجَّح فين حقيبته عن كتفه، وسحب صندوق غدائه. قدم نصف شطيرة لحم خنزير وطماطم.

- أعرف أن الطماطم تبلل الخبز. يجب أن ترى كيف تصبح حاله في الاستراحة الثانية.

تردّدت عيناه البنيّتان في البداية، ثم امتلأتا بالعاطفة وهما تحدّقان إلى فين.
- تفضّل.

أعاد فين تغليف الخبز الرطب في ورق مقاوم للشحوم ووقف. ربّت على الكلب مُودّعًا إياه، ولكنه وجد صعوبة في الحركة. بدأت يدها تتعرقان، وشعر بالذعر يسري في جسده. عاد ملجؤه المؤقت إلى حَكِّ نفسه. بات الكابوس المدرسي البعيد على بعد ياردة واحدة بالكاد. الخوف البارد والعميق الذي اعتقد أنه اختفى كان في انتظار أن يحين وقته فحسب. أراد أن يهرب. لن يلاحظ أحد ذهابه، لن يحدث هذا في اليوم الأول. لم يكن أحد ينتظره، وليس من أحد يريد أن يعرف ماذا فعل في الإجازة. لم يملك والداه مكانًا في فال مثل فيليب دينتون، أو بيت عطلات في مارجيت مثل هيتي هاتينج، حتى لو كان يخص جدّتها في الحقيقة. توقّف الكلب عن الحَكِّ وبدأ يُحدّق. كان من الواضح أن فين كان ينتظر لكي يستدير ويختفي عبر البوابة.

قال وهو يعتمر قبعته محاولًا ادّعاء الشجاعة: «يجب أن أذهب».

وافق الكلب فابتعد، ثم توقف لأن فين ظلّ متجدّرًا في مكانه.

قال جيمي اليوناني متجاوزًا إياه بسرعة: «مرحبًا أيها الأخرق! هل تحب التأخير؟ أم إنك ستأتي معي الآن؟»

حين وصلا إلى قاعة التجمع كان جيمي ما يزال يسحبه من كتف سترته. استدار فين جانبًا ورأى الكلب يتحرك بشكل متهور باتجاه هيلبرو. رفع ذقنه عاليًا وقد نفخ صدره المنخفض للغاية. أراد أن يراه يعبر الطريق بأمان، ولكن مدير المدرسة دعاهم ليتجمّعوا بانتظام وطالبهم بإغلاق الأبواب. استجاب العرّيفون بإغلاق الأبواب بأعلى صوت ممكن للتأكيد على سلطتهم. ممسكًا بعباءة دراكولا بكلتا يديه، أمر مدير المدرسة بأن يجلسوا جميعًا ويلتزموا الصمت.

جزازة العشب والطلاء الأبيض المستخدم في تحديد ملعب كرة القدم كانا الشاغل الرئيسي للسيد كوك، وتم العبث بكليهما خلال العطلة. توعّد بالعثور على الجناة، ثم سأل الجماهير المجمعة عن مقدار تكلفة جزازة العشب بالديزل القادرة على تشذيب ملعب رياضي. لم يكن لدى أحد الجرأة لاقتراح الثمن، وعندما قال «أكثر من خمسين راندًا» انطلقت أصوات دهشة من القاعة. أطلق شخصٌ ما صافرةً طويلةً ومنخفضةً، خنقها على الفور شدُّ جانبيّ قوي من العبء. أمسك مدير المدرسة المادة السوداء بشكل مسرحي لتلتقط كل الضوضاء غير الضرورية.

سرعان ما أصبحت الحاجة إلى اهتمامهم السريع واضحة.

- الآن، مسألة السرقة، أو استخدام الطلاء الأبيض.

في الأمور ذات الأهمية القصوى، كان السيد كوك يميل إلى جعل جُمَلِه ذات بَنَى قانونية. درس القانون مدة عامين قبل أن ينتقل إلى درجة التدريس، وعرف الجميع التضحيات التي قدمها من أجل المساهمة في النظام التعليمي في جنوب إفريقيا. دعاه الأولاد الأكبر سنًا المستشار كوك، ورسموا له صورًا وهو يرتدي باروكة شعر مستعار. «سيتم تقديم مرتكب أو مرتكبي هذه الأعمال للمحاكمة». كلما قَلَّ فهم الجمهور الكلمات والجُمَل ازداد إدراكهم لخطورة الجريمة. «السرقه والاستخدام المتعمد وغير القانوني لممتلكات المدرسة شيء واحد. ومع ذلك، فإن دمج هذا الفعل مع الألفاظ النابية هو قضية أخرى تمامًا. إنها تجاوز للحدود».

قال جيمي اليوناني وهو يكافح ليفهم: «ماذا؟ من؟» وصرخ فين على مؤخره رأسه مُحَبَطًا.

- تم العبث بجزارة العشب والطلاء.

تابع مدير المدرسة: «بالإضافة إلى أن شتائمكم -كلماتكم البذيئة- قد أُزيلت عن الجسر بجوار غرفة تغيير الملابس. والغرض والنية من هذا الفعل واضحان. إن هذا... هذا الفُحش السوقي كان القصد منه أن يُرَحَّب بالجميع في أول يوم لهم بعد عودتهم إلى المدرسة، مما يجعل الجريمة أكثر شناعة. وفي هذا الصدد، أشكر حارس الحديقة -السيد سويندون- على تصرُّفه في الوقت المناسب».

عند ذكر اسم السيد سويندون، استُعِيد انتباه الجمهور مؤقتًا. لم يسبق أن تَمَّت الإشارة إليه من المرتفعات الشاهقة لمنصَّة القاعة. كان عضوًا ريفيًا من الطاقم المدرسي، شخصًا عاش في الريف تحت قبعة القش الضخمة بحوافها الممضوغة، وعمل في أقاصي الحقول، في الزاوية الأبعد تحت أشجار الكينا، حيث كان يصنع السماد. لم يسبق أن رآه أحد في ممرات المدرسة أو القاعات الدراسية. ومهما كان الطقس، كان يرتدي قميصًا كاكيتًا وسروالًا قصيرًا أزرق باهتًا يُظهر رُكبتَيْه، وحذاءً بُنِيًا يصل إلى منتصف الساق.

ومع ذلك، فقد كانت لديه ميزة فريدة واحدة؛ كان يتحدث بلهجة راقية. عرف فيرنون ماك آرثر حقيقة أنه كان جنديًا في الحرب الكورية، حيث لم يوقف الشيوعية فحسب، بل رجع النوع الصيني منها. كان ذلك أسوأ من الشيوعية الروسية. قام الصينيون بأشياء مروعة باستخدام الخيزران الحاد، بينما أحاط الروس خصومهم بالثلج وتركوهم يموتون. بعد كل تلك البطولات، أصيب سويندون بشظية صغيرة في رأسه. قال فيرنون ماك آرثر: «ما تزال موجودة في رأسك». وأردف قائلاً: «إن الدماغ شيءٌ معقّد. لا يمكنك الذهاب إلى هناك مع زرديّة. تسمع كيف يتكلم. كان بإمكانك أن تصيح مليونيرًا، وتملك بنكًا».

ما أضاف المزيد إلى سحر سويندون هو أنه نادرًا ما كان يتحدث. وفي المناسبات، كان يتلقَّظ بكلمات طويلة بلهجة يتكلم بها عادةً ملوك الإنجليز.

سمع ثلاثة أشخاص ما قاله للآنسة رافين سبروك، التي كانت تدربهم على التنس بعد ظهر كل ثلاثاء. كانت قد وصلت للتو، ولسبب ما لم تكن الشباك مُجَهَّزة بعد. عندما خرج من المخزن وحملها على كتفيه، بدأت بالتعبير عن استيائها. في منتصف جملتها، رفع السيد سويندون يده وحذرهما من أن تُصاب بسكتة دماغية. أذهل كلامه الآنسة رافين سبروك، فصمتت مشدوهة. طيلة الفصل الدراسي التالي، أصبح ذلك المصطلح المفضل في الملعب. استخدمه الرماة بتأثير خاص خلال ألعاب الكريكيت الأكثر تنافسية عندما كان ضاربو الكرة في الفريق الخصم يعانون في اتخاذ قراراتهم بشأن من يخرج من اللعبة. حتى جيمي اليوناني بدأ في استخدامه، على الرغم من أنه قلبَ العين كإقافًا، ووجد أن الكلمة أكثر فائدة عند استخدامها للتهديد. «أحضر كرتي أو أسكت دماكك». إلى جانب تأثير السيد سويندون على مفردات المدرسة بين الفينة والأخرى، كان من الواضح أنه يستمتع بكونه غير مرئي. تخفى بواسطة الموظفين السود الستة الذين عمل معهم. كان جزءًا من مجموعة الظلال التي لم تكن موجودة إلا لتأدية مهام الحمل، والقص، والطلاء، والإصلاح. لم يُنظر إلى حقيقة أنه تحدث كثيرًا بلغة الزولو أو الخوسية على أنها إضافة إلى مهارته اللغوية، بل أكد ذلك فقط أن خياراته غير مهمة وغير واضحة. كان ذكر رجل من هذا النوع بعبارات المديح من خلف المنصة أمرًا جلالًا. افترض كل التلاميذ أن حذاءه الموحد وإبطه الملطخ بالعرق سيضمن ألا تتم الإشارة إليه مطلقًا.

باستثناء ذلك، لم يكن ثمة الكثير من الأخبار المثيرة في الاجتماع؛ لذا بدأت لغة السيد كوك القانونية تخبو. ما فاجأ المدرسة هو أن الآنسة توليب -التي كانت تدرس الصف الثاني- لن تعود. كانت قد قررت الانتقال إلى روستنبرج لأسباب شخصية. وأنها سُنْسَبَدَلُ بها السيدة كرامب، التي كان اسمها قريبًا بما يكفي من «كراب»⁽²⁸⁾ لجعل القاعة تمتلئ بقهقهة مكتومة. نشر مدير المدرسة عباةته مرة أخرى على نطاق واسع ليخفي الصوت. لم يكن ثمة مجال للمقارنة بين توليب وكرامب، على أي حال. حقيقة أن الآنسة توليب كانت شابة شقراء وجميلة جعلت الأمر أكثر من مجرد معركة غير عادلة. على الرغم من ادعاء فيليب دينتون أنه ألقى نظرة إلى أسفل تنورة الآنسة توليب في يوم الرياضة ولم ير شيئًا مميّزًا. تم إيقاف فيليب مدة عام، ولأنه الأكبر سنًا في الفصل، فقد اعتُبر مؤهلاً ليكون خبيرًا في هذه الأمور.

تبع خبر رحيل الآنسة توليب إلقاء لـ «قصة وولراد ولتميد الدرامية». ربما كانت القصة درامية بالفعل، ولكن إلقاءها لم يكن كذلك. تمتم السيد كوك كأنه يقرأ جدولًا جديدًا. لعله روى تلك الحكاية كثيرًا.

- كان وولراد مزارعًا متخصصًا في حقل الألبان ومنتجاتها في مزرعة «كيب داتش». ومات وهو يحاول إنقاذ الجنود المعرضين للخطر على متن السفينة

«دي يونجى توماس». كانت السفينة في خليج «تيل». عام 1775 في منتصف الشتاء. كان الكثيرون قد فُقدوا بسبب العاصفة. ومع ذلك، تشبَّت عددٌ من الناجين بهيكل السفينة. قاد وولراد ولتميد حصانه «فونك» -الذي يعني باللغة الإنجليزية «شرارة»- إلى الأمواج، وطلب من اثنين من البحارة في كل مرة القفز في البحر والانضمام إليه، ثم نقلهم إلى الشاطئ. فعل هذا سبع مرات، وأعاد أربعة عشر رجلًا.

توقف مدير المدرسة كوك فترة وجيزة لِيُقَوِّمَ جلسته ويتمطَّى، كما لو أن وزن أولئك الرجال قد أثر بطريقة ما على ظهره.

- مُنْهَكًا، حاول فعل ذلك مرة أخرى. كانت الأمواج كبيرة، وشرعت الريح تصفر. بدأت السفينة تنحرف -أي تنقلب-. أصيبَ الرجال على متن السفينة بالذعر. اعتقدوا أن تلك كانت الفرصة الأخيرة لهم لينجوا. ساد يأسٌ هائل بين أولئك الباقين في السفينة، وسقط ستة رجال في البحر وتمسَّكوا بالحصان. كان الوزن فوق استطاعة الفرس المُنْهَك.

قضمت هيتي هاتينج المتوترة بشدة ما تبقى من ظفر إبهامها الصغير، بينما بدأ كارلوس دي سوزا في نكش أنفه. توقفت حملة التنقيب فجأة عندما نظرت إليه مارجريت والاس الفائقة الجمال، التي كانت تجلس بجانبه. شجعه ذلك لتقريب ركبته شبرًا إلى ركبته وانتظر عَبَثًا أن تفعل الشيء نفسه.

- جُرَّ الجميع إلى الأسفل. تم العثور على جثة وولراد ولتميد في اليوم التالي، ولكن لم يتم العثور على جثة فرسه.

تركت القراءة الواقعية للقصة جمهوره دون عزاء، وغير مرتاحين، كما لو أنهم شاهدوا للتو قَسًا يُسرِع في إنهاء جنازة. بدأ مدير المدرسة نفسه منزعجًا قليلًا من الصمت الذي تسبَّب فيه. تحقق من أن شاربه لا يزال في مكانه، وعَيَّر ارتكازه ببطء من رجلٍ إلى الأخرى. في النهاية، في مكان ما بالقرب من مقدمة المسرح حيث جلس طلاب الصف الأول، تدمرت فتاة صغيرة. أمسك السيد كوك بردائه، ولكن بتصميم أقل هذه المرة. كان جيمي اليوناني يتصارع مع المفهوم بأكمله: «ماذا؟ إذن الرجل شهيم في البحر ثم أغرق حصانه؟!»

لكسر الحالة المزاجية الكثيبة والحفاظ على انسيابية الأمور، صرخ السيد كوك في وجه الجميع طالبًا منهم الوقوف حتى يُنْهوا الاجتماع بالصلاة الربانية. كان يأمل أن يكون الغرق البطولي أكثر إلهامًا، ولكن كل ما أمكنه أن يطلبه الآن هو التقوى الصارمة، بصوتٍ عالٍ وواضح. لطالما كان إلقاء أوامر الانضباط أسهل. شاهد بحرًا من الرؤوس تنحني متحدة، وانتظر توقف الحركة. ثم شبك مدير المدرسة يديه وتنحج. أبقى رأسه عاليًا وعينيه مفتوحتين، وصاح إلى أبينا الذي في السماء.

بمجرد وصول فين إلى فصله، لاحظ أن زيلدا كانت على حق. كان ثمة واصلٌ جديد. لم يكن الصبي كبيرًا جدًّا، ولكنه تحرَّك كأنه كذلك. لقد كان قويًّا، ومع

ذلك هادئًا. لاحظ فين أنه لم يقل شيئًا، إلا إن الجميع لاحظوه. كان جلده «متوسطيًا بشكل مؤكد» كما تقول جدته، وتشبَّث شعره الأسود الكثيف بجمجمته، فنسج بساطًا منخفضًا ومتجدِّدًا في فروة رأسه. عرف الفصل على الفور أن الأنسة سميت لم تحبه. ما جعله فريدًا من نوعه هو أنه لم يهتم وضوحًا. ابتسمت في وجهه مُظهرَةً الكثير من أسنانها. نظر إلى عينيها مباشرةً وابتسم ابتسامَةً عريضة بدوره.

- لا، اجلس هنا!

أبعَدته عن البياض الهش لمارجريت والاس. مثل كأسٍ رقيقة ودقيقة من الخزف الصيني الذي يُرَقَع عن صحن مينا خشن، جعلت مارجريت تقف حتى يتمكن الصبيُّ الغامق من المرور.

- يمكنك الجلوس بجانب كوبوس.

لم يكن كوبوس فيسر مسرورًا. كان قد افترض أن الشهرة التي اكتسبها بعد أن أصيب حديثًا بكسرٍ في الساق ستضمن له مساحة إضافية. «تَشَطَّت في كلا الاتجاهين». فَرَّق فيسر بين شفثيه العليا والسفلى في اتجاهين متعاكسين لتوضيح وجهة نظره. «كان بإمكانني رؤية العظم يخرج من جوربي. طَقَطَّت مثل قطعة بيلتونج⁽²⁹⁾». على الرغم من أن كل مقعد ومكتب مصمم لاستيعاب شخصين، فإنه كان يعتقد أن المساحة لا تكفي أكثر من حجمه الضخم وطرفه ذي الجبيرة. رفع ساقه المتضررة ليوسع الطريق، ووضع عُكَّازيه على الأرض. وبالمثل، أعرب الصبي الجديد عن استيائه من خلال الارتكاز بنصف مؤخرته على المقعد.

- اجلس بشكل ملائم.

جلس الصبي الجديد بثلاثة أرباع مؤخرته.

- قف الآن وأخبرنا باسمك.

- عدن كريم. لكن الكل يناديني آدم. بإمكانك مناداتي آدم أيضًا، لا بأس بذلك. كانت ثقته بنفسه غير معقولة، كادت تبدو غطرسة. فها هو ذا أحدث فرد في المدرسة يخبر المعلمة عن اسمه، ثم إن بإمكانها مناداته بشيء آخر.

- شكرًا لك يا عدن. يمكنك الجلوس الآن.

غرق عدن إلى الأسفل في أبطأ حركة بطيئة وابتسم، بحرصٍ مجددًا على أن تكون ابتسامته واسعة وكاذبة بقدر ما يسمح فمه.

تم حَلُّ لغزه الثاني في بداية الاستراحة الأولى، بينما وقف الجميع في طابور لتوقيع جبيرة فيسر البدين. بالإضافة إلى التوقيعات المزخرفة، كانت ثَمَّة بضعة طيور وزهور رسمتها الفتيات. وإن كان يتوقع قلوبًا بسهام تخرقها، فقد أخفى خيبة أمله جيدًا. رسم الصبيان أشكالًا بالكاد تشبه باتمان وباباي. أوضحت والدة فيسر أنه من غير المسموح رسم أي شيء بذيء، وكان من

الواضح أن ذلك رسم حدودًا لمُخَيَّلَتِهِمْ. وقف فين محتارًا آخر الطابور، وغير متأكد إن كان اسمه يستحق أن يُكتب على الجبيرة الباريسية. أمسك قلمه شارد الذهن كما لو كان لغرض آخر بالفعل.

وقف كارلوس دي سوزا منتظرًا أمامه وفي يده شطيرة من عجينة المارمايت. كان الصبي الوحيد في الصف الذي يملك شامةً على وجهه؛ شامة في منتصف المساحة بين أسفل أنفه وأعلى شفته العليا. كان من المستحيل الامتناع عن مراقبتها وهي تتموج في أثناء حديثه مثل عوامة بين الأمواج الهائجة. التفت عَرَصًا إلى فين وعَرَضَ عليه لقمة من شطيرته. فاجأت فين هذه البادرة اللطيفة غير المتوقعة. وعلى الرغم من أنه كان يُقَصِّلُ شطائر بوفريل⁽³⁰⁾، فقد وافق، وانتهى به الأمر مع نصف قشرة الخبز في فمه. نفض كارلوس في تلك الأثناء الفُتات عن ربطة عنقه، ولَعَقَ الفُتات الأكثر عناءًا بلسانه.

- من يستخدم قبضتيه وقدميه يُدعى «بورا»⁽³¹⁾.

نظرًا إلى أن السيد دي سوزا كان في الأصل من لشبونة، فقد بدا هذا البيان ذا مصداقية كافية. شد قبضتيه واتَّخَذَ وضعية الملاكمة: «قبلة برتغالية». ثم لفَّ كارلوس مرفقه، ثم دفعه ليصبح على بُعْدِ شِبْرٍ واحدٍ عن أنف فين.

حاول فين التزام الهدوء وعدم التراجع. أومأ برأسه وحَدَّقَ إلى الشامة في انتظار الموجة التالية. لم ينتبه كارلوس إلى نقطة من المارمايت عند زاوية فمه، ولكن الآن لم يكن وقتًا مناسبًا.

- من ناحية أخرى، من يستخدم السكاكين والزجاجات المكسورة يُدعى «ليب»⁽³²⁾.

حَوَّلَ يده اليمنى إلى سكين جيب، ويده اليسرى إلى عنق زجاجة مكسورة. سَنَجَعَتَ وضعيته فين لينقُصَّ عليه، فتقدَّم إلى الأمام لحظة، وشعر أنه عليه المشاركة في تلك اللعبة، ثم تراجع إلى الوراء وثبت في مكانه.

- وهذا هو الفرق بيننا.

أعاد كارلوس طرفي ذراعيه إلى يدين وتابع: «احترس إذن من هذا الصبي الجديد».

لم يكن اللبنانيون عندها سوى مجموعة قادمة من مايفير، وهي ضاحية بمنازل مصنوعة من الحديد المموج، التي تعانق خط السكة الحديد الخارجة من جوهانسبرج. كانوا مثل فرقة «برامي بويز»، أو «هيلز إينجلز»، أو المهاجرين والسكان الأصليين في قصة الجانب الغربي. لم يكن لدى فين أي فكرة عن أنهم يمثلون جنسية أيضًا ولديهم بلد. كان قد رأى مطاعم تُقدِّم طعمًا لبنانيًا، ولكنه لم يربط الأمرين معًا. اتضح له الآن فقط أن السيد كريم كان قادمًا من أرض أخرى، وأصبح تلقائيًا جزءًا من عصاة سيئة السمعة. كان

لدى البرتغاليين عصابة «بورا»، ولدى اللبنانيين عصابة «ليب»، بالإضافة إلى عضوية فورية في أقوى عصابة في جنوب إفريقيا. لا عجب أنه كان واثقًا جدًا. كانت مساهمة فيسر في المحادثة: «الكافر الأبيض». على الرغم من أن فين لاحظ أنه قام بفحص الفصل الدراسي أولاً للتأكد من أن عدن لم يكن هناك. وتابع: «دي سوزا، هل ستوقع أم لا؟»

لم يكتب قلم دي سوزا على الجصّ الخشن؛ لذا أعاره فين قلمه؛ كانت مقايضة عادلة للشطيرة. كما جعل توقعه أكثر طبيعية. لم يشعر أنه مضطر إلى أن يسأل فيسر إذا كان يريد اسمه على الجبيرة أم لا. بحث عن بعض الإلهام، ولم يجد شيئًا أصيلاً باستثناء رأس الحصان الذي رسمه جيمي اليوناني مع أنبوب تنفس ونظارات واقية من الماء. استقر في النهاية على بقعة بيضاء أسفل الركبة. قرر أنه سيكتب اسمه فقط؛ اسمه الكامل. كان حرف السين في ستيفن كبيرًا وفخورًا، حتى إن انحناءته تسللت إلى الرضفة قليلًا.

مشى الثلاثة إلى الجسر المجاور لغرف تبديل الملابس. تنتقل إليك شعبية معينة عندما تمشي مع صبي مصاب بكسر في الساق. يتم إيقاف المجموعة وطرح الكثير من الأسئلة. حتى لو لم تقل الكثير، فأنت جزء من فريق يتسبب في تكوين دوائر من حولك. وكلما كبرت الدائرة، كان الكسر أكثر وحشية. كان يلعب مع أصدقاء أخيه الأكبر. كان من المفترض أن تكون رجبي اللمس، ولكن «هؤلاء الرجال يصفعون بقوة هائلة». كان على وشك تسجيل هدف عندما «التف خرطوم الحديقة حول قدمه مثل ثعبان». في الوقت نفسه، هجم عليه جيريت -الذي شارك في مباريات فريق «هيلب مي كار»- بكامل وزنه. تسبب ذلك الحادث في غرز ساق فيسر على حافة شواية والده. الوعاء الذي يتسع لأربعة وأربعين جالوتًا، والمكسور إلى نصفين، جعل ركبته اليسرى تتجه إلى اليسار، بينما التف الكاحل المحبوس في الاتجاه المعاكس. قال فيسر معترفًا: «امتنعتُ عن البكاء بأعجوبة».

لم يصدق أحد الجزء الأخير من القصة، إلا إن قوانين اليوم الأول من العودة إلى المدرسة تركت الحكايات دون التدقيق في صحتها. في وقت لاحق، سيَدَّعي البعض أن كل ما فعله هو الانزلاق على خرطوم ليكي مثل الأطفال. لم يكن ثمة الكثير من الأدلة على مهارات فيسر الرياضية. وتجدر الإشارة أيضًا إلى أنه عوي باكيًا في الفصل السابق عندما اصطدمت به كرة تنس في خصيته في أثناء لعبة ستينجرز. ولم تكن رمية قوية حتى. ولكنه كان بطلاً اليوم، وكان مُعَدِّيًا. عندما وصل إلى الملاعب الرياضية أخيرًا، لاحظ فين أنه كان يعرج قليلًا بدوره ويُرخي ثقله على ساقه اليسرى.

كان الجسر مخيبًا للآمال؛ فقد ابتعد معظم الناس من حولهم، ولم يبق سوى المحققين المتشددين. قام السيد سويندون بعمل جيد بالفعل. من الواضح أنه أصلح كل الأضرار التي لحقت بالجزارة، ثم قام بعد ذلك بجَرِّ الكلمات بذكاء

رأسياً وأفقيًا، حيث أخفى اتجاه قطع العشب كل ما يقع تحته. ولكن هذا لم يمنع فيرنون ماك آرثر، الذي استلقى ورأسه على الأرض وَحَدَّقَ بين العشب. ظل يغير وضعيته، ثم يحدق إلى الأرض مثل لاعب سنوكر يحاول تصويب تسديده. نقر على جانب رأسه كأنه يستوعب الأمر ببطء. كان دائمًا يتصدر الفصل، مما منحه الحق في انتظار الجمهور قبل أن يتحدث. وتجمّع البعض مُذعنين حوله، بينما يتظاهر أنه غارق في أفكاره.

قال بشكل قاطع: «كانت ثلاث كلمات في الأصل، لكن يمكنني أن أقرأ واحدة فقط». لقد كان عملاً نادرًا من أعمال التواضع بهدف ترسيخ مصداقيته. قال: «هذه الكلمة هنا». نظر الجميع إلى العشب ولم يروا شيئًا. أدت الحرارة إلى تحويل العشب الطازج إلى بني فضي اللمعة، الذي يتموضع على السطح المائل للأخضر، مُخْفِيًا كل أسرارهِ. نفخ صبي صغير من الصف الثاني على أمل أن يرى ما تحته. قهقه فيرنون ماك آرثر بلا تعاطف بسبب غباء حركته. انحنى على ركبتيه محاولاً أن يفهم مرة أخرى. أوماً برأسه محادثاً نفسه وأكد عبقريته. قال: «إنها ذكر أو عضو».

صَدِمَت الفتيات بشدة. احْمَرَّرْنَ خَجَلًا ووضعن أيديهن على أفواههن. كن محرجات لدرجة منعهن من النظر إلى الجسر. ابتسم الأولاد متأسفين كأنهم كانوا يعرفون ذلك طوال الوقت. لم يستطع فين تصديق ما سمعه. دون تفكير، فتح فمه وحاول جعل لسانه يستجيب. لم يكن يُسَهِّلُ غَضَبُهُ عملية الكلام. تفاجأ بأن حتى حرف الباء رفض مطاوعته، واصطف متكررًا في طابورٍ رفض التقدم.

- أخب... ب... برنا أيّ الكلمتين؟

- أخب... ب... برتك.

- ولكن ليس... س... س... س... تشترك فيه الكلمتان. عندما تكون طالبًا متفوقًا، وفائزًا بالجائزة الأكاديمية، ويقود والدك أحدث إصدار من سيارة «فاليان تبارا كودا فاستباك»، فلن تضطر إلى الرد على شخص أخرق. عندما دق جرس المدرسة، ركض الجميع عائدين إلى فصولهم. توقف فيرنون فترة تكفي أداء دور القرد. أخرج فكه وحك إبطيه، والتقط القمل من صدره. هسهس بشفاه مزمزمة مثل الشمبانزي قبل أن يركض وبراجم أصابعه على الأرض: «غ... غ... غبي».

على الرغم من أن فيسر جذب الجماهير حوله في طريقه إلى الملاعب، ولكن في طريق العودة كان منعزلًا إلى حدٍ كبير. تأرجح بين عكازيه بأسرع ما يمكن، ولكن وزنه ونقص الديناميكا الهوائية بشكل عام أدّى إلى تقدم بطيء، وكان طريق صعود الهضبة تحديًا أصعب، فقد اضطرت ساقه المكسورة إلى الالتفاف من الجانبين، مما أدى أحيانًا إلى اصطدام قدمه بالسداة المطاطية في قاعدة العكاز. أمسكه فين مرتين وهو يميل إلى الجانبين. فكر في انحراف

السفينة «بمعنى الانقلاب». في كلتا الحالتين لم يكن ثمة ترحيب بوولراد ولتميد عندما عادا إلى الفصل أخيرًا. صاحت السيدة سميت عليهما لأنهما تأخرا، ولم يلتزم فيسر الأمانة ويقل إن فين كان يساعده. - إن كنتما تختاران أن تتصرفا بهذه الطريقة في اليوم الأول من المدرسة، فسوف تندمان حتى آخر يوم.

أنتج هذا التهديد المباشر تيارًا أكثر مما يمكن أن يتعامل معه رأس فين. حَيَّم عليه قلقٌ عميق بدأ رقصته القاسية مع توزيع كتب التاريخ المدرسية الجديدة. على الغلاف وقف جان فان ريبك عند قاعدة جبل تيبيل، مع ريشة في قبعته ويده مستندة على عصا مشي مغطاة بالذهب. في الزاوية العلوية اليمنى، حَدَّق رَجُلًا أدغال إلى الخلف، وكانا عاريين باستثناء ما يغطي عانتيهما. كان أحدهما قد رفع قوسه وسهمه، غير متأكد مما إذا كان الرجال من شركة الهند الشرقية الهولندية - بأحذيتهم المربوطة - يشكلون فريسة. تجمعت السحب عند رأس العواصف في دوامات بيضاء ورمادية ملطخة. إذا كانت الرياح تهب عبر الجزء العلوي من الغلاف، فلماذا كانت أشرعة سفينة دروميديس لا تزال متدلّية وهزيلة؟ هكذا تساءل فين. لَتَعَلَّقت الأشرعة بصواربها مثل الملاءات المرهقة التي ما تزال تتعافى من رحلتها الطويلة من هولندا.

أراد النزول إلى الخليج ومساعدة تلك النقاط التي كانت رؤوس البحارة. كان سيتسلق أعلى جبال الأشرعة والصواري إذا لزم الأمر لطَيِّ تلك الأشرعة ولَقَّها. وعندما يتم ذلك، سيكون سعيدًا بالانضمام إلى الرجال ذوي البشرة السمراء حفاة القدمين. لا بد أن لهم كهفًا في مكان ما حيث يمكنه أن يختبئ. يمكنهم تعليمه كيفية البقاء على قيد الحياة بعيدًا عن الأرض ومضغ جذور الصبار عندما يكون عطشًا. ربما يمكنهم حتى تسلق جبل تيبيل واستخدام مفرش المائدة القريب ليصبحوا غير مرئيين. لن يجده أحد بمجرد أن يصبح تحت إلى سماكته المتدفقة. ولا حتى السيدة سميت، التي عادت من الاستراحة الأولى مصممة على دَك سلطتها على الفصل، كان من الواضح أن عدن كريم قد هَزَّها. ووصول فين وفيسر المتأخر كان آخر ما تحتاج إليه. وقد تم تفسير أي انتهاك للقواعد باعتباره تحديًا مباشرًا لسيادتها. حتى هيتي هاتينج -التي تتملق المعلمة- طَلِبَ منها أن تعطس كما تفعل السيدات. في حيرة من أمرها، مسحت أنفها بمنديلها ودَفَعَت الخروف الوردي المُطَرَّر في كُلِّ من منخريها لتحرص على قيامها بمهمتها. جيمي اليوناني -الذي جلس أمامها- كان قد مسح مؤخرة رقبته وكان رذاذها أصابه، مما أضحك الجميع. كانت السيدة سميت قد صفعت وجه فان ريبك خمس مرات بمسطرتها التي يبلغ طولها ثماني عشرة بوصة. لم تتهاون مع الوقاحة إطلاقًا. كانت كومة الكتب ما تزال ترتعش على مكتبها بينما تنتظر الصمت المطلق. فحصت هيتي الحمل العائد حديثًا ورأسها منخفض. كان رطبًا بعض الشيء، ولكنه بحال جيدة.

قلق فين من أن وصوله المتأخر سيؤثر بطريقة ما على الحصة الأخيرة في اليوم، والتي كان عنوانها مصطلح «الفن» الواسع. تشمل حصة الفن بعد ظهر يوم الاثنين أي شيء؛ من تمزيق مجلات «هويسجنوت» القديمة لصنع كولاجات لنصب «فورتريكر»، إلى قدوم عضو من منظمة «جوهانسبرج فيلهارمونيك» ليشرح كيف تعمل آلة التوبا، «أكبر الآلات النحاسية وذات الدرجات الأكثر انخفاضًا». إلا إن فين عرف أن حصة اليوم تتعلق بتجارب أداء المسرحية المدرسية. أعلن السيد كوك أن السيدة سميت ستساعد الأنسة ديلمونت في إنتاج «الحدث الاستثنائي» لهذا الفصل. كان هذا بمكانة خفض لرتبة معلمتهم؛ إذ لم يكن عرضها السابق المستمد من رواية **ترنيمه عيد الميلاد** لتشارلز ديكنز ناجحًا. لقد فُرضَ عليها -على الرغم من أنه لم يكن يتضمن التطريز- في محاولة لخلق روح احتفالية صغيرة في نهاية العام. وكانت شخصية سكرودج لئيمة بدرجة كافية، ولكنها مفتقرة إلى نية التوبة.

من ناحية أخرى، تخرجت دافني ديلمونت من كلية الفنون والدراما، وقد صعدت خشبة المسرح «مرات أكثر مما تناولت الشاي، وأنا لا أشرب القهوة». انهال شعرها الأحمر الطويل أمام وخلف كتفيها. أقسم فيليب دينتون إنها لم تَرِدَ حمالة صدر قط. قال إنه عندما يكون الطقس باردًا، كانا بيرزان مثل الأسطح الدائرية فوق الأكواخ. كانت قد استبدلت بملابس المعلمين الأنيقة الجينز والحذاء الرياضي، ومعطفًا ذا زخارف سكان أمريكا الأصليين أسفل الجانب. تدلى الجلد الناعم مثل مريلة كبيرة؛ لذلك لم يستطع أحد دحض أو تأكيد ملاحظات دينتون. قالت وهي تلوح للطلاب ليدخلوا القاعة: «هيا يا أعزائي». وقفت السيدة سميت -بتنورتها السوداء، وكعبها العالي، وبلوزتها البيضاء المنتفخة- تحت صور رؤساء المدرسة السابقين. لم توفر الإطارات الخشبية السميقة والحروف الذهبية ملجأً كافيًا. عندما أصبح من الواضح أن هذا لن يكون إنتاجًا مشتركًا، اقتربت أكثر فأكثر من المخرج، قبل أن تختفي تمامًا.

تحوّل دعر فين الآن إلى مستوى جديد. أُرعبته ثرثرة الأنسة ديلمونت المنسابة، والطريقة التي ألقت بها الكلمات في مهب الريح وهي تعلم أين ستهبط. كان من المؤكد أنها ستفترض أن كل شخص يمتلك هذه القدرة. دندنت كلماتها وضحكت في منتصفها، ثم تابعت كأن شيئًا لم يحدث. تعمدت وضع العقبات في طريقها حتى تتمكن من القفز فوقها. راقبها فين تلوّن القاعة بصوتها، ثم تستخدم يديها مثل مايسترو، لتجعل جمهورها يقف في نصف دائرة حولها. وجد صعوبة في التنفس، وكان على وشك التبول في سرواله. فرك كفيه المتعرقتين على سرواله خوفًا من أن تمد يدها. قام بتمارين الفم، ورَدَدَ «هاو ناو براون كاو»⁽³³⁾ عشرات المرات في رأسه.

سألت وهي تفحص التجمع المقوَّس من اليسار إلى اليمين: «أين خليفات إنجريد بيرغمان وجودي جارلاند وأودريه بورن؟ وأين خلفاء لورانس أوليفير وكاري غرانت وهامفريو غارت؟»

نظر فين إلى أعلى إلى الصليب الخشبي المكشوف على اللوحة المسطحة فوق المنصة. انطلقت منه شرائط معدنية متفائلة، ولكن ابن الله كان قد رحل بالفعل.

مع غياب يسوع، أو ربما تساميه في صعوده، قرر فين الانضمام إلى الصيادين الجامعين مجددًا. كان الطقس صافيًا على قمة جبل تيبيل، وكان المنظر مذهلاً. تقاسموا التوت والمكسرات، وشاهدوا المحيطين العظيمين يتصادم بعضهما بالآخر. بعيدًا في البحر، غطست الحيتان رؤوسها الضخمة، وانثقت منها نوافير بيضاء إلى أعلى لتتضارب مع اللون الأزرق المثالي. قريبًا منهم، تجعدت الأمواج ذات اللون الأخضر الداكن قبل أن تُسطح نفسها على الشاطئ.

«مشكلة العالم أنه دائمًا ما ينقصه مشروب واحد إضافي»⁽³⁴⁾. أخذت دافني ديلمونت مجَّة عميقة من سيجارتها الخيالية، وحدقت إلى فين. اعتذر عن طريق تقويم ربطة عنقه، وأعاد تركيز عينيه عليها. فجأة أصبح صوتها عميقًا وكثيبًا. واصلت النظر إليه بعينين حزبتين مُبَطَّتين. عينان مليئتان بالألم العتيق والذكريات القديمة. «من بين كل البارات، في كل مدن، في كل العالم، يدخل إلي»⁽³⁵⁾. رفعت نخبًا أمام فين باستخدام كأس ويسكي، وابتسمت ابتسامة طفيفة حزينة. ابتسم بدوره، لكن لم يملك الشجاعة ليرد النخب. بدأ أحدهم في التصفيق، وسرعان ما صفق الفصل بأكمله. صفعه جيمي اليوناني على ظهره، رغم أنه لم يفعل شيئًا حقًا.

انحنت الأنسة ديلمونت ومال معطفها أمامها.

قالت: «حسنًا!» وشفقت يديها مثل صنجات فوق أذنها اليمنى. «فلنبدأ العمل! سنؤدي «حلم ليلة في منتصف الصيف». لكن يجب أن نجعلها نسختنا الخاصة. الكثير من المرح. تدور المسرحية حول ابنة لا تريد الاستماع إلى والدها، وفيها ملوك وملكات وجنيات. وفيها رجل برأس حمار حتى. وبا لاسمه المضحك! يدعى «بوتوم». ثمَّة أيضًا أعشاب في المسرحية، والتي -كما تعلمون جميعًا- هي اسم آخر للأدوية المهلوسة». قالت «الأدوية المهلوسة» بلا صوت، وأكَّدَ فمها على كل مقطع لفظي بوضوح، للتأكد من أن كل من ينتبه سوف يفهم. اتسعت عيناها لدرجة كادت تنفجر خارجة من رأسها.

السيدة سميت -التي عادت لتوها- كانت متيبسة وضوحًا، لأنها شدَّت من ظهرها على الحائط. وشعرها الذي يشبه الجرس -المتيبس بسبب رذاذ الشعر- احتك بالطلاء.

في هذه الأثناء، استولت الأنسة ديلمونت على كرسي، وأدارته وجلست عليه بالعكس. بدت وكأنها راعية بقر وساقاها مثبتتان على الجانبين، وتحدثت إلى

جمهورها بخفة: «دعونا نجعل الأمر بسيطًا. تعالوا إليّ واحدًا تلو الآخر. سنتحدث، ثم سأقرر الدور الذي ستحصلون عليه. أنا مشرفة تنسيق وتوزيع الأدوار. أبهروني!» لم يتحرك أحد. «قُلْتُ مديرة توزيع الأدوار، لا أكلة لحوم البشر الصغار». لم يتحرك أحد رغم ذلك. وضعت دافني ديلمونت الجزء الخلفي من معصمها على جبهتها، وبدأت تبكي.

قال جيمي اليوناني وهو يسير نحوها: «جنون. أكثر جنونًا من بحار الفرسان حتى». توقفت دافني عن البكاء على الفور، وابتسمت ابتسامة عريضة. سرعان ما اصطفَّ الجميع لرؤيتها.

وقف فين آخر الطابور. لاحظ أن معظم الناس تركوا الكراسي مبتهجين، على الرغم من أن عددًا من الأولاد أرادوا لعب دور «باك» لأنها بدت وكأنها كلمة سيئة بحق. حاول أن يتصرف بعفوية ويُقِرَّ بالسعادة التي ملأت الغرفة، ولكنه لم يستطع استيعابها. وازداد جفاف حلقه كلما اقترب أكثر. ردد «هاو ناو براون كاو» مجددًا، وأضاف «ذا رابت رانز راوند ذا راغد روكس»⁽³⁶⁾ إلى مجموعته. ومع ذلك، في اللحظة التي وقف فيها أمامها، فرغ عقله، وامتلأ فمه بالرمل.

- إذن، يا سيد بوغارت، هل تحب المسرح؟ هل تحب مساحيق تجميل الممثلين وإضاءة المسرح؟

فتح فين فمه. لم يخرج شيء.

- هل تحب الاختيال بأدائك على خشبة؟

لم يستطع فين جعل رأسه يومئ أو يهتز حتى.

- هل تستمتع بالأداء؟ هل مارست التمثيل الإيمائي؟

فتح فمه مرة أخرى كما تلهث سمكة عند سحبها من الماء.

- أفلام؟ سينما السيارات؟ كتب؟

بالكاد هَرَّ كتفيه.

- أنا أحب المسرح لأنه يسمح لك أن تكون شخصًا آخر. يمكنك أن تتحرر من

نفسك، أن تحلم، أن تضحك، وتمنح رأسك عطلة صغيرة. ألا تعتقد أنه من

الجيد الحصول على إجازة من كل ما ينبغي لنا أن نكونه في بعض الأحيان؟

رَفَّت شفثاه. كان ذلك كافيًا لملكة جمال ديلمونت ليكون اعترافًا بموافقته.

- لذلك أود أن أعطيك دورًا حاسمًا في المسرحية.

رفعت إحدى يديها كما لو كانت تدفع الرعب البارد المتصاعد من جسد فين.

نظر إلى الصليب. كان ما يزال فارغًا.

- حلم ليلة في منتصف الصيف. هي في الأساس مسرحية في الهواء الطلق.

تزخر بالطبيعة، وبالغابات والجليد، وما إلى هناك. وأريدك أن توجد في وسط

كل هذا. أريدك أن تكون الشجرة التي تدور حولها كل الأحداث، صامِتًا

ومُعَصَّنًا، ومَلَأًا بالحكمة، وتراقب كل شيء.

قال أخيرًا: «الك... ك... ك... كتب. أحب الكتب».
- ممتاز! سأعتبر أنك موافق إذن.

Crap بمعنى تَعُوْطُ باللغة الإنكليزية.

أحد أشكال اللحوم المقددة، وقد نشأ في بلدان جنوب إفريقيا.

Bovril: علامة تجارية لعجينة سميكة ومملحة من مستخلص اللحم وشبيهة بالمارمايت.

Porra: تسمية للبرتغاليين تستخدم بطريقة عنصرية.

Leb: تسمية للبنانيين تستخدم بطريقة عنصرية.

How now brown cow: جملة تستخدم في التدريب على النطق.

همفري The trouble with the world is that it's always one drink behind". - **Humphrey Bogart**

بوغارت.

جملة أيقونية قالها ريك بليين (الممثل همفري بوغارت) عندما ظهرت إيلسا (الممثلة إنجريد بيرغمان) في مقهى ريك في «كازابلانكا».

.The rabbit runs round the ragged rocks

غشاء العِثْق

Patina

pat'i-na/ noun/

مشى فين إلى المنزل مع قفز في خطوته، حتى إنه لعب الحجلة قليلاً على الرصيف الجديد خارج فندق أمبأسدور. لم يكن يومه الأول في المدرسة سيئاً كما كان يعتقد. نشر اللبناني مزاجاً جديداً، كأنهم يجلسون مع رجل عصابات في الفصل. شاركه دي زوسا شطيرة، وسمح له فيسر بالتوقيع على جبيرته، والأهم من ذلك كله أن ثقل دوره في المسرحية المدرسية قد أزيح عن كتفيه. كانت الحياة جيدة. حمل حقيبتة على إحدى كتفيه وسترته على الأخرى. عندما اقترب من زاوية شارع أورايلى وجادة كاثرين، كان يجلس هناك على الرصيف -مثل الكلب الأسود في وقت سابق من اليوم- هيب ثلاثة عشر اثنان.

- كيف كانت المدرسة؟

- جيدة.

- هذا جيد.

- لست في الحديقة؟

- اشتريتُ بعض الحليب للتو.

عرض على فين الشرب من الكرتونة المفتوحة قائلاً: «ما من جرائم، أعدك».

قال فين: «لا، شكراً». ومسح شفته العليا. فهم هيب ثلاثة عشر اثنان التلميح، وفرك الشارب الأبيض عن وجهه.

- كنت محقاً بشأن المسرحية. أنا شجرة.

- ممتاز.

- هذا بالضبط ما قالته الأنس... سد... سة ديلمونت.

- تكون قطعة خشب رائعة.

- سوف أكون مُعَصَّناً وملاًناً بالحكمة.

- توزيع مثالي للأدوار.

وقف هيب ثلاثة عشر اثنان وعرض آخر بوضة من الحليب مرة أخرى. قال: «إنه مفيدٌ لعظامك».

هَرَّ فين رأسه وشاهده ينهض ذاهباً.

- إلى أين تذهب الآن؟
- عائدُ إلى الحديقة.
- هل لي أن آتي؟
- إنها مساحة عامة.
- سأعتبر أنك موافق.

استلقيا في ظل شجرة الصفصاف الصغيرة، على الرغم من أن مقعد الحديقة كان في الظل أيضًا. استخدم فين حقيبته وسادة، واستخدم هيب ثلاثة عشر اثنان بطانية ملفوفة كان يسحبها من خلف شجيرة الأمس واليوم والغد. لم يشعر أيُّ منهما بالحاجة إلى الحديث، وأمضيا معظم وقتهما في التحديق إلى السُّحْب. كانت السحب أكثر لطفاً من تلك التي اكتسخت غلاف كتاب التاريخ الجديد؛ لم تكن مبرقعة باللون الرمادي، ولم تبدُ في عجلة من أمرها. توقفت أحيانًا لتسمح للشمس بالمرور، مما اضطر هيب ثلاثة عشر اثنان إلى إغلاق عينيه.

- أنت في حاجة إلى نظارة شمسية. تقول جدتي إن التحديق إلى الشمس يمكن أن يجعلك أعمى. ثمة ولد جديد في صفنا؛ عدن كريم.

- أليس آدم؟

- عدن. إنه «ليب». ليس كبيرًا جدًّا، ولكن الجميع يخافون منه، حتى السيدة سميت.

- يعتقد أنه قوي؛ لذا فهو كذلك.

- فيسر أكبر بكثير، ولا أحد يخاف منه حقًّا.

- لأنه لا يعتقد أنه رجل قوي.

أشار هيب ثلاثة عشر اثنان إلى منتصف جبهته وقال: «ما يهم هو ما تريد أن تكونه. كل شيء يكمن في العقل».

أوماً فين برأسه. شعر أن ذلك كان التصرف الناضج.

- احترس من الأشخاص الذين يريدون التلاعب بما في رأسك، وتشذيب روحك بطريقة أو بأخرى. طوَّبي للفضوليين إذ يعيشون مغامرات، وطوبى للممثلين بمخيلة إذ تُجَبِّهم تَعَطُّل العقول الصغيرة.

رفع فين رأسه عن حقيبته، وشاهد هيب يرفع يديه. ثم بارك فين بسلسلة من الصلبان والنجوم وعلامات التعجب، وشيءٍ يشبه الإطار الرشيق للغاية لجسد امرأة. تعبت ذراعاه، واستلقى مرة أخرى وهدق إلى السماء.

- الغيوم تقول الشيء نفسه.

عاد فين إلى وضعيته السابقة وحاول الاستماع.

- أتسمعه؟

- لا.

- أنت لا تُصغي إذن. هل ثمة أي شكل لا يمكن أن تكون عليه السحابة؟
لا.

- وبذلك أختم مرافعتي.

نهض فين وابتكأ على كوع واحد مرة أخرى، وَحَدَّقَ محاولاً أن يرى ما وراء
عيني هيب المغمضتين.

- تخيل لو لم يُسمح للسحب سوى أن تكون بشكل دوائر أو مربعات. قد
تكون مثلثًا جيدًا، أو متوازي أضلاع، أو قد لا يكون لديك أي خطوط أو زوايا
حادة على الإطلاق، أو قد تكون على شكل جوف قوقعة أو ورقة شجر.

- قال فيرنون ماك آرثر إنني أبدو مثل عصا. عصا... صا... صا ثقيلة اللس...
سا... سان. قال إن رقبتني نحيفة للغاية، ولا يمكنني تناول سوى الس...
سا... سباعيتي.

- هذه مظاهر فحسب. لا تدعهم يتركون آثارهم القذرة في رأسك. دع عقلك
ينتج غشاء العتق الخاص به. احم المسافة بين أذنيك، فهي تخصك.

- أمي تقول إن رأسي في الغيوم دائمًا.

- يرفع الكثير من الناس رؤوسهم نحو أماكن أسوأ بكثير.

سحب هيب ثلاثة عشر اثنان قبعته إلى الأسفل لحماية عينيه، ووضع ذراعيه
برفق على صدره. مدَّ جسده الطويل، ووجَّه أصابع قدميه إلى منطقة
مخلفات التعدين التي تحيط بجنوب جوهانسبرج. عندما هبت الرياح، ثارت
الرمال الصفراء من الجبال البعيدة مثل رَيد أمواج ضخمة تهدد بالتقدم، ولكنها
لم تفعل. بحث فين عن معنى كلمة «مُعَصَّن» في القاموس قبل أن يغادر
المدرسة، وأدرك الآن أنه يصف بشكل مثالي اليدين الموضوعتين على قميص
ذي نقشة بيزلي. بدت اليدان أكبر عمراً بكثير من وجه الرجل، وتم جلبهما من
جسد آخر. بينما كان فين يراقب، بدأت الأصابع تداعب النقشة المتشابكة
بلطف. تساءل عن اللحن الذي كان يحوم في رأسه.

رَدَّ شَدْوًا: «الأوقات تتغير».

- بوب ديLAN.

- أداؤه ليس سيئًا بالنسبة إلى رجل يغني من أنفه. لا يملك مظهرًا طبيعيًا
بالنسبة إلى نجم. أنا متأكد من أن عددًا من الأشخاص -الذين يدعون أنهم
يعرفون أكثر منه- كانوا سيخبرونه أن مساهمته الأفضل في الغناء تكمن في
التوقف عن فعله.

تابع:

الخط رُسيم،
واللعنة تم إلقاؤها
البطيء الآن

سيصبح سريعًا فيما بعد؛
فالحاضر الآن
سيصبح ماضيًا فيما بعد.
النظام
يتلاشى بسرعة،
والأول الآن
سيكون فيما بعد الأخير؛
لأن طبع الأوقات التغيير!

لحسن الحظ، أدّى مزيجًا من التمتمة والحديث والغناء، وظل مستلقياً على ظهره. نظر فين إلى ما حوله، ولكنه لم يستطع رؤية أي شخص على مرمى البصر. أدّت الأصابع «كريشندو»⁽³⁷⁾ أخيرًا ثم صمتت. خاطب فين الجسد بأكمله: «هل يمكنني أن أسألك ماذا كنت تفعل قبل هذا؟» بدا من غير المهذب سؤال وجهه عيناه مغمضتان. انتفخ الصدر، مما أوحى أن الجواب كان يحمل ثقلًا كبيرًا، وهرب الهواء من أنفه فترة طويلة للغاية.

- لَسْتُ متأكدًا من أنني أستطيع تذكر كل شيء. لقد كنتُ مزارعًا، وجنديًا، وبحارًا إذ كانت خدمة الحثالة السفلية تجعلك رجلًا بحارًا. بالتأكيد لم يجعلني ذلك طاهيًا. أتذكر أنني كنت أدير حانة يي أولد تافيرن، أكاد أرى عوارضها التيودور الخشبية الآن. ثم تَلَّتْها الوظائف المكتبية المنسية. شيء ما في الجلوس في حجرة صغيرة يُصِيبُ روح المرء بفقر الدم، تمتص الدم، تحنيط هندسي. لقد عَمِلْتُ بائعًا، ومدرب رقص في مدرسة آرثر موراي. لقد قمْتُ ببيع أشياء من كل الأنواع متجولًا، ولكنني لم أبيع نفسي يومًا حسب ظني. لقد بَعْتُ المكائس الكهربائية. «سيدتي، سجاتك تتوسل إليك لتسمح لي بالدخول لأريك كيف تعمل المكنسة». وصناديق الموسيقى. «عملة واحدة يا سيدي، وإفيس بريسلي نفسه سيضمن ألا يجد عملاؤك خيارًا سوى الوقوع في حبك». أصبحت مدمنًا على الكحول مؤخرًا. ما زلت كذلك، إلا أنني لم أعد أشرب.

ظَلَّت العيانان مغلقتين.

- إذن الرقص والغناء بسبب استوديو الرقص والموسيقى؟

- ربما.

- كان والدي مزارعًا أيضًا منذ فترة طويلة، لم يُفلح في الأمر. أصبح مريضًا الآن. ليس مدمنًا على الكحول، ولكنه يأخذ الكثير من الحبوب والحقن. تقول جدتي إنه يحب الحقن كثيرًا. تقول أحيانًا إن العلاج قد يكون أسوأ من المرض.

اعتاد أن يقرأ طوال اليوم، ثم ساءت حال عينيه حتى أصبحت تلك وظيفتي.
توقف هذا أيضًا الآن. أكره أجهزة التسجيل.

- مسيرة التكنولوجيا.

رأى فين فجأة جميع مكونات فيلبس ستريو كونتيننتال «401» تتكسر إلى أصغر أجزائها، لتشكل طابورًا طويلًا بقيادة البكرتين، وبدأت مسيرة نصر نحو غرفة نومه. لم يكن يعرف حقًا ما مكونات الآلة، ولكنه تخيل عجلات مسننة ومسامير، وأقراصًا ومفاتيح، وأختامًا، وأطرًا معدنية مسطحة تتبعها أسلاك كهربائية. في الخلف كان الميكروفون لا يزال متصلًا بسلكه الأسود محاولًا مواكبة المسير.

الآن جاء دور هيب ثلاثة عشر اثنان لرفع نفسه على كوعه والتحديث إلى فين.
كانا مثل نهايتي كتابين لا يوجد بينهما شيء.

- هل تعرف معنى التعذيب بالخازوق؟

- أعتقد ذلك.

- معناه أن تكون مُصابًا برمح، أو وتد، أو سيخ، فُثِّسَلَّ. ومع ذلك، فإن الوقت يتحرك من حولك ومن خلالك، سواء أحببت ذلك أم لا. لا يمكنك تشييته، أو دَقُّه في الأرض، فلماذا تحاول «خوزقة» نفسك هنا والآن؟
لم يتظاهر فين حتى بأنه فهم.

- تخيل لو وقفت هنا في الحديقة بقية حياتك.

أشار هيب إلى أنه على فين أن يقف ويتعد ياردات قليلة.

- انتظر هناك فحسب.

- أفعَل.

- ماذا يحدث؟

- لا شيء.

- خطأ! كل شيء يحدث. أنت تحدث، أنت تزداد طولًا وكِبَرًا: أظفارك تنمو، وكذلك شعرك، وسرعان ما ستحصل على تلك الأشياء تحت ذراعيك، وعلى صدرك، وفي أماكن قليلة أخرى. ستهبط خصيتاك، وسيخشن صوتك.
باعد فين بين قدميه قليلًا.

- وانظر إلى ما حولك: العشب، والزهور، وهذه الصفصافة. لا شيء يبقى على حاله. اختَلَفَت الغيوم عما كانت عليه عندما وقفت، تحركت الشمس عبر السماء. حتى مسبح الأطفال هناك سيكون به تموج لم يكن موجودًا من قبل لأن الريح غيرت اتجاهها. وذلك فقط في الثواني القليلة الماضية. تخيل ما سيجري عندما يتحوّل النهار إلى ليل، والصيف إلى شتاء.

شاهد فين سيدة عجوزًا تمشي إلى مقعد خلفهما وتجلس ببطء. أخرجت نصف رغيف خبز من حقيبة التسوق الخاصة بها وغرزت قبضتها فيه. بمجرد أن

انتهت من لكمه، سحبت قطعًا وألقت بها إلى الهواء. هبط نصفها فوقها، ولكنها لم تمانع ذلك. في غضون ثوان صار الحمام واليمام في كل مكان حولها. حطت إحداهن على كفافها، وطلبت منها أن تتصرف بتهديب. أغرتها بقشرة خبز لتنزل، وسجعت لها كلها، منادية المفضلات لديها بالاسم.

- لا شيء يبقى على حاله. نيل، وزيرو، وزيلش، ونوت، ونيكس، ونادا؛ كل شيء يرقص الفالس من حولنا. واحد، واثنان... وواحد، واثنان. سأقود الرقصة. على الرغم من أن فين رفض طلب أن يكون شريكًا له، فقد حوّل هيب الحديقة إلى قاعة رقص ودار حولها وحده. مآدًا ذراعيه، قرر أن يرقص في دائرة واسعة. اختفى خلف أشجار الجكراندة وظهر على الجانب الآخر من أشجار السنط.

حين عاد، كانت السيدة العجوز مختنقة بالحمام. حطت أكبرها على حجرها. لم يستطع فين أن يفهم إذا كانت ترى أن هذا سلوك مقبول أم لا. وبتحت الطائر بلطف شديد، حتى إنه ظل هناك ونقر على زرّ على قميصها. أطلقت ضحكة دغدغة. اتسعت ساقاها وهي تضحك. شعر فين بالحرص لرؤية أن جوربيها لم يعطيا ساقها سوى إلى ما فوق ركبتيها. تم طيهما في الأعلى بشريط سميك مثل جواربه المدرسية. خلق الطائر في النهاية. لوّحت السيدة العجوز وشاهدته يختفي في زرقة السماء. بقيت تحرق فترة طويلة بعد أن لم يعد هناك ما تراه. تنهدت بشدة وسألت نفسها إذا كان قد تبقى أي خبز، وأجابت أنه قد انتهى.

- تذكر الحقيقة الثلاثية وستفهم كل شيء.

- الحقيقة الثلاثية؟

قام هيب برسم ثلاثة كبيرة في الهواء، وتأتى ثم أضاف إشارة X بالحجم ذاته. لم يفهم فين ما يفعله. قام بتخزين الكلمات على أمل أن يفهما فيما بعد.

- هل تحب الذهاب إلى السينما؟

- نعم.

- ما الفيلم المفضل لديك؟

- لورانس العرب.

- لذا، الحقيقة الأولى، الشاشة يملؤها وجه بيتر أوتول وهو يقول مرحبًا لشريف علي، الذي يؤدي شخصيته أيا كان اسمه.

- عمر الشريف.

- الحقيقة الثانية هي اللقطة التالية، والتي تظهر كلاهما على الشاشة، ولكن يمكنك أن ترى أن عمر الشريف يشير إلى شيء ما. الحقيقة الثالثة، لقطة بانورامية واسعة تظهر الآلاف من رجال القبائل على جمال وهم يركضون نحوهما.

بدأت السيدة العجوز نفص فتات الخبز عن تنورتها. كانت تعلق أنملة إصبعها وتعطيها الحمامات التي رفضت المغادرة.

- أنت في حاجة إلى الثلاثة لفهم ما يحدث.

- أفترض ذلك.

- نحن نحكم بسرعة كبيرة على الحقيقة الأولى.

بدا أنهما ما عادا يملكان ما يقولانه لبعضهما أخيرًا. وقفت السيدة العجوز ممسكةً بحقيبة التسوق الخاصة بها وانتظرت. نظرت إلى كليهما طلبًا لتأكيد أن الأمر انتهى، وأنه يمكنها المغادرة. فهم فين قصدها، وعبث دون داع بالمزاج الموجودة في حقيبتها. لم يكن هيب ثلاثة عشر اثنان مفيدًا على الإطلاق، فقد ظل واقفًا في الوضعية نفسها تمامًا ونظر إلى السماء. كانوا جميعًا على مسافة متساوية من بعضهم بعضًا مُشككين مثلًا، ولم يرغب أحد في كسر التناظر.

في النهاية رَبَّتْ السيدة العجوز على شعرها كأنها تودّعهما وَمَشَتْ مبتعدة. سَوَّى نعلها العشب مع كل خطوة. راقب فين بطرف عينه أثرها المزدوج يقترب من بوابة المتنزه. عكس العشب المنحني الشمس فضيًا ورطبًا بشكل غريب. ارتدى سترته بأقصى سرعة ممكنة، ورفع حقيبته على مراحل حتى كتفه. انتقل هيب ثلاثة عشر اثنان إلى المقعد الذي تم إخلاؤه للتو وجلس في المنتصف، ونقر على قبعته للتأكد من أنها آمنة، ثم نشر كل ذراع على نطاق واسع بأسلوب غامض. كان بالإمكان تفسير الحركة السائلة الشبيهة بأجنحة طائر ضخم إما بأنها ادعاء للملكية وإما دعوة وديّة. عندما استدار فين ليذهب، رأى إصبعًا واحدة على الشريحة العلوية يحثه على العودة. كانت الدعوة لطيفة ولا تُقاوم في الوقت نفسه. مناجم الذهب - التي صارت بلون الخردل أكثر من الأصفر الآن - بَدَتْ سَرَابًا في وقتٍ متأخر بعد الظهر.

- الحقيقة الأولى: في الساعة العاشرة والنصف من هذا الصباح، زمجرت سيارة هامبر إمبيريال سوداء ذات سقف فضي متوقفةً خارج البناء رقم عشرين شارع أورايلي.

- سيارة الدكتور واينر.

- رفع السائق على عجل حقيبته الطبية السوداء عن مقعد الراكب، واندفع إلى داتشس كورت. الحقيقة الثانية: بعد ساعة، ظهر هذا الرجل نفسه مع امرأة ذات مظهر جذاب وفي الوقت نفسه مُتَعَب.

- أمي.

لم يرغب فين في المزيد من الحقائق. حاول أن يتذكر ما إذا كان هناك بالفعل مشهد في لورانس العرب حيث يشير عمر الشريف إلى آلاف من رجال القبائل الذين يهرعون على الجَمَال.

- تابع الطبيب وأمك مناقشتها الطويلة في الخارج على درج داتشس كورت. لم يَرَيَا -أو ربما اختاراً ألا يلاحظها- رجلاً في الجوار يرتدي قبعة من اللباد. كان جالساً على الرصيف يحاول فتح زجاجة من صلصة مسز بول، التي وجدها في سلة مهملات قريبة. كان لا يزال ثَمَّة بضع بوصات متبقية في الجزء السفلي، ولكن الغطاء كان عالقاً.

حدَّقَ فين إلى أمامه، وتذكر رجال القبائل على الجِمال وهم يهاجمون ميناء العقبة. كانت البندقية التركية الكبيرة بالاتجاه الخاطئ ونحو البحر. - يمكن للحمى الروماتيزمية -عندما لا يُصاب بها المرء في طفولته- أن تكون لها آثار طويلة الأمد، فتتسبَّب في أضرار في صمامات القلب والأنسجة النديبة للرجفان الأذيني. ربما أصيب والدك بنوبة قلبية. إنه مريض للغاية؛ لذا لا يمكنهم نقله إلى المستشفى لإجراء العملية. المشكلة الأساسية تكمن في رئتيه، لا يمكنهما تَحْمَلُ المخدر. لقد أضافوا إلى أدويته، وسيأتي اختصاصيَّ الليلة.

كما كان هناك الكثير من العرب على الجِمال عندما ذبحوا رتلًا من الجيش التركي المُنْسَجِب. ومع ذلك، لم يتذكر عمر الشريف في ذلك الجزء. صاح لورانس: «لا سجناء!» لأن الأتراك قتلوا مؤخرًا جميع سكان قرية طفس. - الحقيقة الثالثة...

اعتلى اللون الأرجواني منطقة مخلفات التعدين الخردليَّة. حمل فين حقيبته، ووضعها في حجره، ولكنه ظل جالساً. لم يشعر بهذا التعب من قبل. توقَّفَ عقله، والتفت إلى الرجل ذي القبعة منتظرًا التعليمات. - الحقيقة الثالثة لك الآن. عليك أن تقرَّر إلى أي مدى تريد أن ترى. - ليست ثلاثية فقط.

سمع صوته يقول: «أود أن ينتهي فيلم لورانس العرب عندما يركب رداءه الأبيض والذهبي بين الجبلين، ويقف جميع البدو على التلال وينادون اسمه. ولكن الجميع يعلم أن الأمر ينتهي عندما يموت في حادث دراجة نارية على طريقٍ ريفيٍّ في إنجلترا».

تصاعد تدريجي في درجة صوت الموسيقى.

مُقَارَبَة

Juxtaposition

juks-te-pa-zish'en/ noun/

عندما وصل فين إلى المنزل، عانقته والدته بشدة وأخبرته أن كل شيء على ما يرام قبل أن يسأل عمّا إذا كان ثمة خطب ما. عرضت عليه كوبًا من الشاي، ثم ضحكت لأنها لم تمنحه فرصة لنزع حقيبتهم حتى. جرت حادثة صغيرة هذا الصباح، قبل ذهابها إلى العمل مباشرة. تم خَلِّها الآن ولا داعي للقلق. السيد لانزداون -رئيسها- أعطاه إجازة كاملة مدة أسبوع! جعلت الأمر يبدو كأنه عطلة عفوية، وصدفت يديها فرحة. بالإضافة إلى ذلك، سألته عن إن أراد شراء السمك والبطاطا من متجر ماني في نهاية الشارع؛ إذ لم يكن ثمة داعٍ للمهام الشاقة في المطبخ ليلة الاثنين، وسألت إن كان يوافقها الرأي.

وافق فين، واستفسر إذا كان للحادث الصغير علاقة بوالده. قالت: «نعم». ثم تأتت لتُظهر إعجابها بفكره البوليسي بينما كان يعلق سترته المدرسية على كرسي غرفة الطعام. عرف أن طبيبًا آخر سيأتي الليلة للاطمئنان على كل شيء فحسب. «درهم وقاية خير من قنطار علاج». أوما برأسه، بينما أحضرت له والدته كوبًا من الماء الساخن. رأى كيس الشاي على لوح الخبز، ولكنه لم يقل شيئًا. جلسيت على الجانب الآخر من الطاولة وحركت وعاء الفاكهة الفارغ جانبيًا. بعد أن أزيلت العوائق بينهما، ابتسمت بأوسع ما تستطيع وفتحت عينيها بترقب.

- أخبرني الآن عن يومك أنت. كيف كانت المدرسة؟

ابتَهَجَت والدته لسماع أنه سيلعب دور شجرة، واعتقدت أنه سيكون رائعًا، وأسبقت لرحيل السيدة تولىب. على الرغم من أنها لم تقابلها يومًا، فقد بدت شخصًا لطيفًا. كما أمّلت أن تتعافى ساق كوبوس فيسر قريبًا. بدا لها عدن كريم بالتأكيد شابًا مثيرًا للاهتمام. وطلبت منه أن يدعو جيمي اليوناني للقدوم؛ إذ لم يزرهم في شقتهم منذ عصور. على الرغم من غياب أيِّ ذكر لكلمات فيرنون ماك آرثر الوقحة، فإنها اتفقت مع ابنها على أنه بالتأكيد متعال. أوضحت والدته أن هذا النوع من الناس يلقون قصاصًا عادلًا، ولا ينبغي له أن يقلق بشأنهم. وتابعت: «العجلة دَوّارة». كان كل ما تبقى في النهاية هو وولراد ولتميد، فإنها لم يشعر برغبة في مناقشة حصان يغرق.

قال: «هذا كل شيء». وتناول رشفة من الماء الدافئ.

- حَسَن!

صفت والدته بيديها مرةً أخرى قَرِحَةً. أوماً فين ووقف. كان يعرف أنه عليه تجاوز غرفة الطعام إلى الممر المظلم عاجلاً أو آجلاً. كما عرف أن باب غرفة نوم والده في نهاية ذلك النفق الأسود سيكون مغلقاً. ما لم يكن يعرفه هو ما قد يتوقع أن يرى على الجانب الآخر. لم يملك أي فكرة عن شكل الذبحة القلبية. كانت مُقَارِبَةً غريبة للكلمات. بدأ ذلك عدوانياً جداً. من الذي ذبح قلب أبيه؟ وكيف ذبحه؟ ولماذا تصيب الذبحات القلوب فقط؟ الرأس يُصاب بالصداع، والمعدة تتشنج، والكاحلان يلتويان، وسمع أن الطحال -مهما يكن ذلك- يتمزق، والرقبة تُصَقَع، ولكن القلوب وحدها تُذَبِح.

قالت: «أريد الكثير من الخل على البطاطا خاصتي».

لم يرَ فين والدته في حالة كهذه من قبل. كانت تحول نفسها إلى شخص آخر، مصممةً على الابتسام حتى لوعاء الفاكهة الفارغ. كانت قد وجدت مصدراً غامضاً للطاقة. بدا أن الكهرباء كانت تسري في جسدها. ارتجفت يداها ولوحت ذراعاها. دارت حول طاولة غرفة الطعام بسرعة كبيرة وضحكت على النكات الموجهة إلى نفسها وهي تربط مئزرها وتفكه. قررت خلعه أخيراً وتعليقه خلف باب المطبخ. وحدقت إلى كيس الشاي غير المستخدم ويدها على وركيها، هَزَّت كتفيها وأعادته إلى علبته.

- هل أنت بخير؟

- بأفضل حال.

رأى فين البودرة السميكة مملّسة بشكل استراتيجي على الهالات السوداء تحت عينيها. كان أحمر الشفاه جديداً وأحمر للغاية. أرادت أن تُجَمِّل وجهها، ولكن ضوء غرفة الطعام الساطع فضحها بوجهه الذي لا يلين ولا يستكين. مثل قناع ملتو قليلاً يُبرِزُ بدلاً من أن يُخفي. فَهَمَّت الأم نظرة الصبي الصغير حالاً، والتفتت إلى المرأة وَمَسَّحَتْ وجهها بمنديل.

- هل يمكنني الذ... ذهاب... إلى غرفته؟

- بالطبع!

دارت على الفور وسَدَّت طريقه. ثم عانقته مرةً أخرى فجأةً وعلى حين غَرَّة. كانت ذراعاها محاصرتين من جانبيه وجسده بزاوية غريبة. وبينما كان ينتظر إطلاق سراحه، حاول الوقوف منتصباً وجعل كتفيه بحجم كتفي رجل. عندما تحررت ذراعاها أخيراً، رَبَّت على ظهر والدته مثلما رأى العم إذ يفعل. بدا أن النقر اللطيف يرسل رسالة يفهمها كلاهما مثل شفرة مورس. بدأت الكهرباء تنفذ من والدته، وتهاوى جسدها. ابتعدت عن ابنها، ولكنها أمسكت بيده اليمنى. ضغطت عليها شاردة قبل أن تفركها بقوة.

انتظر فين وذراعه ممدودة. تقوس حاجبا والدته كأنها تذكرت فجأة شيئاً ما، ولكنها اختارت أن تظل صامتة. أفلتت يد ابنها إصبغاً تلو الأخرى.
قال فين: «كل شيء يتغير».

- كل شيء بالفعل.

- لا شيء يقف ساكناً.

- لا شيء بالفعل

- حتى عندما نعتقد أن شيئاً لا يحدث، فإن كل شيء من حولنا يتحرك. لذلك يجب ألا نترك الحاضر ينغرس فينا.

- صحيح ومُحكّم الصياغة.

أومات برأسها متأثرةً بغنى مفرداته، وواصلت: «لن نترك اليوم يضربنا برمح».

لم يرَ فين والده قط في تلك الليلة، ولا في صباح اليوم التالي. تغيّر كل شيء ما بين مغادرته لجلب السمك والبطاطا وعودته. مرض والده، وما عناه ذلك لم يعد قابلاً للاحتواء في عناق وإفلات بطيء ليده. حين فتح الباب الأمامي لم يكن هناك اختصاصي واحد، بل اثنان في غرفة النوم المغلقة. وقفت جدته -التي كانت ترتدي جوارب سوداء لتناسب مع بقية ملابسها- بإحدى قدميها في غرفة الطعام وأخرى في الصالة. أمسكت العتبة البشرية أنفها.

- هل طلبت سمكاً أو بطاطا مع الخل؟

شعر فين أنه قد تم خدعه وخيانتته. أراد أن يظل الأمر بسيطاً. كان بإمكانه التأقلم هو ووالدته لو سمح لهما الجميع بأن يكونا فريقاً. لم يكن ثمة لزوم لجدته، أو حتى للأطباء الآخرين. كان باستطاعته أن يكون رجل المنزل لو تُرك وحده. عندما سمع أن العم إد كان في طريقه أيضاً، تحوّل انزعاجه إلى دُغْرٍ حادّ. كان ثمة علاقة مباشرة واضحة بين حجم وخطورة الذبحة القلبية وعدد الحاضرين، وكانوا كثيرين. مثل حصان وولراد ولتميد، كان على وشك الغرق.

وصل العم إد ومعه علبة شوكلاتة. قال: «ليست مناسبة حقاً، لم أستطع التفكير في شيء آخر». اعتقدت ميرايده أنها لفتة رائعة، ووضعتها في خزانة جانبية وأقفلت الدرج. أصبحت الصالة غرفة الانتظار. ساد صوت نقر إبر حياكة جدّته، ودقّات الساعة. بعد نصف ساعة سأل العم إد عما إذا كان بإمكانه نزع سترته. رأت جدته أنه لا بأس بذلك إطلاقاً، وربّنت على شعرها مثل السيدة العجوز في الحديقة. وعُرضَ على الحضور جولة ثانية من الشاي، بالإضافة إلى اعتذارٍ عن رائحة الخل العنيدة.

قالت: «هذا أفضل ما أمكنني فعله». مُشيرةً باستنكارٍ إلى طبقٍ جانبي يحوي بسكويتاً منتشرًا مثل مجموعة أوراق اللعب.

- شكرًا، لقد تناولتُ العشاء.

دون طلب الإذن، شَغَلَ فين الراديو وجلس بساقين متقاطعتين ست بوصات أمام جرونديج. التقط الراديو بداية مسرح لوكس راديو، الذي كان يُبَثُّ يوم الإثنين ذاك وكل ليلة إثنين «من أجل متعة الاستماع». وعد الصوت بأفضل ما في الدراما الإذاعية ببساطة. عُثِرَ على رجل يتجول على الكثبان الرملية التي تعصف بها الرياح في سواكو بموند في جنوب غرب إفريقيا، ومع ذلك لم يملك أي ذكرى عن كيفية وصوله إلى هناك أو عن هويته. خافت الشرطة من أن يقترب سوءًا، فقد كانت حقول الماس في ساحل سكيليتون عامل جذب لمجموعة كريمة. وكان من المثير للاهتمام أن بدلته المصممة جيدًا كانت تروي قصة أخرى. لماذا كان الشيء الوحيد الموجود في محفظته صورة لامرأة جميلة؟ ومن كانت؟

قفز فين واقفًا عندما أدرك أن النقر اللطيف على الباب لم يكن مؤثرًا صوتيًا. عندما دعا زيلدا هيلوك للدخول، تحركت ميرايد لمنع دخولها إلى الصالة. ابتسم العم إد من فوق كتفها المنحيتين اللتين كانتا تتمايلان مثل كوبرا على وشك المهاجمة. باعتباره رجل المنزل، اختار فين الوقوف بينهما. تخطى الجدة على اليسار، بينما أشار إلى زيلدا لتتحرك يمينًا. صافح العم إد يدها بقوة، وقال إنه مسرور للتعرف إليها. مُحَافِظًا على سلوك مؤدب لا تشوبه شائبة، قال فين إنه متأكد من أن ميرايد قد التقت أو شاهدت زيلدا من قبل. أومات ميرايد برأسها، وَلَوَّحَتْ لها زيلدا تلويحة صغيرة.

- لا أريد أن أتسبب في أي إزعاج. لقد سَمِعْتُ الأخبار للثو، وأردتُ أن أعرف إن كان بإمكانني المساعدة بأي شكل.

- تَفَضَّلِي بالجلوس!

قادها العم إد إلى كرسي. ثم استأنف وقفته أمامها وواصل الابتسام. تعلق القماش السميك الذي يغطي مقعدها الدوار بتنورتها القصيرة البيضاء وسحبها إلى أعلى. تطلب الأمر عدة محاولات من زيلدا حتى تمسك القماش. في كل مرة رفعت فيها نفسها كان الكرسي يدور إلى اليسار أو اليمين ويصدر صريرًا فاضحًا. وجدت حافة تنورتها في النهاية وسحبته إلى أسفل. وصمت الكرسي حين لم تعد مضطرة إلى التملص. قامت زيلدا بطَيِّ يديها على حجرها وابتسمت نحو العم إدوارد بدورها.

قالت: «أسفة، هذا القماش المحبوك يلتصق بكل شيء».

قال إد: «يا للبهجة!»

«تقول إنك تعتقد أنك ألماني، ولكن لغتك الإنجليزية جيدة جدًا. وإن لم أكن مخطئًا، فهذه بدلة سافيل رو».

تساءل فين إن كان عليه إيقاف تشغيل الراديو.

فُتِحَ باب الممر، وخرجت والدة فين مع الاختصاصيين. تناقض إرهاقها الشديد مع مظهرهما الشبيه بـ «لوريل» و«هاردي»⁽³⁸⁾. كانا كلاهما يرتدي بدلة داكنة،

وربطة عنق سوداء، وقميصًا أبيض، ولكن أحدهما كان طويلًا ونحيلًا، والآخر مستديرًا بشاربٍ أسود كثيف. تخيلهما فين بقبعتين على الفور. بَدَوَا دَهْشِينِ إِلَى حَدٍّ مَا مِنْ تَنوعِ جَمهورِهِمَا. أَمَسَكَ كِلَ مِنْهُمَا بِظَهْرِ كَرسيِ غَرَفَةِ الطَّعامِ، وَأَمَسَكَ بِهِ مِثْلَ مَنْصَةِ. تَحَدَّثَ لُورِيلُ أَوَّلًا، بِاعتبارِهِ الشَّرِيكَ ذَا المَظْهَرِ الأَكْبَرِ سَنًا والأَكْثَرِ جَدِيَّةً. تَنَحَّجَ وَلَمَسَ صَدْغَهُ مَرَّتَيْنِ كَمَا يَنْقَرُ مُتَحَدِّثٌ عَلَى المَذْيَاعِ لَجَذْبِ الأَنْتَبَاهِ. وَقَفَ الجَمِيعُ وَانْتَظَرُوا.

قَدْ يَأْتِي وَقْتُ يَشْعُرُ فِيهِ الأَخْتِصاصِيُّونَ أَنَّ الأَتصالَ العاطْفِيَّ يَعُوقُ العِلْمَ، عِنْدَمَا تَصِبحُ أَيُّ مَحاولَةٍ لِلتَدْخُلِ بِجَانِبِ السَّرِيرِ تَشْتِيًّا لِلأَنْتَبَاهِ، قال: «يَمكِنُنا أَنْ نَحَدِّدَ بِدَرَجَةِ مَعِينَةٍ مِنَ اليَقِينِ أَنَّ المَرِيضَ أُصِيبَ بِذَبْحَةٍ قَلْبِيَّةٍ هَذَا الصَّبَاحَ».

أوما هاردي برأسه.

- مِنَ الصَّعْبِ التَّأَكُّدُ مِنْ مَدَى خَطُورَةِ هَذَا الحادِثِ. تَتَطَلَّبُ عَضَلَةُ القَلْبِ إِمدادًا دائِمًا بِالدَّمِ الغَنِيِّ بِالأَكْسِجِينِ لِلحِفاظِ عَلَيَّ وَظِيفَتِها. تُؤدِّي الشَّرايِينِ التَّاجِيَّةِ هَذَا الغَرَضَ، وَإِذا تَمَّ تَضْيِيقُها، أَثَّرَ ذَلِكَ عَلَى أَدائها. قال هاردي: «الأداء».

- هَذَا التَضْيِيقُ نائِجٌ عَنِ التَّرْيِيبِياتِ الدَّهْنِيَّةِ، وَهِيَ شَبِيهَةٌ بِاللُويحَةِ السَّنِّيَّةِ. وَتَنْكَسِرُ هَذِهِ اللُويحَةُ عِنْدَمَا تَتَصَلَّبُ، مِمَّا يَسبَبُ ما يُسَمَّى تَمزِقَ اللُويحَةِ. نَعْتَقِدُ أَنَّ هَذَا ما قَدْ يَحْدُثُ، مِمَّا أَدَّى إِلى تَشَكُّلِ جِلْطَةٍ دَمَوِيَّةٍ حَوْلَ اللُويحَةِ. وَأَدَّى ذَلِكَ بِدَوْرِهِ إِلى انْسِدَادِ الشَّرِيانِ، وَبالتَّالِي حَرمانِ عَضَلَةِ القَلْبِ مِنَ الأَكْسِجِينِ، وَبالتَّالِي التَّسبِيبُ فِي ذَبْحَةٍ قَلْبِيَّةٍ. هَذِهِ كَلْها بِالطَّبيعِ فَرَضِيَّةٌ ذاتِيَّةٌ مِنْ جَانِبِنَا، وَلَكِنْ اسْتِنتَاجِنَا مُتَّسِقٌ مَعَ الأَعْرَاضِ الظَّاهِرَةِ. وافق هاردي قائلاً: «الفرضية».

عَرَفَ فِيهِ أَنَّ الكَلِماتِ بَحْدِ ذاتِها كَانَتْ بِاللُّغَةِ الإِنْجِلِيزِيَّةِ، وَمَعَ ذَلِكَ فَقدَ بَدَتْ الجَمَلُ مِنْ لُغَةٍ أُخْرَى. لَمْ يَسْمَعْ حَدِيثًا طَبِيبًا مِنْ قَبْلِ. وَمِنْ الواضِحِ أَنَّهُمْ كَانُوا يَتَحَدَّثُونَ عَنِ شَيْءٍ، وَلَيْسَ عَنِ إنْسانِ، وَبالتَّأَكُّيدِ لَيْسَ عَنِ وَالِدِهِ. كَانَ لُوالِدِهِ اسْمٌ وَوَجْهٌُ مِثْلَهُمَا. وَلا بَدَأَ أَنَّهُ أَكْثَرُ مِنْ مَجْرَدِ مَجْمُوعَةٍ مِنَ الأَجْزاءِ المَسدُودَةِ. تابع لوريل: «إنه في حاجة إلى الراحة».

وأضاف هاردي: «الراحة في الفراش». قَلِيقًا رَبا ما أَنَّ الجَمهورَ الأَنْتَقائِيَّ يَحْتَاجُ إِلى تَعْلِيماتٍ أَكْثَرَ تَحديدًا.

اندفعت عينا لوريل فترة وجيزة تجاه زيلدا: «وإلى البعد عن الإثارة».

أَدَّتْ هَذِهِ الحَرَكَةُ المَتَخْفِيَّةُ إِلى صَمْتٍ غَرِيبٍ ائْتِبتُ فِجاءً، وَزادَ مِنْ غرابَتِهِ أَنَّ الجَمهورَ لَمْ يَعْرِفْ ما ذَا يَقُولُ أَوْ يَسألُ. مِثْلَ طُلابٍ فِي مَحاضِرَةٍ، لَمْ يَكُونُوا مَتَأَكِّدِينَ حَتَّى مِنْ أَنَّهُ بِإمْكانِهِمُ التَّحَدَّثُ. نَقَرَ لُورِيلُ عَلَى صَدْغِهِ مَرَّةً أُخْرَى، وَلَكِنَّهُ رَفَضَ قَوْلَ المَزِيدِ. حَدَقَ هَارْدِي إِلى صُورَةِ الزَّفافِ عَلَى مَنضَدَةِ خزانةِ

جانبيه، محاولاً ربما أن يفهم دور الرجل الأصلع الواقف أمامه. اقترب فين من والدته في محاولة لكسر الصمت، إلا إنه زاده فحسب. وضعت والدته إصبعها على شفيتها، مشيرة إلى أن أي صوت غير لائق. دخل الجميع في مسابقة تحديق غريبة؛ حيث يمكنك النظر إلى أي مكان بشرط ألا يكون اتجاه إنسان آخر. تُرِكَ الأمر لميرايد لكسر الجمود.

قالت وهي تحمل إبرة حياكة واحدة: «أوه، يا للهول!»

بدا الطبيبان في حيرة من أمرهما، وتساءلا لحظات عما إذا كان ذلك إشارة إلى حالة طبية. ولكن النبرة أوضحت أن التعجب كان موجهاً إلى دينيس في الغرفة المجاورة. بدا مقصدها أن سذاجة قام بها قد ساهمت في وضعه الحالي. مثل رجل تعثر في مجرفة في الحديقة، وتسبب إهماله في سقوط بعض اللويحات في أحد شرايينه. نظرت إلى الاثنتين في بدليتهما وانتظرت تأكيد تقييما.

أضاف لوريل: «راحة». وكان ذلك كل ما استطاع قوله وهو يفرك المقبض البالي لحقيبته الطبية قليلاً.

وأردف هاردي: «واحرصوا على أن يبقى مستريحاً». لم يكن في حوزته حقيبة طبيب، فمسح ظهر كرسي غرفة الطعام.

رَدَّدَت ميرايد مقولةً بلكنتها الثقيلة، وحدق الطبيبان إلى أمامهما بهدوء، فكَّرت: «سيحدث ما هو مكتوب».

قال إد متشججاً فجأة ومحاولاً تولي زمام الأمور: «حسناً!» ولكن حماسه لم يدم طويلاً، حيث لجأ على الفور إلى الآخرين طلباً للمساعدة.

عندها أدرك فين أنه كان أحق لاعتقاده أن ما يقوله الناس هو ما يهم؛ إذ كان الأهم ما لا يقولونه. تُسَخِّدَم الكلمات لتَجَنَّب التحدث عما هو مهم حقاً، لتطويق وإخفاء الحقيقة، للاحتفاظ بها في مكان سِرِّيِّ. باستطاعة الكبار أن يدَّعوا أنهم لا يكذبون لأنهم بارعون في التمويه. بآح الصمت بتلك الحقيقة.

«هاهاهاهاها! لا بد أنك تظنني أحق! هل تعتقد أن تمر كزي في سواكو بموند يجعلني محلياً قليل المعرفة؟ الآن تدَّعي أن اسم جوستاف يبدو مألوقاً؟ لدينا الكثير من الأسماك على هذا الساحل يا سيد، ويمكنني تمييز رائحة السمك الكاذب».

أنصت الجميع فجأة للراديو. ارتد الضحك المرير والصاخب عبر الصالة، وتهاوى في غرفة الطعام. لم يعرف الطبيبان ماذا يفعلان بشأن الضحك المبتهج باستثناء متابعة الحوار.

- هل لي ببعض الماء رجاءً؟

حوَلَّت لكنة الطبقة العليا الطلب إلى أمر.

- هل تعتقد أن هذا سيساعد في استعادة ذاكرتك؟

- لم ارتكب أي خطأ، ولم ارتكب أي جريمة.
- ما زلنا في انتظار التأكد من ذلك. أيها الرقيب! ضع هذا الرجل في زنزانه
يقضي ليلته فيها.

أيقظ الصوت القوي لاصطدام باب السجن الجميع من شرودهم، وحين
توقف الصوت المعدني للمفاتيح التي تدور في قفل، كانت الغرفة قد بدأت
تضج بالحركة. وضعت زيلدا ذراعها حول والدة فين وهمست بشيء في أذنها.
أمسكت ميرايدي طبق البسكويت وقدمت الشاي بازدياء. بعد أن استشعر
الطيبان أن وقت خروجهما قد حان، استدارا بدقة عسكرية وتوجها نحو الباب.
أطلق إد «عال» أخرى، وفتح الباب مع انحناءة خفيفة، ثم أغلقه خلفهما.
ساد الصمت الذي يبوح بكل شيء مرة أخرى.
- لا تقلق.

عرف فين أن هذا كان حديث البالغين الذي يعني العكس، ولكنه ابتسم في
وجه والدته بدوره على أي حال.
قالت: «كل شيء سيكون على ما يُرام. إنهما أفضل الاختصاصيين، من كبار
أطباء القلب في البلاد».

قال فين دون تفكير: «يشبهان لوريل وهاردي». خرجت الكلمات من فمه
بسرعة كما لم يفعل من قبل. طارت عن لسانه دون أي تحضير.
أذهلت الحضور سرعة جوابه كما أذهلتهم الجملة نفسها. لم تكن ثمة فجوات
بين كل كلمة، ولم يتمهل من أجل التدريب. وقد صهر الامتعاض -وربما الحنق
حتى- الكلمات لتندمج تمامًا. شاهد فين ذراع زيلدا وهي تسقط عن كتفي
والدتها وتدور في اتجاهه. سقط البسكويت على الأرض وتدحرج مثل العجلات
في أخاديد الأرضية الخشبية. إيد -الذي كان جالسًا- حلق لحظة ثم دفع نفسه
مجددًا نحو الوضع الرأسي.
ساد صمتٌ كان من نوع مختلف هذه المرة.

كانت ميرايدي هي من كسر الصمت مجددًا، عن طريق صوت لم يذكر فين أنه
قد سمعه من قبل. كان عميقًا وصابغًا، وانبعث من مكان لا يُستخدم كثيرًا.
تزايد في شدته ودرجته محاولًا إيجاد مخرج. سُمِعَ في البداية سُعالٌ يحاول
التقاط أنفاسه، ثم شيءٌ آخر بإيقاع مختلف. زفير واستنشاق غير منتظم،
وكان الصوت غريبًا، ولكنه لم يكن مزعجًا تمامًا. وعندما أدركت الغرفة أن تلك
هي الطريقة التي تضحك بها ميرايدي، أصيبوا بالعدوى.

دهش فين من قوة جملة واحدة. حتى في أثناء محاولته استعادة البسكويت
الجامح من تحت اللوح الجانبي، كان كل من في الغرفة ما يزالون متأثرين
بجملته. شخر العم إد بلا حول ولا قوة كأن ضحكته مُغلّفة بإحكام وتسكن أنفه.
استلقت زيلدا على الأريكة وهي تحاول استعادة أنفاسها. كانت مستلقية،
وأرخت قدمًا واحدة فقط على الأرض. ضحكت والدة فين في رشقات نارية

مستمرة، واستدارت جانبياً. اتكأت على الباب المنزلق، ودفعه وزنها ببطء لينغلق. قامت ميراييد بتهوية وجهها مستخدمةً الصحن الجانبي دون تكلف، وانحنى بقوة على جرونديج، وبدت أرجله المنحنية مُصَمَّمةً على تحمل وزنها. اندلج الضجيج في الغرفة فجأة، حتى إنَّ بال خرج من تحت طاولة الهاتف وكرة التنس في فمه وذيله القصير يهتز.

خفتت الضوضاء ببطء لتعود الحياة الطبيعية. اعتذر الجميع للجميع، رغم أن فين لم يرَ ضرورةً لذلك. غلبت ضحكة خافتة أو قهقهة من حين إلى آخر، خاصة عندما أصيبت زيلدا بالفواق. جلست وظهرها مقوَّس، مما وَجَّه ثدييها نحو السماء. اتبع العم إدوارد مسارهما نحو السقف. قِيلَتْ ميراييد إعادة البسكويت إلى الطبق، ولاحظت أن اثنتين فقط كانتا مكسورتين.

- البقية في حال جيدة. يمكنها العودة إلى الحزمة.

مدَّ إديده إلى أم فين المائلة وقال: «هل يمكنني مساعدتك يا ليل؟»

- لست ذات فائدة من هذه الزاوية، أليس كذلك؟

بعد أن رَتَّبَت تنورتها وأعدت مشبك حزامها إلى وسط خصرها، أومأت برأسها إلى ابنها، الذي كان لا يزال يحمل بسكويتة مكسورة في كل يد. قالت: «شكراً لك. كلنا كنا في حاجة إلى ذلك».

توجَّهت ميراييد إلى المطبخ وقالت: «ما يزال بإمكانني سَمُّ رائحة هذا الخل». كانت زيلدا أول من غادر، واعتبرت جدته ذلك بمكانة نصر أخلاقي. إلا إنه تلاشى تمامًا حين قَصَّت عشرين دقيقة في التحدث بهدوء مع والدته. شاهد فين المرأتين تتشرفقان على نفسيهما وهما تتناقشان. حسدهما على ثرثرتهما العفوية، وعلى الطريقة التي قَرَّبَهُمَا بها الهمس.

في أثناء حديثهما، تزايد غَيْظُ ميراييد أكثر فأكثر. أفرغَت سلة المهملات، وصَحَّت بالأطباق وغسلت الصحن مُعَلِنَةً عن احتجاجها البالغ. كانت تُرَعِدُ وتُزِيدُ دون جدوى. حَبَسَتَا نفسيهما في محادثة وانعزلتا عن العالم الخارجي. وقد وَصَّحَ إد مدى عمق تلك العزلة الإلزامية حين تقدم ثلاث مرات ثم تراجع؛ حيث لم يلاحظ وجوده أحد. سَكَّت ميراييد إلى حد ما بعد أن عرض إدوارد توصيلها إلى منزلها. على الرغم من أن هذا أيضًا قد أفسدَ حين أشار إلى زيلدا على أنها «صبية صغيرة مَرِحَة».

حال مغادرتهم، أكدت الغرفة الفارغة أن طبيعة السحر تحتم أن يختفي بدوره. ما كان لينجح لولا أنه يزول.

طلبت والدته متوسِّلةً في الوقت نفسه: «حان وقت النوم».

- هل يمكنني رؤيته؟

- غداً، ربما. تذكر ما قاله لوريل وهاردي؟ يحتاج إلى الراحة.

كره فين نفسه لشعوره بالارتياح، وللتعبير عن استيائه وتحدييه. انتقل إلى الصالة بدلاً من التوجه نحو غرفة نومه، مُعلِّناً أنه سيد قراره. الآن بعد أن ذهب الجميع، كان باستطاعته أن يكون رجل المنزل مرة أخرى.

- سفارتك تواصلت معي للتو.

- أي سفارة؟

- البريطانية. وأنت بالفعل جوستاف. جوستاف فون أبيندروث.

- حقاً؟

- هربت عائلتك من ألمانيا النازية في الثلاثينيات. لم يخضع والدك لمستقبل هتلر الفاشي. بعد أن فقد معظم إمبراطوريته الصناعية، هرب إلى لندن واصطحبك معه حين كنت صبيّاً صغيراً.

- ولكن ماذا أفعل في سواكو بموند؟

- جزء من تلك الإمبراطورية الصناعية يتضمن رخصة تعدين الماس على ساحل سكيليتون. رخصة ظنّ والدك أنها بلا قيمة. بعد وفاته العام الماضي، أصبحت الوصيّة على تركّته وقررت التحقق. تخيل كم انصدمت عندما وجدت منجمًا قائمًا بدل قطعة أرض قاحلة.

- بدأت أتذكر. أكاد أرى عجلات الآلات الرافعة لمدخل المنجم، وآلات التمهيد كبيرة...

- لعلها كانت آخر ما رأيته قبل أن تُضربَ على رأسك، وتُلقى في مؤخرة شاحنة مَسَّت بك مسافة عشرين ميلاً عبر الكثبان الرملية لتُترك لتموت.

- ولكن من أنا؟

- لست جوستاف فون أبيندروث فقط، أنت الكونت جوستاف فون أبيندروث!

- لا أعرف ماذا أقول!

- ربما تكفي الإشارة إلى أن الغاز الحية تتكشّف في مشهدٍ لا متناهٍ من الاحتمالات. من يدري ما الذي يحرك عواطف الإنسان؟ ولكن الآن، دعنا نحتفل بأن جشع المرء يوازنه رعايته الآخر. لو لم يتساءل ذلك الرجل المتجول حول سبب تقاطع مسارات الإطارات مع آثار الطيبي الذي كان يلحق به، لما كُنْتُ هنا اليوم.

- بالفعل.

- الآن، أعتقد أننا يجب أن نروي عطشك بشيء أقوى قليلاً من الماء!

Laurel and Hardy: ثنائي كوميدي، ذاع صيتهما في بداية المرحلة الهوليوودية الكلاسيكية من السينما الأمريكية.

سرية الهوية

Anonymity

e'non'im-iti/ noun/

لم تسمح له والدته بالدخول قبل أن يمر يومان كاملان. اقترب فين بخُطى صغيرة نحو والده، ثم وجد نسخة منه. بات والده الآن مصنوعًا من الشمع مثل دمية. صار أصفر وطريًا كأن جسده ينتج الراتنج. لَوَّحَتْ يَدُ مرفوعة مُقَرَّرَةً بوجوده، كانت مُصَفَّرَةً، ولكنها بدت مصقولةً أكثر من سواها، وَلَوَّحَ بدوره. بدا قناع الأكسجين أكبر الآن. ظل ينسلُّ ويغطي عيني والده كأنه واع لذاته. عبث فين بشريطين من الأربطة المطاطية خلف رأس والده، ولكن المَخروط البلاستيكي ظل يندفع إلى الأعلى ويدفع نظارته فوق حاجبيه.

- اتركه، لا أستطيع الرؤية على أي حال.

كان الصوت هو الشيء الوحيد المتبقي الذي بقي على حاله. بدا أطف وأخشن، وصارمًا بما يكفي لتذكيره بأن والده يقبع في مكان ما في تلك القشرة الصفراء.

- هل أحضر لك أي شيء؟

- قلبٌ جديد سيكون رائعًا.

رَتَّبَ فين غطاء السرير المُرتَّبَ بالفعل، وضرب الوسائد الإضافية الملقاة على الكرسي ليُعيد إليها حجمها. أراد رفع الشعر عن جبين والده، ولكنه خاف أن يلمسه، أن يشعر بالدبق الجديد لبشرته. لقد بدا سخيًّا مع غرة، إلا إن فين لم يستطع أن يفعل أي شيء حيال ذلك. كان عليه أن ينتظر والدته.

- إذا تعذر ذلك، يمكنك إعادة ملء كوبي.

كان الإبريق ثقيلًا جدًّا على فين، ورغم أنه استخدم كلتا يديه، فقد تدفق الماء في الكأس الضيقة بسرعة كبيرة ثم فاض منها، مما تسبب في بحيرة صغيرة بين المفروش وعلبة «ميلز سبيشل».

- شلالات فيكتوريا.

لأكثر من عام، كانت العلبة الصفراء فارغة ثلاثة أرباعها. على الرغم من أن والده لم يُعَدُّ يدخن، فإن السجائر الإنجليزية الفاخرة بقيت على حالها عند قاعدة المصباح المجاور للسرير.

بدأ والده يعاني في التنفس. خاف فين من أن تشعر النسخة بأنها مضطرة إلى التحدث إذا فعل شيئًا آخر، لذلك وقف ساكنًا وحدث. لم يكن ثمة حرج.

حَوَّل الصمت الرجل على السرير إلى جثة. كان له شكلٌ وتكوين، ولكنه بدا ميتًا عندما لم يتكلم. وبدت هسهسة الأكسجين تهويده، أو قُدَّاسًا ربما. حين استدار فين، كانت يد أبيه قد تحركت من صدره إلى جنبه، ومعها ذراعه فوق حافة السرير. ظن أنه قد سمع شخيرًا، ولكنه كان ما يزال يفتقر إلى الشجاعة لرفع يده ووضعه مرة أخرى على الكتان الأبيض. الأصابع الخمس -البيضاء والرخوة- تدلت مُعلّقة وهي تهبط نحو الأرض. لم يُقل هو ووالدته كلمة واحدة خلال العشاء، وكانت تلك الطريقة الوحيدة لخوض محادثة صادقة.

في اليوم التالي قبل الحصة الأولى، وقف بجانب جيمي اليوناني عند المبولة. - هيه! ووجه بولك إلى الأمام، لماذا يتناثر على حذائي؟
اعتذر فين.

- ما هو الأمر؟ حزينٌ أنت أكثر من المعتاد.
حاول أن يشرح وهما يقفان سَخَّابَيْهِمَا ويغسلان أيديهما ويجففانها على مؤخرة سرواليهما القصيرين: «ذبحة في القلب. لا يمكن أن يكون جيدًا». لَكَم فين على صدره.

- أمي تقول لا يوجد زيت زيتونٍ كافٍ في هذا البلد. كل شيء يعلق.
مَرَّرَ كُرَّتَهُ من الباب إلى أسفل الممر.

استمرت الحرب بين عدن كريم والسيدة سميت بلا هوادة. تضمنت مزيجًا من المناوشات العفوية والهجمات المخطط لها. أشارت إليه الآن باسم «عدم». وبدوره أضاف لثغة إلى تأنها. كانت تصرخ: «سميت مع حرف تاء مُشَدَّد». كان يرد: «فهمتُك، سيده سميت». ويلتغ في بقية جملته. اختفت اللثغة عند الاستراحة، وعادت بِشَكْلِ أَلْيٍّ عند عودته إلى الفصل.

- لا تظن أنني لا أعرف ما تفعل! ولا تظن أنني أخشى إرسالك إلى مكتب المدير!

- نعم، ثيدة سميت.

كانت السيدة سميت قصيرة وممتلئة بما يكفي لضمان أن ارتداء حزام لن يؤدي إلا إلى إبراز اللفافة المتموجة حول خصرها. زاد من ذلك إصرارها على ارتداء فساتين ضيقة جدًا، ومصنوعة من مادة تنتشبت بجسدها بشكل رجولي عموماً. الحزام، الذي غالبًا ما يكون ذهبيًا لامعًا بإبزيم مُبَهَّرَج، ومثبتًا على نسج أسود محبوك، يتموضع مرتفعًا جدًا منذ البداية على أي حال. وكلما ازداد غضبها، كان الشريط اللامع يشقُّ طريقه نحو الأعلى، وأصبح علامة على غضبها. كان هدف اللبناني هو رفع الحزام إلى أعلى مستوى ممكن. في الأيام الجيدة، كان يصل إلى قرب الإبطين بحلول الاستراحة الأولى، ولا يتوقف ارتفاعه الشاهق إلا بسبب حاجز صدريتها المخروطي.

لم يفهم فين الأمر. كانت لدى اللبناني لثغة وهمية، وبعثر جيمي اليوناني الكلمات في الجمل بشكل عشوائي، ومع ذلك فقد كانا الصبيين الأكثر شعبية في فصله. تحدثا بشكل سيئ ولم يهتمًا. ذبل في الصمت، ولم يقل شيئًا. كان سيُضحى بأي شيء ليكون مثلهما، سيتحدث دون أن يبالي كيف يبدو. أراد بشدة أن يتكلم بعفوية مرة أخرى. كان لديه دليل على أن كلماته يمكن أن تنطلق بسرعة كبيرة. ومع ذلك، كلما ازداد تفكيره في الأمر، قلت سيطرته على لسانه. تدرّب على الكلام بعفوية أمام المرأة عبر قول أشياء بلا معنى بسرعة. ولكن كيف تقول أشياء بلا معنى؟ عليك أن تفكر ولو قليلًا. وفي اللحظة التي يحدث فيها ذلك، كان لسانه ينكمش في أسفل فمه، ويمتلئ خداه بالهواء وترتعش شفتاه. ويحدق إلى الغباء، وإلى الخراقة، وتحقق إليه بدورها.

- السيدة سميث؟

- سميت.

رفع اللبناني ذراعه بفخر، وبشكل عمودي. حاولت السيدة سميت تجنبه. كانت قد أجبرته على الجلوس في الصف الأول، وندمت على هذا القرار. ظلت ذراعه مرفوعة إلى الأعلى مثل منارة، بينما كانت المعلمة تتظاهر بالبحث عن شيء ما في درجها. جلس فين خلفه مباشرة. وخزت الشعيرات الحادة لفرشاته الجديدة الجزء الخلفي من طوقه. بعد أن وجدت قطعة من الطباشير، أدارت السيدة سميت ظهرها إلى الفصل وشرعت في الكتابة على السبورة. لَوَّح اللبناني بيده المرفوعة، فقهقه الطلاب. واصلت السيدة سميت الكتابة. طوى اللبناني بضع أصابع ورفع علامة سلام، مما أثار المزيد من الضحك. واصل الطباشير مهاجمة السبورة. تحولت اليد مئة وثمانين درجة، مع بقاء الأصابع في مكانها.

كانت شهقة الطلاب فورية ومسموعة. وبدا أن ابتلاع الهواء الهائل قد اجتذب معلمتهم، التي توقفت لحظة. كانت حصة علم الأحياء بالكاد قد بدأت، وكانت قد أمضت معظم وقتها في رسم جرادة وبدأت تدوّن أسماء الأعضاء. يقع الصدر بين الرأس والبطن. عندما انتهت من كتابة «الصدر»، تظاهرت بالانتقال إلى قرتي الاستشعار، ولكنها استدارت. تبسّم اللبناني أصدق ابتساماته ويده مرفوعة الأصابع.

- ماذا؟

- أريت أخى، الذي يبلغ من العمر واحدًا وعشرين عامًا، كتاب التاريخ الخاص بي، ولم يتفق مع الصفحة السابعة عشرة. قال إن البيض هم من صنعوا الأعراق المختلطة. قال إنه إذا ذهبنا إلى متجر محلي وخلطنا الطلاء الأبيض بالطلاء الأسود فسينتج عن ذلك كرنفال «كون»⁽³⁹⁾.

- تُشكّل الأعراق المختلطة مجموعة عرقية بحد ذاتها.

- ولكن من صنعهم؟

قالت هيتي هاتينج وهي تضع قلم بيك في الأخدود الخشبي بجوار الحفرة التي كان يملؤها الحبر: «الله. لقد صنع كل شيء».

سألت السيدة سميت مشيرةً إلى ثقب في مؤخرة رسمها: «كم من الوقت يستغرق بيض الجراد حتى يفقس؟»

على الرغم من أن فين كان يعلم أن الإجابة كانت بين ستة وثمانية أسابيع، لكنه ظل منخفضًا. كان خبيرًا في الاختباء، وسمح له اللبناني بصقل مهارته. ولأن عدن كان الهدف الرئيسي، فقد اختفى كليًا عبر الاختباء خلفه تمامًا طيلة الوقت. كان اللبناني درعه، وكان فين ظله. من خلال خفض كتفيه والانحناء قليلًا، نسخ كل حركاته، وانخفض جهة اليسار واليمين بينما تتأرجح السترة أمامه ذهابًا وإيابًا. عندما يخفض رأسه نحو الأمام ليقرا أو ليكتب، كان يفعل المثل. تمطيا في انسجام تام. حتى نصف الالتفاتة في أثناء التحديق إلى النافذة كان متزامنًا. وكلمًا ازداد غضب السيدة سميت، ازدادت قوة عباءة الإخفاء خاصته.

سمح هذا لعقله بالتجول بينما كانت المعلمة تمارس دور الشرطة السرية النازية من منصتها المرتفعة. كل ما كان ينقصها هو شارب صغير. في كل مرة كانت ترفع يدها كان يردُّ لها التحية النازية. رَدَّدَ ألحان فرقة «أومباه»، وحوَّلَ كتاب الأحياء المدرسي إلى كتاب «كفاحي»⁽⁴⁰⁾، وقلَّدَ صعودها نحو النافذة لتفحص تجربة اللوبياء العملية. رسم صليبيًا معقوفًا على مؤخرتها الملفوفة بإحكام، وجعلها تطلق الريح في نهاية الدرس وهي تنحني لتضع أغراضها في حقيبتها.

انضم البافاريون بملابس ليدرهوره التقليدية، وأصوات غير مهذبة أطلقوها من آلات الترومبون والكلارينيت والتوبا خاصتهم.

قالت الأنسة ديلمونت بعد خمس دقائق: «أنت مجرد ساقين وذراعين ممتدتين الآن يا سيد لورانس. ولكنني سمعت أن مجموعة الفنون والحرف يتكرونها تحفة فنية. قريبًا ستكون أفضل شجرة في كل الأرض. تذكر، تنبت أشجار البلوط القوية من بذرة صغيرة!»

كانت انحناءتها الإليزابيثية -بيد واحدة ممدودة نحوه- منخفضة جدًا، وانهاled شعرها إلى الأمام مُشكلاً ستارة حمراء. توقفت مؤقتًا في تلك الوضعية، وكادت تقع بسبب ثقل رأسها. لم تكن بعيدة للغاية عن منصة الوقوف. وقبل أن يستسلم فين للذعر، دفعت رقبتها إلى الخلف. شاهد شعرها ينفرش مثل مروحة، ثم ينغلق في مشهد خارق خلف كتفها. تمامًا مثل شعر زيلدا، لم يكن شعرها شيئًا يمكن ترويضه، بل خُلِقَ ليكون حُرًّا.

قالت: «ستكون شجرة الحياة!»

بَدَت المسرحية المدرسية سهلة التحمل نسبيًا. شَكََّ فين أن الأنسة ديلمونت تستلطفه. لاحتته مثلما أقصته السيدة سميت. حتى إنه أحب مشاكساتها اللطيفة. تحدثت إليه دون أن تطلب إجابة، والأهم من ذلك كله أنه أحب قدرتها على الاحتفاء بالكلمات بذراعين متدفقتين ووركين ملتويتين وتعابير وجه مبالغ فيها. عندما توسلت الأنسة ديلمونت أن ت... عش... ع... ر المجموعة بالكلمات، نفخت صدرها، وأمسكت قلبها من تحت عباؤها وقدمته إلى فريق التمثيل.

لم يطل التوازن المثالي بين سرية الهوية والإقرار بوجوده دون الحاجة إلى رد. تغير يوم الإثنين من الأسبوع الثالث من الفصل الدراسي الجديد. وقد سبق ذلك عطلة نهاية أسبوع غريبة. كلما مشى فين برفقة بال أكثر، ازداد شعوره بأن هيب هناك، دون أن يراه. توقف مساء الأحد وجلس على المقعد بجانب الصفصافة، مقتنعًا أن هيب كان في الحديقة. استطاع أن يشعر به. انتشر الرمادي في الأفق، وشرع يصعد إلى أعلى التل. حين وصل إليه وحول العشب إلى صخرٍ داكن، لم يبق أحد. حتى الحمام ذهب ليجثم، واستقر في نهاية يومه وصمت.

في طريقه إلى الخارج، وجد جناحًا مائيًا⁽⁴¹⁾ مفرغًا جزئيًا بجانب البركة. ارتداه فين سوارًا، قبل أن يُعلِّقه على زاوية اللافتة التي تُنصُّ على أن قطف الزهور جريمة يعاقب عليها القانون. مُقتنعًا بأنه كان مُراقبًا، دار مثل السيدة سميت على السبورة. لم يكن هناك أحد. اقتحم كلبُ الأجمات وهرول عبر مزهر من نبتة المخملية. جعلته جذوعها القوية ومراكزها البرتقالية الثابتة يرتد دون أن يتوقف. بأذن واحدة إلى أعلى وأخرى إلى أسفل، تعرف على مُراقفه السابق إلى المدرسة. توقف الكلب ورفع ذقنه وحقق إليه. نظر فين إلى الخلف مرعوبًا بعض الشيء. ارتفع الذيل المكسور لحظات للتأكيد على ألفتيهما القديمة. تصرف بال كأنه غير موجود على الإطلاق. وقف الكلبان في مواجهة بعضهما بعضًا، ولم يعترف أحدهما بوجود الآخر. في النهاية، واصل الكلب رحلته. مر على بعد بوصات من بال، وكاد الالتواء في نهاية ذيله يتعلق بأذنيه. حلق بال إلى الأمام غير مهتم.

قال فين: «متعجرف».

انحنى لوضع الرسن، وحين نظر إلى أعلى، كان الكلب الآخر قد ذهب. اختفت الأرجل القصيرة جدًا المرتبطة بالجسم الطويل جدًا. افترض فين أنه قد اتخذ طريقًا مختصرًا من خلال اختراق السياج الخاص. وقف فين على يديه وركبتيه، وغرس رأسه في أوراق الشجر ولم يجد شيئًا. لم يكن على استعداد لقبول فكرة أن الكلب الذي جُمعت أجزاؤه بطريقة غير مُتقنة يمكن أن يختفي دون عناء. بدأ يصفر ليناديه. بالكاد خرجت النغمات اللاهثة المذهولة من فمه. ظل بال ساكنًا عند قدميه، هازنًا ومُسْتَقِلًا.

في صباح اليوم التالي، انتظر فين الكلب المكوّن من عدة أجزاء ليصطحبه إلى المدرسة. كان قد تمدد على سريره في الليلة السابقة ووجد إلى مُهَرَّجِه المُرْوَع وقرر أن هذا ما كان الحيوان يحاول إخباره به. تسكع خارج داتشس كورت، ثم تظاهر بأنه ينتظر جيمي اليوناني. لم يكن هناك أحد سوى حمامة جبلية ضخمة تسجع بإصرار من شجرة الجكراندة. اضطرب لعدم مجيء الكلب، واستطاع أن يشعر بثقله تُسْتَنَرَف مع كل خطوة تُقَرَّبُه إلى المدرسة، والثقب في معدته يصبح أكبر وأثقل. سحب سرواله الرمادي إلى أعلى، وسرواله الداخلي إلى أسفل. شد ربطة عنقه وعَدَل قبعته.

وقف بجانب مَكْتَبِه في انتظار الإذن بالجلوس. أدرك فين أن ذلك لم يكن هاجسًا خاطئًا. كان جرس المدرسة الصباحي بالكاد قد توقف عن الرنين عندما علم أنه في مشكلة. قرأت السيدة سميت بابتهاج من مذكرة قادمة من أمانة سِرِّ المدرسة توَصَّح أن عدم كريم لن يحضر إلى المدرسة اليوم لأنه كان في جنازة جده. باتت الفجوة بين فين ومعلمته مفتوحة الآن على مصراعها وغير محمية. كان في المنطقة المحرمة، ضعيفًا ومكشوفًا تمامًا. انْتَزَع من مخبئه السري، وظهر فجأة في الضوء الكامل، عاريًا للعلن. نظرت إليه السيدة سميت كما لو كانت المرة الأولى وابتسمت.

قالت: «جلوس!»

عندما هوى الطلاب في مقاعدهم، تحركوا خلف مكاتبهم وطووا أذرعهم. ابتسمت السيدة سميت مرة أخرى بسبب الانضباط في امتثال الأوامر، وبسبب الكرسي الفارغ في الصف الأمامي. كانت ابتسامة العارفة لامرأة شعرت أن السيطرة قد عادت إليها. شعرت أن جرأتهم باتت ضعيفة، ومن السهل كسرهما دون قائد لثورتهم. أدارت الكرة الجغرافية على طاولتها شاردة الذهن، محاولة التأثير عليهم، ومستمتعة بالتوتر الذي كانت تخلقه. طعنتها بإصبعها، وتوقف العالم فجأة.

صرخت هيتي هايتينج: «ألاسكا!»

- لم يَجِن موعد حصة الجغرافيا بعد.

أحنت هيتي رأسها اعتذارًا، وأطلق كوبوس فيسر ضحكة خافتة للغاية. أدارت السيدة سميت رأسها الشبيه بثعبان نحو الصبي المُحاصر ذي الساق المكسورة. لم تعد جبيرته بيضاء، وأصبحت الآن مغطاة برسومات سيئة لرعاة البقر وهم يطلقون النار بعضهم على الآخر بمسدسات على شكل عضو. ملأ القلق الغرفة وهي تتجه ببطء نحوه. حاول أن يصغر حجمه بالانزلاق تحت مكتبه، لكن لم يسمح نفق الجص الصلب الباريسي بذلك.

- أَل... لاس... كا.

حولتها إلى أغنية ثلاثية الكلمات شبه هامسة. ولكن كان كل منها مسميًا أرادت دفعه نحوه. كان حزامها ما يزال منخفضًا نسبيًا، على الرغم من أن

تنفسها الثقيل كان يدفعه ببطء إلى الأعلى. باتت السيدة سميت الآن قريبة جدًا من كوبوس فيسر، مما اضطره إلى التحديق إلى بطنها. نقرت على ساقه ذات الجبيرة، ثم تركت أصابعها تعزف عليها مثل البيانو.

- إنها الولاية الأكبر والأكثر كثافة سكانية في أمريكا. ماذا يمكنك أن تخبرني عنها أيضًا؟
- إنها كبيرة.

فهقه شخصٌ آخر، ولكن بما أن الضحك القاسي كان بسبب تلاُعِها، فقد كان هذا مسموحًا به، بل كاد يكون مُسْتَحَبًّا.
- لقد قُلْتُ ذلك بالفعل. ماذا بعد؟
- تُثَلِّج هناك.

- ثلج هناك؟ هذا كل ما تعرفه؟ أريدُ مقالًا من خمسمئة كلمة عن ألس... اس...
كا في الغد. ولا تستخدم مسافات واسعة. سأعَدُّ الكلمات.
وابتسمت مرةً أخرى وابتعدت مع بطنها.

أطلق التلاميذ تأوهًُا جماعيًا كان نصفه تعاطفًا ونصفه الآخر في ارتياح لأنهم لم يكونوا المستهدفين. وكان هذا النمط السائد في ذلك اليوم. صارت السيدة سميت تستفيد من غياب اللبناني إلى الحد الأقصى من خلال إبقاء «أرانيها» - كما بدأت تناديهم فجأة- في المطهر. صارت تتحدث بهدوء، وتتصرَّف بلطف وهي تغرز السكين، وحاولت منع وجهها من ابتسامة متكلفة وهي تحقق انتقامها. لم ينبُج سوى هيتي هاتينج ومارجريت والاس. تمت مكافأة هيتي على دعمها المستمر، وتم التغاضي عن مارجريت لأن الجميع يعرف أن والديها مهمان وثرعان. كانت تصل إلى المدرسة كل يوم في سيارة بونتياك كبيرة. حتى فيرونون ماك آرثر، المحمي عادةً، شعر بنقرة لسانها وهو ينزلق من فمها المبتسم.

- فيرونون، كم كانت نتيجتك في اختبار الحساب؟

- ثلاثًا وتسعين بالمئة، يا سيدة سميت.

- من المضحك كيف أن الكثير من الأولاد الذين يبلون جيدًا في المدرسة لا يستمرون في تحقيق النجاح في وقت لاحق في الحياة.

جلس فين خائفًا وهامدًا. مثل حيوان صغير في الغابة، كان يعلم أن سكونه التام هو نجاة الوحيدة. لم يستدر حتى عندما تحركت المعلمة من أمامه لمهاجمة الأطفال في الجزء الخلفي من الفصل. نجا فقط بعد الاستراحة الثانية، ولكنه لم يستطيع التخلص من الشعور بأنه يؤجَّل حتى النهاية لأنه غير كبير بما يكفي ليُشكَلَ طبقًا رئيسيًا، بل طبق تحلية مثالي. كانت الحصة الأخيرة من اليوم هي شعر الأدب الإنجليزي. حدق إلى الكلمات الثلاث التي كان عليه بتَّرها لثلاثم المربع الأخير في جدول الزماني. بدا الظل الذي سقط

على كتاب الأنطولوجيا الخاص به صبورًا وهادئًا. انتشر هناك فحسب، فرفع
فين رأسه ببطء لمعرفة السبب.
- يَسُرُّني انضمامك إلينا.

اكتملت سيطرة السيدة سميت على الفصل الآن.
توسلوا للحصول على قبولها، وصرخوا ليكونوا جزءًا من قبيلتها، وكانوا أكثر
المؤيدين حماسًا لمذبحتها، حتى عندما كانوا ضحيَّتها. في المقابل، سمحت لهم
الآن بالمشاركة. سوف تخلق الجرح، وبمكثهم بعد ذلك الانضمام إلى
المهرجان ورش أنفسهم بالدم.
- لَمْ أَرَكَ كَثِيرًا مُؤَخَّرًا.

اختفى فين أسفل المحبرة. تخيَّل نفسه بحجم نملة تزحف رأسًا على عقب
على طول الجانب السفلي من المكتب المظلم لتصبح شظايا الخشب بحجم
الأشجار، ولكنها آمنة. سيجد مكانًا أحدث فيه الخشب غير المستوي شقًا
ويزحف فيه. سيغوص أعمق وأعمق في الشق حتى يختفي تمامًا. لن يجده
أحد هناك، أبدًا.

في الوقت نفسه كانت السيدة سميت تشير إلى رقم صفحة مُقترحةً عليه
أن يقرأ منها. ولأنه كان بطيئًا بعض الشيء، قَتَحَت كتابه وكَسَرَت صلْبَه، فَرَقَدَ
مُعاقًا ومفروشًا على مكتبه. وقد رَحَّبَ طلاب الفصل بهذا الأدب الوهمي. عَبَّر
كوبوس فيسر عن سعادته من خلال ضرب مسطرتة البلاستيكية على ساقه
مُصَفِّقًا، ووقف الجالسون في الخلف من أجل رؤية أفضل.
- اسْتَدِر. قِف في مواجهة جمهورك.

سَخَبَتِ السيدة سميت إلى أعلى، وأدَارَتَه ووضعتَه في مكتب عدن وظهره
إلى السبورة. مثل حشد جامح في الكولوسيوم، انحنى الجميع إلى الأمام
لمشاهدة العرض. نظر فين إلى الصفحة ورأى الكلمات تغوص في الورقة. ما
كان ليتَرَكَّها تُفْلِت دون معركة. تتنحى ووضع إصبعه تحت الكلمة الأولى محاولًا
أن يبدأ. تسبَّبت حركته الشبيهة بحركات الأطفال في قهقهة عالية من كوبوس،
الذي عَرَضَ مسطرتَه بدلًا من ذلك، فَمَرَّرَهَا إلى كارلوس دي سوزا، الذي
مشى ببجاجة عبر القاعة وَقَدَّمَهَا إلى فين. هَزَّ فين رأسه، فألقى بها كارلوس
بلا مبالاة على مكتبه وهَزَّ كتفيه. رسم فيليب ديتتون دوائر بجانب رأسه
بإصبعه. ماذا يمكنك أن تفعل مع شخص أخرج؟

قالت السيدة سميت: «فروست، روبرت».

قال فين بارتياح شديد: «طريقان». وسمع صَاحًا، ولكنه حاول إبعاده عن
رأسه.

حَتَّه قائله: «نعم؟»

- تشعَّبًا... في... غابة... صفراء.

كان النصر حقيقياً بما يكفي؛ تخلص من سطر كامل. عرف أنه أتمه، ولكنه لم يعرف كم من الوقت استغرق ذلك. استجمع شجاعته لحظة. تساءل وهلة إن كان هذا قد يؤدي إلى التسبب في إسراعه لتنتلق الكلمات بسرعة جنونية. لم يحصل ذلك. ركز فين على السطر الأول أكثر مما ينبغي، فلم ير الكمين الذي ينتظره.

- و؟

- وآس... سد... سد... سد... سد... سد... سد...

أصبح الفصل جامحاً. كان فين أطرف شيء رأوه على الإطلاق. بخديه المُنتفحين كالسنباب، وشفثيه المرتعشتين مع الصوت المتكرر. قلده فيليب ديتون بأفضل أداء يقدر عليه، حتى السيدة سميت اضطرت إلى وضع يدها على فمها، ولكن ليس قبل أن يسمع الجميع ضحكتها.

- لأنني... لم أستطع... عب... عب... عبور... كليهما. فأنا... مسافر... وحيد، وقفت... مط... ط... طوَّلاً.

عندما قال فيليب ديتون: «أنت لا تمزح!» خرج الفصل عن السيطرة. في وسط كل الهستيريا، أبقى فين ذقنه على صدره. واصل تقسيم الجملة إلى كلمات منفصلة، وتلك الكلمات إلى أصوات منفصلة. وفصل الحروف عن الكلمات أحياناً ليصارعها بشكل فردي قبل إعادة جمعها. قام بتقطيع كل كلمة، وحرك عينيه يميناً ليطارد الكلمة التالية. بهذه الطريقة، وصل أخيراً إلى نهاية المقطع الأول.

- و... تظرت... إلى... أقصى... نهاية... أحدهما... حيث... انعطف... عند... الشجيرات.

قال «شجيرات» مرتين ليؤكد على الختام. لم يهتم أحد. كانت السيدة سميت قد عادت إلى طاولتها ومنصتها المرتفعة، وكان الوقت قد حان لاستعادة القليل من النظام. أصبح عدد من زملائه في الفصل أشبه بسمكة منتفخة، وحذقوا بعضهم إلى بعض ليروا من كان لديه أكبر خدين وأكثر الشفاه ارتعاشاً. حتى هيتي هاتينج بدت غير متوازنة؛ انفكت إحدى ضفيريها بطريقة ما، وضحكت وبكت في الوقت نفسه وهي تحاول إعادة جدلها. بلغت سماكة قاموس تشامبرز للقرن العشرين - وهو إصدار أحدث من قاموس والده - ألف وستمئة وتسع وأربعين صفحة. عرف فين ذلك لأن السيدة سميت غالباً ما أعطتهم هذه المعلومات في أثناء تهديدها الأسبوعي لجعلهم ينسخون كل صفحة. شاهدها وهي ترفعه وتنزله ثلاث مرات على مكتبها. وحبطت الكلمات المرتبة أبجدياً في سعيها إلى الصمت.

- شكراً لك.

شرع فين في الجلوس.

- ليست قصيدة من مقطع واحد.

تأوّه الفصل، غير متأكدين إن كان مسموحًا بالضحك، وتشاركوا ألم معلمتهم.
تَهَدَّت السيدة سميت بضجر، ومُقَدَّرَةً تَفَهَّم الطلاب.
- حسناً، المقطع الأخير فقط.
- س... س... سأروي... كل... هذا... بحس... حس... حسرة في... زمان...
ومكان... بعيدين.
- طيب! طيب! هذا كافٍ! افتحوا كتبكم أيها الطلاب. سنقرأ جميعًا حتى نهاية
آخر مقطع.

طريقان تشعّبا في الغابة، وأنا اخترت الطريق الذي يسلكه ناسٌ أقل وتغيّر كل شيء بعدها

جلس فين ببطء. القارئ البارع، الصبي الذي قرأ كتبًا أكثر من أي شخص آخر
في الفصل احتاج إلى مساعدة لإنهاء قصيدة. كانت جوقة كلماتهم إنشاديّة
وتهكمية. مع ارتفاع ضباب ساخن في رأسه، تحرك نحو حافة المحبرة. لعل
تعليق السيدة سميت اللاذع في وقت سابق هو ما جعل فيرنون ماك آرثر في
حاجة إلى إظهار أنه ليس ذكيًا أكاديميًا فحسب، بل هو ذكي اجتماعيًا أيضًا.
عندما ألقى فين نفسه في الظلام، سمع فيرنون يخاطب الفصل. لم يستدِر،
ولكنه تخيله يقف ويضع إبهامًا خلف طيبي سترته.

- لا يشتري علي ملابس المدرسة من متجر ماكولاف آند بوثويل، أو جون
أور، أو حتى أنستي. يشتري كل شيء من شتوتافوردز.
Coon Carnival: تم تغيير اسمه إلى «مهرجان كيب تاون الموسيقي المتجول» لاعتبار التسمية السابقة
مهينة عرقيًا. يتجول فيه ما يقرب من 1300 مغرٍ في الشوارع، مُرتدين ألوانًا فاقعة وحاملين مظلات
أو آلات موسيقية.
Mein Kampf بالألمانية: كتاب لأدولف هتلر يجمع ما بين السيرة الذاتية والشرح التفصيلي لنظريات كاتبه
النازية.
حزام بلاستيكي قابل للنفخ يُلبس أعلى الذراعين للمساعدة على العوم.

متعاطف

Simpatico

sim'patikeu/ adjective/

أما بقية الأسبوع، فجاءت على شكل قطع مُفَكَّكَة رفضت أن تجد ترتيبًا منطقيًا، ليس أن فين حاول جاهدًا، فقد توقف عن المعاناة لفهم الأشياء وراقبها فقط. على أي حال، انعطفت حياته من تلقاء نفسها.

تفوه الجميع بأنصاف حقائقهم، فأوما برأسه فحسب. بدأ يستمع بعينه. فهم الآن أنه عندما صفعه السيد ترينتيريدج بقوة على ظهره وهو يقول «أبها الصغير»، فقد كان يطلب منه أيضًا ألا يذكر أنه وجد دبوس ربطة عنقه الذي كان على شكل بطة طائرة في شقة زيلدا. كان قد وجده في الخيوط الملتوية لسجادتها البيضاء الشعثاء بجوار كيس الفاصولياء المفلطح. انكسر أحد جناحيها لأن الكعب السميكة لحذاءه المدرسي قد سحقه.

قالت زيلدا: «حسنًا، لا أظن أنها كانت ستطير إلى أي مكان على أي حال وهي مثبتة إلى ربطة عنق».

بعد ذلك مباشرة، في طريق نزوله من القسم رقم ثلاثة وأربعين، صادفته السيدة كابلان في المصعد. قالت إنها سمعت الخبر وصلت من أجله هو وعائلته. ارتدت الكلمات في الصندوق الخشبي، وانتهت تمامًا مع وصولهما إلى الطابق الأرضي. بدا أن عدم فهمه كلمة من لغتها اليبديّة⁽⁴²⁾ جعل كلامها أكثر أهمية وصوفية. مثل الأطباء، كان لله لغته الخاصة. سحب شبكة المعدن إلى الخلف من أجلها، ووضعت يدها فوق رأسه وضغطت. لم يكن متأكدًا مما إذا كانت تريد إرغام شيء ما على الدخول أو الخروج. وبينما كان يحدق إلى كمّها، عرف ما كان مكتوبًا تحت ساعدها. الابنة الكبرى للسيد ترينتيريدج - التي كانت مبكرة النضوج بقدر ما كان فين خجولًا - سألتها عن ذلك بينما كانت تقف في البهو في انتظار ابنها. نظرت السيدة كابلان إلى العلامات الموشومة، ثم نظرت إلى عيني الفتاة الصغيرة وقالت: «هذا رقم هاتف الجحيم».

كان الجميع يتحدث عن المستأجر الجديد الذي انتقل إلى شقة زيغي القديمة. ظنوا أنه لا يمكن لأحد أن يكون أكثر غرابية من عازف الساكسفون طويل الشعر، ولكن رومولو روسي - القادم حديثًا من فلورانس - قد بات منافسًا له. تم تغيير اسمه على الفور إلى روميو؛ نظرًا إلى سرواله الضيق وشعره الناعم ذي اللون الأسود الفاحم، والمقدّمة الشبيهة بغطاء محرك

سيارة بونتياك التي تَخُصُّ والدَيَّ مارجريت والاس. كشف قميصه عن كل شيء بلا خجل، بما في ذلك علبة السجائر التي كان يحتفظ بها في كُمِّه. واعتبر الجميع تَهْنِئَةً في الأماكن العامة -مستخدمًا مرآة المصعد المزدهم لِيُعَجِّبَ بنفسه- أمرًا شائئًا.

قال السيد تريبتريدج: «كاثوليكي».

أُضِيفَت طبقة أخرى من القيل والقال عندما أعلن الناطور -وهو رجل اعتاد التنظيف والسباكة ولوحة كهرباء السباغيتي- أنه اضطر إلى مراقبته. بينما كان ينزع الجهة المحروقة عن قطعة لحم الضأن الوحيدة، قال إنه سمع أن المستأجر الجديد يحب الشوكولاتة الداكنة. لعل أفكار فين سابقًا كانت ستتمحور حول الشرور المحتملة للوح شوكولا «كادبوري»، ولكنه بدأ يفهم الشفرة الآن. رأى دفع الأكواع وابتسامات العارفين من جميع الرجال. لم يكونوا في مكتبه الصغير من أجل جمع بريدهم فحسب.

قال وهو يوزع المغلفات: «يجب أن تتوخَّوا الحذر، فقد أرسلوا مفتشًا حكوميًّا للتحقق في الأسبوع الماضي فقط. يسمونه قانون الفجور⁽⁴³⁾. أدعوه شيئًا آخر! أما عن نفسي، فأنا أَفْضَلُ شوكولاتة الحليب».

ضحك فين مع الآخرين.

على الرغم من أن اللبناني عاد إلى المدرسة وإلى مقعده، فإن الأمور لم تُعَد إلى حالها تمامًا. كان الأذى قد تم. باتت المعركة شخصية أكثر الآن، وجهًا لوجه. كان باقي الفصل أكثر صمًّا في دعمهم. لم تحدث لثغته أي رد فعل، وكبحوا ضحكهم حتى عندما ألصق صندوق غداء السيدة سميت على مسطرتها. حَدَّثَتْ كأنها صياد في انتظار فريسة مفاجئة، ومع ذلك فقد انتشر الخوف في الفصل أكثر من المرح؛ إذ كانوا فقدوا أعصابهم. عرض فيرنون ماك آرثر -الذي بات قلقًا بشدة الآن بشأن مستقبله- أن يفصلهما بسكينه العسكري السويسري.

واصل فين الاختباء خلف اللبناني على الرغم من انكشاف مخبئه. كانت تحركاته أقل دقة؛ لشعوره بأنه ليس ذا أهمية كبيرة بالنسبة إليها. سحقته السيدة سميت حتى صار بالكاد موجودًا، وأكد الجميع على تبخُّره. لم يتحدثوا معه عند الاستراحة أو يضموه إلى أيٍّ من الفرق. حاول أن يقف على مسافة متساوية من المجموعات بحيث لا يُنْتَهَمَ بمحاولة إلحاق نفسه بأي شخص. لم يكن حتى مهمًّا بما يكفي ليسخر أحد منه بعد الآن. آخر عمل للاعتراف بوجوده كان مربى الفراولة، التي كشفتها شخص ما عن شطيرة ومسحها في كتاب التاريخ خاصته. ستبقى جمهورية بول كروجر 1883 - 1900 موسومة إلى الأبد بتلك الزوجة الحمراء ذات الرائحة الحلوة. شَكُّ أن فيليب ديتون من فعلها؛ فقد سمعه يقول إنه يريد أن يمارس الجنس مع شتوتافوردز ولكنه لم يكن متأكدًا من أنه يستحق الجهد. واختتم حديثه قائلاً: «مثل مضاجعة غزل البنات».

قالت الأنسة ديلمونت: «أنت شجرة بلوط ذابلة بعض الشيء اليوم». لم ترتدِ عباءة هذه المرة، بل سترة واسعة ذات فتحة دائرية عند الرقبة، مثل تلك التي يرتديها الهنود في جناح شرق إفريقيا عندما يقدمون الكاري للزبائن. «لعل جذورك تحتاج إلى الماء!».

حاول أن يتسم. رفعت ذراعيها جانبًا وشرعت تتهاوى. انتقلت دوامة الضباب مستحيلة الإيقاف إلى رأسه. ورغم أنه كان بعيدًا عن مكتبه، فإنه نزل إلى المحبرة على أي حال. تطوّرت تلك العادة لديه. كما هي الحال مع الستارة السوداء خلف المسرح، حيث كان بإمكانه أن يخطو حُطًى جانبية فحسب حتى يختفي، مثل شرخ في عقله يستطيع أن ينزلق إليه. سيظل واقفًا هناك بينما يكون في مكان آخر حقيقةً.

- حَقَّفْ عنك!

ربتت بقوة على جذعه قبل أن تدور حول مارجريت والاس.

- أنت تيتانيا يا حلوة، ملكة الجنيات، ولستِ دمية باربي. استخدمني تلك الأجنحة. دعينا نراها ترفرف!

قدم مدير المدرسة -السيد كوك- بمدخلة موجزة. ظل يطلب من الأطفال الجلوس، ولكن بعد أن وقفوا جميعًا من أجله. رغم أن سترته كانت مُزَرَّرَة، فقد كانت ربطة عنقه طويلة قليلًا، وتجاوزت إبزيم حزامه. سار في دائرة بطيئة حول القاعة بأكملها، مُفَتِّشًا قَوَّاته. يتوقف بين الفينة والأخرى عند زهرة مصنوعة من ورق مجعد، أو أرنب محشو ليُبيدي موافقته: «جميل، لطيف للغاية. يا للدقة!» ثم يواصل جولته. وقد أعجب بشكل خاص برأس حمار مُجَوَّف مصنوع من الورق المقوى ومغطى بشرائح من بساط بُتِّي. أدخل أصابعه في عينيه المُجَوَّفَتين قائلاً: «ممتاز، ممتاز». حين أكمل دائرته، بات يقف أمام الأنسة ديلمونت وشجرة يغطيها نسيج أخضر حتى وسطها.

- آملُ أن تكون قد طلبتِ إذن المالك قبل أن تسحب ذلك من طاولة السنوكر الخاصة به!

أجابت المخرجة: «يستحيل أن يوصم بالخطأ ما يُبَرِّره التواضع والواجب».⁽⁴⁴⁾

لم يعرف مدير المدرسة ماذا يفعل حين انحنت المعلمة بعدها، وخطا إلى وراءه للتأكد من أنه لم يقف على شعرها. كانت اللغة الإنجليزية لغة السيد كوك الثانية. وقد فضل اللغة الإفريقية التي رأى أنها مباشرة، بينما كانت اللغة الإنجليزية ملغزة. وكانت تغمره مشاعر الرهبة والغضب بالقدر ذاته حين يتكلم الناس باللغة الإنجليزية القديمة الفصيحة. كان يأمل أن يؤدُّوا مسرحية أكثر جنوب إفريقيَّة، إعادة تمثيل معركة نهر الدم وذبح الزولو ربما. بدلًا من ذلك، كانت لديه جنيات ورؤوس حمير، وأنصاف أشجار. وضع طرف ربطة عنقه خلف حزامه وحدث إلى فين مرة أخرى.

- حظًا طيبًا. آمل أن ينتهي الجفاف في غابتك قريبًا.

عاد فين إلى المنزل ليجد بال يراقب صرصور ذرة. كان قد فقد طرفين أماميين على الجانب الأيمن وواحدًا خلفيًا في الأيسر، ولكن باستثناء ذلك، في حال جيدة. لم يعرف فين إذا كان الفاعل كلبه أم قط الشقة رقم اثنين. في كلتا الحالتين باتت الحشرة المدرعة تقفز بشكل جانبي الآن. على الرغم من أنه كان بإمكانها رؤية باب الشرفة المفتوح، فإنها لم تستطع التوقف عن صدم نفسها بالجدار المجاور. تعاطف فين مع هذا الباليه الغريب وهو يلتقط الصرصور بكتاب قصص مصورة، وألقاه في الحديقة.

لم يكن الوضع أفضل بكثير في غرفة نوم والده. لم يعد المريض يتمتع بالرشاقة الكافية للجلوس في وضع مستقيم والتمدد لضغط زر إيقاف التشغيل. بمجرد أن تصل البكرة إلى نهايتها، صارت تواصل الدوران حتى يدخل أحدهم إلى الغرفة. وجد فين أن الشريط البني قد انفك عبر الكرسي أولاً، ثم على الأرض، وتحت السرير أخيرًا. توضع في أكوام متحدة المركز في أثناء محاولته التوجه إلى خزانة الملابس.

- أنا في حاجة إلى الذهاب إلى مرحاض، غرفة الاستراحة، غرفة الرجال، بيت الخلاء، الكنيف، دورة المياه، العلية، الحفرة، العرش.

أصبح الذهاب إلى الحمام مسألة كرامة. خاصة أن والدته اضطرت إلى العودة إلى العمل، فبات على ميراييد أن تنوب عنها. استغرقت المراوغة البطيئة وقتًا طويلًا، رافقته اللعنات على كل لوح خشبي سائب على طول الطريق. ضاق خلق والده حتى نزع اثنين منهما ورفض تركهما يعودان. تموضعت الثلثة المخيفة تمامًا قبل البلاط الأملس للمرحاض. ممسكًا بنطال البيجامة في إحدى يديه وعصا المشي في اليد الأخرى، وكز الوادي المهيمن.

- لا أخشى الأخدود الإفريقي العظيم.

في أثناء عبوره، رفع قدمه إلى أعلى بمقدار ربع بوصة ليتحرّك حركة طفيفة. ما كانت ثمة علامة على الحركة الإضافية سوى تموج طفيف في ثوبه بلون الياقوت الأحمر. وتدحرج الحرير الباهت على كتفيه وتناثر على رقبته. عنى صوت تدفق الماء أنه على فين أن يفتح الباب. كان بإمكان والده رفع بنطاله حتى ركبتيه، لكن ليس أكثر من ذلك. كانت مساعدة الجسم المطوي في وضع رأسي في رفع الجزء السفلي من سرواله مهمة معقدة. غالبًا ما كان يعلق حزام الخصر في مقبض المرحاض، وأحيانًا ما يقع حزام ثوبه في المرحاض.

حين عاد والده إلى الفراش كان مُنهكًا، وغزا العرق جلده الأصفر الشمعي. بدا كأنه شمعة تذوب قطرة تلو أخرى. وُضعت قطعة القماش الرطبة على جبهته مثل عصابة رأس على الفور، وُثبت قناع الأكسجين على وجهه. تم لف المقبض النحاسي أعلى الأسطوانة بالكامل، فسطح ضغط الهواء خديه الغارقين ودفعهما إلى الأسفل. جعل صوت الهسهسة العالي الكلام صعبًا،

ولكنهما حاولا على أي حال. رفع والده إبهامًا إلى أعلى ساخرًا، وحاول ادعاء القوة وقال: «أنجرت المهمة».

حامت ميرايد معظم الوقت دون أن تدخل غرفة النوم فعليًا. مثل نسر اسكتلندي -حسب تعبير والده- كانت تستمتع بالتحليق بين درجات إقلاق راحته. بقيت على مرمى السمع، على أمل ألا تسمع أي شيء. كانت ترتب وتتسوق، وتطهو، ثم تعود إلى الكرسي في زاوية الصالة لتقرأ وتحبك وتستمتع إلى الراديو. كل ساعة، وعلى مدار الساعة، كانت تفتح الباب وتنادي عبر الشق لتسأل إن كان دينيس يريد أي شيء. لم يسمع دينيس عادة على أي حال، وعندما كان يفعل، عادة ما كان يقول إن النوم المتواصل كان على رأس قائمة ما يريده.

تمتع فين بكونه طرفًا داخليًا. خائفًا وعازمًا، كان يعود إلى المنزل ويبيحه إلى غرفة النوم المظلمة مباشرة. كانت ميرايد تقف فوق غدائه وطاولته مثالية الإعداد بينما يتجاوزها، إذ كان عليه أن يرى والده أولًا. في حال كان نائمًا، كان فين يقوم بدورية استطلاع ليعرف أين فردة النعل الثانية. كان لا بد من نزع نظارة القراءة عن غطاء المصباح، ودفع الصحن المدفوع إلى الحافة نحو الخلف. أما إذا كان مستيقظًا، فكان عليهما تبادل بعض الجمل، التي عادة ما تكون قصيرة ومختصرة. يمسح فين ذقنه في أثنائها، حيث يتجمد البصاق بفعل الأكسجين، ويتحول إلى قشرة مثل شلال متجمد.

كان لا يزال يحتقر المسجل، ولكن في تلك الغرفة القاتمة، تنازل عن كثير من قوته؛ فقد صار تشغيله محكومًا بإرادته هو، لأنه كان من يضغط بإبهامه زر التشغيل ويضبط الصوت بأصابعه. لتذكير الصندوق الفضوي بسلطته، استمر فين في تشويه الشريط وقتله عمدًا في أثناء مدّه. على الرغم من أن جهاز التسجيل كان ما يزال الصوت المفضل، فإن القرارات بيد فين أكثر فأكثر.

أكدت جدته سلطتها على خروجه من خلال الإصرار على أن تُكتب جميع الواجبات المنزلية بعد الغداء، وقبل تمشية الكلب. ترافقت هذه المهمة مع صمت مطلق، وظهر مستقيم، وإبعاد الأكواع عن الطاولة وإبر الحياكة. كانت ميرايد تنتقل من كرسيها في الزاوية إلى طاولة غرفة الطعام بتصميم صار كأنها مزارع في عصر الكساد قد أجبر على الذهاب غربًا. كانت تبدأ هجرتها بالتنهد بصوت عالٍ وهز نفسها لتنهض عن كرسيها. كانت تثقل حملها بحقيبة يد وحامل حياكة وشال وفنجان شاي وكتاب، وكان جسدها يميل إلى الأمام ويتقدم. كانت اعتادت -بمجرد وصولها إلى وجهتها- أن تفك كرات صوفها بدقة كأنها مؤونتها الوحيدة الشتاء الطويل. كانت تقول «أه لا أعرف» بعد ظهر كل يوم. «أه لا أعرف. إنه قميص لوالدك، وليس لدي أي فكرة حول حجمه بصراحة، فهو يتقلص كل يوم».

أدت عودة والدته من العملي إلى تسليم عسكري للمسؤولية. «دينيس بخير. كُتِبَت الواجبات المنزلية، وأفرِغَت سلة المهملات. مزلاج الحمام ما يزال مكسورًا. أبلغَ الناطور». أَكَدَت تناول العشاء وكميته. أوضحت ميرايڊ دائمًا أن تناول طعام الأمس لم يتسبب في مقتل أحد من قبل، على الرغم من عدم وجود أي بقايا طعام. كانت تقول: «الجوع يُشكِّل صلصة رائعة». ولشعورها بالذنب، كانت والدته تسأل عمًّا إذا كانت ترغب في البقاء لتناول العشاء، فترفض ميرايڊ بثبات. «لَسْتُ متأكدةً من وجود ما يكفي من الطعام، كما إنني أحب المشي مع القليل من الضوء». بعد معاقبة ابنتها عقوبة لائقة، كانت تجمع «القطع والأجزاء» التي كانت «متناثرة على طول طريق الذهاب والإياب من تمبكتو».

- نياتها حسنة.

شاهد فين والدته وهي تنحني لتصل إلى ارتفاعه، بينما يسمعان صوت كعبي حذاء ميرايڊ وهي تتعد.

- كيف كان يومك في المدرسة؟

- جيد.

- انظر ماذا أعطاني السيد لانزداون من أجلك.

كان صليبيًا فضيًّا بسيطًا. وضعته في راحة يده وتركت الحلقات الدقيقة للسلسلة تسقط وتلتف حولها مُشكِّلةً دائرة ضيقة.

- لماذا؟

- حسنًا، إنه واعظٌ غير رسمي كما تعلم، ورجلٌ لطيفٌ جدًّا. أعتقد أنه ظن أن هذا قد يساعد فحسب.

ثار حنق فين؛ فحتى رئيس والدته بات يتدخل الآن. مثل السيد ترينتبريدج، كان يضع بدوره الكثير من مستحضرات ما بعد الحلاقة. ظنَّ من قبل أن الرائحة القوية والنفاذة تدل على الرجال الناجحين والأقوياء، ولكنه بات يعرف أنها مجرد طريقة أخرى لتعطير الحقيقة. عندما قامت الشركة بنشاط خارجي، جلس السيد لانزداون على جرار وتظاهر بأنه مزارع، رغم أن أسنانه كانت مثالية الاصطفاف والبياض. جعل فين يجلس بجانبه ويذهب في جولة في البدعة البدائية عديمة المحرك. كان يرتد ويتأرجح ويغني «في مزرعة العم ماكدونالد». من الواضح أنه ظن أن فين يبلغ من العمر أربع سنوات لأنه لم يتحدث. خاطبه قائلاً: «شريك»، وأصر على مساعدته على النزول، غير مدرك أنه قادر تمامًا على النزول من جرار ثابت بنفسه.

- ما المفترض أن أفعل بها؟

- ارتديها، إذا كنت تريد ذلك.

- حول رقبتني؟

- هذا ما يفعلونه بالقلادات عادةً. تحت قميصك. لن يراها أحد.
لم يكن فين واثقًا بشأن الدين، ورأى أنه شأن عصيب مثل عصيدة جدته.
ومثل تلك العصيدة، عندما كان يبحث عن القليل من السكر ويجد الملح. جذبته
يسوع، ولكنه لم يكن متأكدًا ممن يتخيّل عندما يصلي. لقد استمتع بشكل خاص
بالرسم الملون في كتابه المقدس الذي يمثل يسوع وهو يخطب بالوعظة على
الجبيل، فمع الريح التي تجتذب رداءه الأبيض المسترسل والجمل الواقف في
الخلفية، كان يشبه لورانس العرب تمامًا. وإذا نظرت عن قرب، أمكنك أن
ترى أن الضباب الأصفر حول رأسه لم يكن بسبب غروب الشمس، بل بسبب
دفئه الداخلي. لا عجب أن المرأة كانت تمد طفلها نحوه متوسلة ليباركه.

ومع ذلك، لم يستطع حمل نفسه على النظر إلى الشخص نفسه معلقًا على
صليب بعد بضعة فصول. سال الدم من يديه وقدميه، ورقطت نقاط حمراء
حيث زُرِع تاج الشوك عميقًا. كيف يمكن أن يحدث هذا لرجل طلب منك أن
تحب أعداءك؟ كانت مريم هناك، تعانق قاعدة الصليب، ولكن أين كان كل
شخص آخر من رفاق الجبل؟ فحص الصفحة عدة مرات، ورأى الحشد ممتلئًا
برجالٍ ضخامٍ بأكتاف عريضة ولحي كثيفة. لَوَّحوا بسعف النخيل وهلّلوا من
أجله يومًا ما، ثم أعرضوا عن النظر بينما يضع جنديٌّ روماني رمحًا في جنبه.

والأسوأ من ذلك كله أن الرجل على الصليب ذا القفص الصدري المدفوع إلى
الأمام والمعدة الفارغة المدفوعة إلى الوراء ذكّره بوالده؛ إذ صار هو الآخر
مجرد عظم بارز بالكاد يثبتته جلدٌ مصفرٌ مشدود. هذا اليسوع لم يستطع إيقاف
تشغيل جهاز التسجيل بدوره، أو الذهاب إلى الحمام بمفرده. ما كنت لترغب
في إنقال كاهل هذا الرجل بصلواتك والتّماس المساعدة، فقد كان يعاني بما
يكفي. أراد يسوعًا شبيهًا بلورانس العرب، ولكنه لم يستطع إخراج يسوع
المريض والمحتضر من عقله.

قالت والدته: «وللصدفة، مثل رمية من غير رام، سوف يعطُ السيد لانزداون
في كنيستنا صباح يوم الأحد، وقلت إننا سنذهب ونستمع إليه».

تراكم غضب فين أكثر فأكثر. أزعجه أنها ظنّت أنه لا يعرف ما تعنيه
المصادفة، وقضى عليه قولها «كنيستنا». نادرًا ما ذهبت إليها ما لم يصادف
ذلك عيد الميلاد أو عيد الفصح، وها هي ذي أصبحت فجأة «كنيستنا». كانت قد
أجبرته على الالتحاق بمدرسة الأحد على أساس أنها ستصبح أيضًا من رواد
الكنيسة المنتظمين. وأراد مقابلتهم في الحديقة الصغيرة بجوار الدهليز، مثل
جميع الأطفال الآخرين. بعد القداس، قُدِّمَ الشاي وسندويشات بخبز منزوع
الأطراف. اجتمعت هناك جميع العائلات مرتدية ملابس أنيقة، وألقى الجميع
السلام بأدب، وتمنى بعضهم لبعض أسبوعًا جيدًا في أثناء الوداع. وشعر أن
هذه هي الحال الطبيعية.

- سيأتي العم إد لنستريح معًا.

- لن أذهب إلى مدرسة الأحد. سأحضر القداس فقط.
لف الصليب حول حبة برتقالة كبيرة كانت موضوعة في وعاء الفاكهة،
وحرص على تعليقه بشكل مستقيم حتى لا يبالغ في تدنيس المقدسات.
شعر فين بالحاجة إلى معاقبة والدته على جميع الأشخاص الدخيلين الذين
كانت تجلبهم إلى حياتهم. مهما كان ما يحدث لهم، ومهما كانت مصيبتهم فقد
أراد أن يبقها سريةً. وقفت ببطء وفركت فخذها المتيبستين ولم تقل شيئاً.
وكان هذا تأكيداً لاتفاقهما. كان فين يتعلم أن الصمت بدل النفي يعني الإقرار.
أخذ رسن بال عن رف القبعات واندفع خارج الباب، محاولاً جهده لإظهار
استيائه. كانت زيلدا وروميو جالسين في الخارج على جدار منخفض بالكاد
يوفر حماية لحديقة داتشس كورت الضيقة. إذا كان بالإمكان التدخين بشكل
مدرّوس، فهذا ما كانا يفعلانه وهما ينظران أحدهما إلى الآخر بطريقة
احترافية. ركن روميو دراجته النارية الصفراء اللامعة من نوع دوكاتي على
الرصيف بوقاحة، مما أجبر المشاة على المشي حولها. لوحت زيلدا بإصبعها
الصغيرة، وأوماً الإيطالي برأسه. توجّه فين إلى الحديقة دون تمهّل.

قرر أن يفرغ غضبه على هيب ثلاثة عشر اثنان. لم يكن رآه بعد، ومع ذلك،
كلما ذهب في نزهة، شعر فين أن شخصاً ما يُراقبه أو يتبعه حتى. حاول بكل ما
في وسعه القبض عليه، حتى إنه زحف خلف الأقحوان خارج قصور «أيدلوايد».
جذب بال قريباً منه واختبأ خلف الشجيرات. ظلّ شخص ثابتاً على بعد خمسين
ياردة خلفه مهما أسرع فين أو أبطأ في المشي. إلا إن الشخص الوحيد الذي
مشى أمامه كان سائق حافلة خارج وقت عمله يصفر صغيراً خافتاً، وكان
الزّرّان العلويان لزيه الرسمي مفكوكين، وحمل أغراضاً اشتراها في كيس
بلاستيكي أبيض. بعينين على مستوى الأرض، شاهد فين علبة كبيرة من
سردين «لاكي ستار» تتأرجح. انتظر بصبر دون نتيجة، وسخرت منه حمامة
جبلية سمينة.

وصل إلى الكنيسة بعد يومين ومزاجه على حاله. لم يعرف إلى أين يوجّه
حنقه، لذلك رشّه على كل شيء. امتنّت والدته للغاية لأن إد اقترح أن يصحبهما
بسيارته. أظهر فين شكره من خلال صفق الباب وإيقاظ الجزء الحازم من
عمه المُذعّن عادةً. جلسا في مقعد خلف المقدمة، تماماً كما في المدرسة.
كان قد حاول الهرب في وقت سابق، ولكن والدته أصرت على جره على
السجادة ذات اللون الأزرق الملكي. جلس كلاهما الآن مع كتابي صلوات في
انتظار أن يشرح القيس ما يجب أن يفعلا بهما.

ومع ذلك، حين تسلق السيد لانزداون السلالم المصنوعة من الحديد المطاوع
إلى المنصة المرتفعة، كان فين مختبئاً جيداً. كان يملك استراتيجية مجرّبة
وموثوقة. شكّلت السيدة الكبيرة أمامه حاجزاً مثاليّاً. لم يكن حجمها أكبر بثلاثة
أضعاف من حجم اللبناني فحسب، بل كانت تعتمر أيضاً قبعة صفراء وُنيّة

استقرت على رأسها مثل فطيرة الكوخ، وهوت الأطراف المحترقة قليلاً فوق أذنيها. تمايل السيد لانزداون وترجح ليري فين، الذي رفض أن يظهر نفسه وخفض رأسه. وتحسن الوضع حين طلب من رعايا الكنيسة أن يصلوا. اختفى تمامًا حين ركع مرتاحًا على المسند الرمادي، وأحدثت ركبتاه الممثلتان ثقبًا عميقة في الوسادة اللينة. أرخى رأسه على المقعد الأمامي، وامتلأ أنفه برائحة ملمع الخشب. ومع إصرار الجميع على أن يغلق عينيه، لم يكن الأمر مختلفًا كثيرًا عن النزول نحو المحبرة.

- فين! فين!

لا بد أنه شرد، وأعادته إلى الواقع مزيج بين تعجب والدته الهامس وسحب أذنه. كان الجميع قد جلسوا في مقاعدهم منتصرين ومنتظرين. تنحج شخص ما في صفهما، مؤكدًا أن طاعة الرب يجب أن تكون دقيقة. استقام فين وكشف نفسه لحظات أمام ناظري السيد لانزداون الذي ابتسم. ذكره اتشأخه باللون الأبيض بقطعة العاج التي أحضرها كارلوس دي سوزا إلى الفصل. اخترق الضوء النوافذ ذات الزجاج الملون، بينما تمسك السيد لانزداون بجانب المنصة. رفع ذقنه إلى الرب وترك عمود الغبار المضيء يختلط بشعره الأشقر.

الرب معين لي فلا أخاف

ماذا يصنع بي إنسان؟

ورغم أن فين لم يكن يولي اهتمامًا كبيرًا، فقد خطر على باله أن الإنسان يمكنه أن يفعل الكثير. إذا كان من الممكن أن يُغشى على المرء في الكنيسة، فهذا ما فعلته السيدة أمامه. لم تهو جانبًا وظهر يدها على جبهتها، بل مالت إلى الخلف بقدر ما تستطيع. باتت فطيرة الكوخ على بعد بوصات من أنف فين وهي تخرخر للواعظ. تزايد تنفسها الثقيل مع نهاية كل جملة، مؤكدة حالة نشوتها. بجذعه المشدود، وفكه المرعب العريض، وعينيه البرّاقيتين، كان بمكانة تشارلتون هيستون⁽⁴⁵⁾ بين الشاماسة، وقاد المنصة مثل عربة.

حَتَّ على الإيمان والتقوى، وطلب من المُصلين أن يجعلوا مساراتهم مستقيمة وضيقة، وأن يجتهدوا ليكونوا كاملين في كل شيء. كان على الجميع أن ينظروا بجدية إلى أنفسهم، وأن يستأصلوا المرارة، وأن يتصبروا على التطهير، وأن تخلوا محادثاتهم من الاشتهاء. أخيرًا، طلب من المجموعة المجتمعة أن تثق بالضمير المستيقظ، وأن تحمل النور الأبدي في داخلها. كان فين مختبئًا للغاية، حتى صار تحت مؤخرة قبعة المرأة تقريبًا عندما سمع الجملة الختامية.

- دعوا الحب الأخوي يجد طريقه إليكم دائمًا. وأقتبس هنا من رسالة بولس إلى العبرانيين 13:2: «لا تنسوا إضافة الغرباء، لأن بها أضاف أناسٌ ملائكة وهم لا يدرون».

عندما رفع فين رأسه، كانت الغيوم قد انقشعت مرةً أخرى، وغسلت الكنيسة بأكملها بنور كريميٍّ غني. انسكبت الأعمدة الذهبية من خلال النوافذ تمامًا كما في الرسم التوراتيِّ لدانيالٍ في عرين الأسد. تذكَّر أعرافهم المشتعلة التي لم تدفعها إلى الانقضاء. تحلقوا في دائرة مرة تلو أخرى، ولكنهم أصبحوا عاجزين بفضل الضوء المقدس. أفلت لانزداون المنصة أخيرًا، وترك يديه تطفوان إلى أعلى وأعلى حتى يصل إليهما الضوء بدورهما. شهقت المرأة أمام فين واستقامت منتشبةً.

قال السيد لانزداون: «فلنُصَلِّ».

خلال الغداء بعد ذلك، أكل فين طعامًا قليلًا وتكلَّم أقل. هل من الممكن؟ هل يمكن أن يكون الرجل في الحديقة ملاكًا؟ وإلا فلماذا يقول إن اسمه هيب ثلاثة عشر اثنان؟ هل يمكن أن تكون مصادفة؟ مجرد رمية من غير رام؟ بدا كل شيء منطقيًا، وإن كان مجرد هراء. أيُّ ملاك يحتاج إلى مزيل عرق تحت إبطه؟ أيُّ مبعوث من الله قد يغني غناءً سيئًا ويتباهى بخطوات الرقص التي تعلمها في مدرسة آرثر موراي؟ لماذا يعتمر قبعة لباد ولا يرتدي جوارب؟ والشعر المتفجَّر؟ أي كائن سماوي يملك ندبة تحت ذقنه بسبب زجاجة مكسورة؟ أين كان على أي حال؟ هل رحل؟ هل كان يعبر فحسب؟ ماذا عن شعور فين بأنه مُلاحق أو مُراقب؟ التوقف عن التفكير في الأمر بدا الحل الوحيد، فقد فاض دماغه بالأفكار. أخفى البازلاء خلف البطاطا المهروسة، وحبب المنظر بقطعة لحم نصف مأكولة. سأل العم إد عن القُدَّاس، وفاجأه قليلاً الرد العاطفي لوالدته، التي تحققت من نظافة زوايا فمها بمناديل يوم الأحد المُوسَّاة قبل أن تتدفَّق مشاعرها.

- جميل، جميل بالفعل.

عَيَّر قادر على إخفاء الغيرة في صوته، وَجَّه إد السؤال بعدها إلى فين على وجه التحديد، فهزَّ كتفيه دون أن يجيب، ووضع السكين والشوكة بجانب بعضهما بعضًا ليُشير إلى انتهاء الوجبة والمحادثة. تبع ذلك صمْتٌ ثلاثيٍّ غريب. بدت والدته أسعد بطريقة حالمة، ولكن كان من الواضح أن ذلك جعل العم إد حزينًا. حدق الجميع إلى وعاء المرق في انتظار إشارة إلى ما يجب القيام به بعد ذلك. في محاولة لاستعادة الإقرار به، قرر إد أخذ زمام المبادرة؛ طوى منديله إلى النصف، ثم الربع والثلث تقريبًا. لم يتسطح تمامًا، ففتح فمه باتجاه الطبق الجانبي.

قال: «لدي فكرة». سحب ورقة نقدية بقيمة خمسة راندات من جيبه ووضعها على قطعة القماش البيضاء فاعرة الفم. «لماذا لا يصحب فين صديقًا لتناول مخفوق الحليب هذا المساء؟ ما المتجر الذي يتحدث عنه دائمًا؟»

- ميلكي لين.

كانت والدته معتادةً التحدث نيابةً عنه.

- أو متجر الآيس كريم ذاك؟

- إيتاليان جيلاتو.

- نعم، على حسابي. سيُفيدة أن يخرج قليلاً.

- هذا مبلغٌ هائل من المال. لا يحتاج إلى خمسة راندات.

- في ظل هذه الظروف، لا أعتقد أن القليل من السخاء قد يضيع هباءً.

كان من المفترض أن يدهش فين أو يذهل أو يرتبك حتى. كان هذا كنزًا بعيدًا عن استيعابه. إلا إن مطرقة الغضب الصغيرة تلك شرعت تنقر مجددًا. لم يكن يحب الحديث عنه كأنه غير موجود، وكان يعلم أنه ليس لديه صديق ليشاركه سخاء عمه المفاجئ. لم يفهم الكلمة، ولكن حين يعود الأمر إلى الراندات الخمسة، فقد افترض أنها مبلغ كبير. لم يملك قط قطعة من فئة خمسة راندات في حياته. حيرته مجرّد حساب ما يمكن أن يشتريه بها. ما أراد فعله حقًا هو إخراجها من جيبه عَرَصًا وسماع كل صافرات الدهشة. أراد أن تعرف مارجريت والاس أنه رغم أن والديه لا يملكان سيارة بونتياك -أو أي سيارة في الواقع- فقد كان هو صاحب أملاك. إذا كانت حساباته صحيحة، فقد كانت أملاكه تتضمن عشرين مخفوق حليب، وضعف هذا العدد من المثلجات.

قالت والدته وهي تلين وتمرر له الورقة النقدية كأنها ملكها: «متجر فاكيس ربما؟»

أخذ فين الورقة دون أن ينظر إليها ووضعها في سرواله القصير، غير متأكد إن كان يتلقى رشوة، أو إن كان قد تم شراء غيابه. قبل بضعة أشهر كان سيندفع مباشرةً إلى جيمي اليوناني. كانا سيشتريان مثلجات مزدوجة الحجم، مع كرة من مثلجات الفراولة في الأعلى كما دائمًا. «لا تضع مثلجات الفانيليا في الأعلى، إنها نكهة الضعفاء». ثم كانا سيذهبان إلى مقهى فلوربان ربما لتناول الجبن المحمص وهما جالسان. تتنفس هيلبرو الصعداء هناك في الخارج على شرفة الطابق الأول. ساعد الارتفاع في تخفيف الازدحام في زاوية تقاطع شارع كوتزي وتويست. بينما ينتظر المشاة ست ثوانٍ ريثما تتغير أضواء إشارة المرور، كانا سيلقان قطع الجبن الذائبة حول الشوكة وفوق رؤوسهم. «مجنون! إنها شطيرة. لماذا تأكلها مثل شرائح اللحم؟»

راقبه العم إد ووالدته وهو يصل إلى الباب فيما يشبه الشعائر العظيمة.

قالت: «توحّ الحذر».

- إنه ذاهبٌ للتسوّق، وليس لمحاولة العثور على الممر الشمالي الغربي.

حاول عمه أن يتصرّف مثل والده.

فوجئ فين بمدى الإحراج الذي تسببت فيه الورقة النقدية المطوية له. حملها برفق في يده داخل جيبه، مع الحرص على عدم تجعدها. أمسكها مثل طائر صغير، وسحبها من وقتٍ إلى آخر ليمنحها بعض الهواء. جيمي اليوناني هو

الوحيد الذي قد يشاركه ذلك، ولكن منذ قراءة فين «الطريق الذي لم يُسَلِّك»، زاد من بعده عنه. شكّل الصديق الذي يحمل اسمين مستعارين -الأخرق وشتوتا فوردز- عبئًا ثقيلًا لا يمكن تحمُّله. تصوّر فين أن جيمي قد لَوَّح له مرّة في الملعب، ولكنه لم يكن متأكدًا. كانت مارجريت والاس واقفةً في مكانٍ قريب، وكان يعرف أن جيمي يحبها، الكل كانوا يعرفون.

وقف خارج مدخل فندق تشيلسي، وعقد رباط حذائه مرتين، وتظاهر بأنه مهتم بثمار البلوط الواقعة تحت آخر شجرة بلوط متبقية في الشارع. غرز ظفره في قشرتها الجلدية، وقلع أعطيتها الشبيهة بالأكواب. فكّر فين في هيب، وعلق إحداها على جبهته وتساءل أين هو. ردّد لنفسه: «أوممم». أخبرتهم السيدة سميت أن الاسم الحقيقي للقبعة هو بُرنيطة. انسحبت الستائر في الطابق الثالث حيث كان يعيش جيمي. انتظر عشرين دقيقة، ولم ينزل أحد. تساءل فين إن كان سيُحدِثُ أي فرق بالنسبة إلى اليوناني أنّ ولدًا ثريًا كان في الانتظار بالأسفل. إذا كان قد تم شراء غيابه من داتشس كورت، فقد خجل من الاعتراف بأنه على استعداد لشراء صديق أيضًا. دعاه ضجيج حركة المرور في هيلبرو ولمعة النيون للرحيل. عندما استدار ليذهب، هدلت حمامة في طريقه.

سرعان ما أصبح من الواضح أن المال لن يُنقِّق. سَلَّته كثرة الخيارات، ولم يبدُ شراء ما يأكله بمفرده جديدًا بصرف الورقة النقدية. تسكع خارج مطعم «فلاينغسوسر»، مشيرًا إلى أنه باستطاعته الجلوس على إحدى الطاومات الخارجية لو أراد. قال لنفسه: «بيدو المطعم قاريًا للغاية». ملاحظًا أن مربعات قماش المظلات ذات اللونين الأحمر والأبيض متناسقة مع مفارش المائدة. ولكن الراندات الخمسة ارتقت بخيارات تسوّقه إلى أحد فروع متاجر كتب «إستوريل». أمكنه شراء كتاب أو كتابين بالفعل، وتفقد قسم الكتب ذات الأغلفة المَقْوَاة مطوِّلاً وبجدية. رفع فين بجرأة كتب طاولة القهوة، وذهب إلى هايسبير (46) مع أنسيل آدمز (47)، وإلى الغرب الأوسط مع نورمان روكويل (48)،

وانضم إلى هنري كارتي هبريسون (49) في شوارع باريس. ولكن كتاب فهم الحيوانات لجيرهارد جرونفيلد (50) كان ما جعله يتباطأ في تقليب الصفحات. وفقًا للثنية الداخلية للغلاف، كشف جيرهارد -المولود في برلين عام 1911- عن العديد من المفاجآت في سلوك الحيوانات، وأجرى العديد من التجارب الميدانية بنفسه. أظهرت مشاريعه البحثية أنه علينا النظر إلى شركائنا في الأرض بعيون جديدة ومعاصرة.

أغلق فين الكتاب وأعادته إلى الرف. حدّق إليه لانغور رمادي من جبال الهيمالايا قابُع على الغلاف. أحاط بالوجه الأسود لبدة كثيفة من الشعر الأبيض ذي اللمعة الفولاذية. لم يستطع الإفلات من عينيه العميقتين، اللتين أظهرتا صدقًا لم يستطع فين تجاهله. حان الوقت للاعتراف بأنه لم يستطع إنفاق

رانداته الخمسة لأنه لم يكن يبحث عن كتاب أو مجلة أو قصة مصورة. وستبقى الجدران العارية لغرفة نومه على حالها لأنه لم يكن يبحث عن ملصق أيضًا، بل كان يبحث عن هيب ثلاثة عشر اثنان.

وصل إلى الحديقة عند الغسق، فالوقت كان ينقضي في المكتبات بشكل مختلف عن أي مكان آخر. عندما خرج وأدرك أن فترة الظهيرة بأكملها كانت قد ولت، بدأ الركض إلى ناغت هيل. ركض عبر شارع بانكيت نحو شارع كاتيجن. حين عبر شارع كاترين ووصل إلى شارع برايمروز، كان يلهث بشدة. نظر كل من مر وتجاوزه ليرى ما كان يهرب منه، لم يظن أحد أنه يُسرِعُ نحو شيء ما. وصل أخيرًا وهو يلهث ويتنفس بصوتٍ عالٍ. انحنى وغرز أصابعه في أسلاك السياج.

كان حاجرًا سخيًّا لا فائدة تُرجى منه سوى الزينة، وبارتفاع ياردة بالكاد. وكان بإمكان أي شخص أن يمسك الأعمدة المعدنية ويستخدم الشبكة ذات الشكل الماسي لتثبيت قدميه والتسلق. كما إنه لم يكن ثمة شيء على الإطلاق على الجانب الجنوبي بالقرب من الشلال، فيمكنك الاندفاع من جادة هادفيلد وتخطي صف واحد من جذوع الأشجار. أوضحت والدته أن الأشخاص المحترمين لا يذهبون إلى الحدائق ليلاً. ذات مرة، رأى كيس نوم يتحرَّك محمولًا ويلف نفسه عبر العشب مكافحًا ليحصل على قوة دفع فوق ندى الليل. وَفَّرَ القمر ما يكفي من الضوء لفين لي شاهد ارتفاع الكيس وهبوطه المتسارع أكثر فأكثر، حتى اصطدم الجسمان في الداخل بعضهما ببعض.

سئم أن يُملَى عليه ما يجب فعله، وتعب من عدم فهم السبب، والأهم من ذلك كله أنه برم بالوجود في الخارج طيلة الوقت، والانتظار للحصول على إذن ليدخل. كان يملك خمسة راندات في جيبه، وقد بات رجل المنزل. بقفزة واحدة، صار فين فوق السياج.

بعيدًا عن أضواء الشارع، كان على عينيه أن تتكيف مع الظلام. كانت الحديقة آخر نقطة لليسار الأسود. امتد شريطه غير المضاء على طول شارع برايمروز بكل جرأة، حتى بينما كان المستأجرون يضغطون على المفاتيح ويحولون شققهم إلى صناديق من الضوء. نظروا إلى الخارج ليتأكدوا من حلول الظلام، ثم أغلقوا ستائرهم ليقوه في الخارج. انتقل فين إلى حافة الحديقة ونظر إلى آخر شارع ساراتوجا. حتى كاتدرائية المسيح الملك الكاثوليكية الضخمة بدت صغيرة، وبدأ مطعم رودهاوس ضئيلًا. شعر أن الحديقة أعلى بكثير مما كانت من قبل. كان في هايسيرا خاصة بهيلبرو. قَرَّقَ أغصان الصفصافة الصغيرة وخطا إلى الداخل.

- هيب! هيب ثلاثة عشر اثنان!

في الداخل شعر وكأن بطانية ثقيلة قد أُلقيت فوقه؛ إذ لم يصل إليه أيُّ ضوء. جلس وذقنه على ركبتيه، وأمسك ورقة الخمسة الراندات بإحكام في راحة

يده. تزايد شعوره بأنه في ملجأ حيث كان من المفترض أن يخاف. هدأت حواسه وأصبحت أكثر حدة في الوقت نفسه. بعيدًا، طالب رجلٌ كلبه بالعودة، ووصل راديو السيارة وغادر مستغرقًا الوقت ذاته الذي استغرقته لازمة واحدة من أغنية «حقول الفراولة إلى الأبد». كان وحيدًا، ولكن في المكان المناسب. كان الانتظار مهمته. تحول الصبر إلى صفاءٍ. وللمرة الأولى في حياته، كان بإمكانه أن يقول بصدق إنه لا يخاف من الظلام.

كما في المكتبة، فقد الوقت مرة أخرى معايرته الطبيعية. لم يملك حين أي فكرة عن المدة التي استغرقها الضوء قبل أن يخترق ملجأه المورق. اقتحم المكان من فوق، وأحاط رأسه بلونٍ ذهبيٍّ باهت. مثل السيد لانزداون، مد يديه وتركه يفعل الشيء نفسه بيديه. صارت الخمسة الرانداوات الأرجوانية شفافةً. أضيء فرق شعر يان فان ريبك⁽⁵¹⁾، ونصب فورتريكر التذكاري. بدأت الثيران التي تجرُّ العربة في الزاوية اليمنى تتحرك بلهفة لإكمال رحلتها شمالًا. نظر إلى الأعلى نحو الضوء، ولكنه كان شديد السطوع. معممًا، انبثق من رحم الصفصافة وثنقَّ طريقه عبر الأغصان المتدلية. تعثَّر في طريقه نحو الظلام مُستخدِمًا خط جذوع الأشجار الذي حدد محيط الحديقة.

ساعده المسافة على الرؤية من منظور واضح. عندما استدار، رأى الوهج المنصهر عاليًا في شجرة السنط. ظلَّ في البداية أن الغصن يشتعل، ولكن مع تكيف عينيه أدرك أن المصدر مضبوط، حتى وهو يتنفس أعمدة الضوء الأصفر العسليّ. تَفَجَّر الضوء وهبط، إلا إنه تشرنق بطريقة ما. كانت له هيئة بشرية، ولكن غير بشرية تمامًا. وفي أثناء تمدده، انتشر بياضٌ من جانبي الجسد إلى حواف الذراعين المنفتحتين. برَّغ جناحان لحظة قبل أن يُطوَّبا إلى الداخل مرةً أخرى. على قمة الرأس الذي كان يحدق إلى صلب الليل، كانت ثمَّة قبعة من اللباد مائلة إلى اليسار قليلًا.

لغة جرمانية ينطق بها يهود أوروبا.

Immortality Act: قانون أقره برلمان جنوب إفريقيا ليمنع عدة أشياء من ضمنها العلاقات الجنسية بين العرق الأبيض وسواه من الأعراق. أقرَّ عام 1927 ليمنع الجنس بين البيض والسود، ثم تم تعديله عام 1950 ليمنع الجنس بين البيض وكل من ليس أبيض. ليلحق بذلك تعديلات أخرى حتى عام 2007، حيث تم إلغاء معظم البنود العنصرية السابقة.

اقتباس من مسرحية «حلم ليلة صيف».

ممثل ومخرج وكاتب سيناريو أمريكي (1923 - 2008).

منطقة في كاليفورنيا.

مصوِّر مشاهد طبيعية ومناصر أمريكي للبيئة، نال شهرته بفضل صورته للغرب الأمريكي بالأبيض والأسود (1902 - 1984).

رسام أمريكي (1894 - 1978).

مصوِّر فوتوغرافي فرنسي يعد منشئ التصوير الصحفي الحديث (1908 - 2004).

مصوِّر صحفي ومصوِّر للحياة البرية وكاتب ألماني (1911 - 2000).

مسوؤل استعماري هولندي لعب دورًا ثقافيًا وتاريخيًا كبيرًا في جنوب إفريقيا، وخصوصًا خلال الأبارتهايد. ظهرت صورته على الأختام والأوراق النقدية في جنوب إفريقيا حتى عام 1994.

Enigmatic

in-ig'mat-ik/ adjective/

لم يكن على أحد أن يقول لفين إنَّ عليه أن يُبقِيَ ما رآه سِرًّا، عرف ذلك بشكلٍ غريزيٍّ. من كان سيُخبر على أي حال؟ كما لم يستطع أن يثق بأنه قادر على تنفيذ هذه المهمة. لم يكن التلعثم ما يقلقه؛ كان يعرف أنه ما من كلمات قد تشرح ما رآه. ما كان أحدٌ ليستطيع وصف ما تعدَّر تفسيره، أو الإحاطة باللغز بجمل مُعَرَّاة ومستعارة من العالم الطبيعي. كان عليه أن يحتفظ بما رآه لنفسه. فرضت اللحظة ذلك العهد الخفيِّ. في الرواية، سوف ينسلُّ السحر عند قَصِّ ما جرى. كفاه أنه عرف الحقيقة.

لم تجعل هذه المعرفة فين أكثر شجاعة بالضرورة، ولكنها سمحت له بوضع خوفه في مكان آخر. أدرك الآن وجود كونٍ موازٍ ليس فقط في عقله، بل في الواقع. وقد ذلك مكانًا آمنًا لتخزين أعمق مخاوفه وأحلامه الأكثر بهجة. غالبًا ما تعرض للتوبيخ بسبب خصوبة مخيلته الزائدة، وها هو ذا يتساءل إنَّ كانت خصبة بما يكفي. كان من الواضح أنه كانت ثمة حقائقٍ أخرى، وعوالمٍ أخرى تتعدى وجوده الضئيل الضيق. ما رآه، ما شهده، كان هائلًا وشديدًا ومليئًا بالضوء. جعله السر يشعر بأنه راسخ، حتى لو لم يعرف ما الذي يثبته، وقد دفع ذلك الذعر إلى جانب واحد. صار يعلم الآن -حتى لو لم يستطع أن يرى ذلك دائمًا- أن العالم يحوي أكثر من مجرد تفاصيلٍ دنيوية تُدفع في وجهك كل يوم. الآن، شعر أنه إذا غيرت زاويتك، فربما أمكنك رؤية الأبدية.

كان فين في حاجة إلى منظور جديد بلا معوقات، وكان يقف عند منتصف تقاطع سارَت المدرسة والمسرحية المدرسية بأقصى سرعة في أحد الطريقين. وفي النهاية، ضغط اعتلالُ صحة والده قدَّمه على دواسة البنزين دون توقُّف. لم تكن ثمة شوارعٌ توقُّف، وترقَّب الاصطدام المحتوم. أمضت والدته وقتًا أكثر في المنزل من وقتها في العمل، وواصلت ميرايد الحوم؛ حول الشقة أحيانًا، وأحيانًا حول الكتلة السكنية بأكملها. كان بإمكان التسوق من أجل طعام الغداء أن يستغرق منها ساعتين. ظهر العم إدوارد كل ليلة، وأحيانًا في الصباح، ليَطْمئنَّ على حال أبيه فقط. قضى رجل المنزل أمسية كاملة خلف الستارة الكبيرة يستمع إلى «انظر في حكمك»⁽⁵²⁾، ولم يلاحظ أحد.

شاعرًا بالكثير من العار، رقد جسده الرفيع، بقبضتيه المشدودتين، مستيقظًا في الليل وقلقًا بشأن المسرحية. عرف فين أنه يجب أن يتسامى عن هذا، فقد رأى ملاكًا. لقد لمح الجانب الآخر، وثقب الحجاب، ولكن سلاسل إذلاله المُحتمَل ما انفكت تُقَيِّده. كان من المفترض أن تكون كوميدية، ولكن حين رقص أوبيرون وتيتانيا حول جذعه، بدا أن الغرض من المسرحية هو السخرية منه. كان مخفيًا، ولكنه معروضٌ على الملأ. كيف لا يسخر باك وبيزبلوسوم من ذراعيه النحيفتين وهما تتأرجحان مع أغصانه المترهلة؟ لم يغيّر شيئًا أن الأنسة ديلمونت أخبرتهم ألا يتشبثوا فترة طويلة. فيليب ديتون كان في الثالثة عشرة من عمره، ووزنه يعادل طنًا.

كما لم يساعد أن فيليب شعر بالغيرة لأن مارجریت والاس -باعتبارها تمثل دور تيتانيا- أمضت الكثير من الوقت في الاتكاء على الشجرة. كانت أقرب إلى فين من أي وقت مضى. دفء جسدها جعل مخيلته تغلي. أجبرت على معانقة الجذع في إحدى البروفات، فتبيَّس جسده وانتفصت أغصانه في استسلام مفاجئ، وانفصلت ورقتان ورفرتا على أرضية المسرح. بعدها، في غرف تغيير الملابس، ألقى ديتون قبعة الجني في الزاوية وسأل إن كانت الأشجار تملك قضبانًا.

النقطة الإيجابية الوحيدة في المسرحية كانت أن جيمي اليوناني بدا مستعدًا للتحدث معه إذا كان يرتدي رأس حماره. لقد كان اختيارًا مفاجئًا لبوتوم، حيث تضمن هذا الدور قديرًا كبيرًا من الحديث. كانت السيدة سميت مذعورة بشكل خاص. ومع ذلك، دكرتها الأنسة ديلمونت أنهم في حاجة إلى الحجم، خاصة مع وجود رأس مغطى بالكرتون. كما إنها كانت ستأخذ دور الراوي وستضمن ألا يضع الجمهور عن مجرى المسرحية. حدقت عينا جيمي إلى فين من خلال النفق الطويل لفم الحمار. سمحت عقدة من الورق المعجن في الشجرة لعينه اليسرى بالنظر إلى الوراء.

- مسرحية مجنونة. مجنونة!

- أعرف.

- قصة جنيات من غابر الأزمان مثل حفلة مخدرات هيبى في الحديقة. جرعة حب مثل «دوربانغولد»، ومسحوق حبوب تأخذه خلف المنضدة من الطابق العلوي في مقهى «نارنيا»، ويجعلك تطير مع الجنيات أيضًا. افرح لأنك لست مضطرًا إلى أن تقول: «ارتعاش الصدمات سيكسر الأفعال». تقول ديلمونت إنني مؤخرة الحمار، ويدعوني اللبناني مؤخرة الحصان. إنه تكيد لأن المُنشد لا يقول الكثير، ويرتدي سراويل مخططة كبيرة جدًا. يبدو كأنه قد تغوَّط طوبهً. ولا أوتار على جيتاره حتى.

وافق فين. أطلَّ من خلال الفتحة الخشبية آملًا أن يراه جيمي وهو يهزُّ رأسه. اقترب رأس الحمار ومال إلى أعلى. لا بد أنه بدا من بعيد كأنه كان يحاول أن

يأكل ما تبقى من الخضار الشحيح.

قال هامسًا: «سمعت؟ إن السيدة سميت زِيَّ اللبناني حتى يبدو غيبًا زيادة. قبعة مثل صحن طائر محطم».

كان فين ممتنًا لأي محادثة. عادةً ما كان يقف وحيدًا في منتصف المنصة بينما يتنقل الناس حوله، وأحيانًا كانت الأنسة ديلمونت تنسى أنه هناك. كان يقف ساعات قبل أن تتذكر، وفجأةً تصرخ: «اجلبوا كرسيًا لتلك الشجرة». أما الآن، صار الأمر مختلفًا بعض الشيء. ملفوفًا باللباد الأخضر، وألواح من الخشب والأوراق الورقية، فكر في شجرة السنط في الحديقة والضوء الذي يسطع منها ويفقد الوقت أهميته. لم يبال حتى عندما أرهقت ساقاه وبليت ذراعاها تحت الدعائم الخشبية، لم يكن يمانع. كان في مكان آخر.

- أنت ممثّل يا أوليفير الصغير. هل نمت جذورك عبر أرضية المسرح ووجدت الماء الذي كانت تبحث عنه؟

واقفًا بذراعين ممدودتين ورجلين ملفوفتين، تساءل فين عما سيفعله بعد رؤياه. كان قد مر ما يقرب من أسبوع، واستعرت نار الضوء الذهبي في عقله أكثر من أي وقت مضى، إلا إنه حثي أن تطفئه زيارة أخرى. ماذا لو لم يعد هيب هناك؟ هل يجعل ذلك الذاكرة أقوى أم أضعف؟ ماذا لو كان فين قد شهد تحوُّلًا ما، نذيرًا لاختفاء هيب الكلي؟ لعل ذلك الضوء الأصفر يسافر الآن عبر الفضاء ليظهر وهجُه لحظةً في عدسة تليسكوب ضخم. لقد قرأ في مكان ما عن مرصد في هاواي يمكنه أن يعاين بداية الزمن.

نظر فين من خلال العقدة في الجذع إلى الساعة المعلقة على الحائط البعيد. كان يوم المدرسة على وشك الانتهاء. إلى جانب خوفه من عدم وجود هيب هناك، فقد كان قلقًا بشأن ما إذا كان هذا تجليًا مخطئًا له أم إنه مذنب لارتكابه التجسس. كان متأكدًا مما رآه، ولكن هذا لم يوقف آلامه المتزايدة بالذنب. مرتبكًا ونادمًا، أشاح بنظره عن الحفرة.

مرةً أخرى صفقت الأنسة ديلمونت بيديها عاليًا في الهواء، وقالت: «حسنًا!» جمعتهما هذه المرة بحركة درامية فوق كتفيها، مع لفّة إسبانية لجسدها. «دعونا نختم بالمشهد الأخير! فليقف الجميع على خشبة المسرح مع تجهيزاتهم. حضرة السيد فيسر، أحضر عكازك أيضًا، سنلفه بورق مجعد أرجواني. يُسمَحُ لوحوش الغابة الغربية أن يعرجوا شرط أن يكونوا ملونين».

اقتربت مارجريت والاس، وسحب فيليب غصن الشجرة إلى أسفل بشكل مؤلم. جيمي اليوناني كان يضحك مع رأس حماره الذي يرتديه جانبيًا، وداعب اللبناني البانجو مُقلدًا إلفيس بأداء مبالغ فيه. أعادت هيتي هاتينج ترتيب الزهور على مقدمة رأسها، بينما يقام فيرنون ماك آرثر بفكها من الخلف.

- سنبدأ حين تكونون جاهزين جميعًا؟ شكرًا. الآن، أين باك البرتغالي؟

شق كارلوس دي سوزا طريقه إلى وسط المسرح، الذي كان اختيارًا مفاجئًا آخر للعب هذا الدور. كانت لكنته اللشبونية الثقيلة ستدفعه عميقًا في الخلفية عادةً. نما قرنان برتقاليان من أسفل تصفيته مثل أطراف جزر تبحث عن الهواء. لم يكن مرتاحًا لزيّ الضيق، وكان قلقًا لإدراكه مكان انتفاخه تمامًا. حمل مزمارًا كان في الحقيقة مُسَجَّلًا يخص لينا فان ويك، التي بدا الامتعاض على وجهها كلما وضع الآلة الموسيقية في فمه. وضع نفسه أمام الشجرة وتنهد.

- تذكر الآن أنك كائن شرير صفيق وفكاهي للغاية. أنت داهية، روح هائمة تمرح في الليل. هذه فرصتك لإنهاء المسرحية بأكملها. ستحدث مباشرة إلى الجمهور وتعتذر عن أي شيء تسبب في إهانتهم، وتقرح أن يتظاهروا جميعًا بأن ذلك كان حلمًا.

مسح كارلوس فمه، ثم نفخ بضعة ألحان حزينة على المسجل. انحنى، ومنعه ضيق ثيابه من الانحناء كثيرًا.

إن أسأنا نحن الظلال إليكم،
ففكروا بالتالي وما عليكم،
لقد غفوتم فحسب هنا،
بينما ظهرت هذه الرؤى.
ركاكة وضعف المسرحية،
لم تكن أكثر من غفوة هنيئة.
لا تستنكروا أيها السادة الكرام،
سيكون كل شيء على ما يُرام.

قبل أن تصرفهم الأنسة ديلمونت، عرف فين ما عليه فعله. لم يتظاهر بأنه في غفوة هنيئة، ولم ينم هناك، ولم يكن موضوعًا ركيكًا وضعيفًا. حان الوقت للعودة إلى ناجت هيل، حيث سيواجه ملاك آرثر موريد الذي كان يحتفظ بحلوى «لايف سيفرز» في شعره. تطوّرت شجرة البلوط الخاصة به من زيّ إلى ورشة نجارة، لذلك لم يستطع سوى السيد سوينديون -حارس الحديقة الصامت الماهر في الأعمال اليدوية- أن يخلصه منه. فكّ الألواح ذات الألسنة والأخاديد من حول القاعدة بمفك البراغي، ثم أدار بهدوء فين وهو يفك غلاف اللباد. أخيرًا، سحب الأنابيب ذات اللون البني برفق من ذراعي فين، مع الحرص على ألا تقع أي أوراق أخرى.

- في عجلة من أمرك.

أومأ فين بالإيجاب. لم يكن ذلك سؤالًا، ولكن كانت هذه العبارة المكونة من أربع كلمات هي المرة الأولى التي يسمع فيها حارس الحديقة يتحدث دون أن يُوجّه الكلام إليه أولاً. فاحت منه رائحة الأرض والعشب اللطيفة وهو يكدس

الخشب في كومة أنيقة. كان رجلاً يتحرك بوتيرته الخاصة، ولم يدع الوقت يضايقه. فصل السيد سويندون قطعة من الشريط اللاصق عن جوب التلميذ، وأشار إلى القبعة المطوية في جيب سترته.

- ستصبح جاهزًا للانطلاق حالما تضع تلك على رأسك وتقوم ربطة عنقك. على غير العادة، كان بال وراء كل من جرونديج والستائر، فاستغرق بعض الوقت ليُخْرِج نفسه عندما سمع سيده يسقط حقيبته المدرسية. بينما يتشتمّ حذاء المدرسة الأسود المكسور، فُتِحَ الباب الأمامي مفتوحًا مرة أخرى، وُرِبطَ طوقه. للتأكد من أن سيده لا يستطيع تغيير رأيه، ظل يسحب رسنه حتى أصبحا داخل بوابات الحديقة. بمجرد إطلاق سراحه، لحق على الفور كلب بولدوج يرتدي وشاحًا حول رقبته، وبدا الكتان ذو اللون المرجاني أثوبًا قليلًا على جسمه العَصَلِيّ ووجهه المهروس. فجأة بات من المهم أن يتظاهر فين بالأريحية. تذكر خطو السيد سويندون الثابت والمرتاح، وحاول بدوره السيطرة على الوقت. تزايدت دقات قلبه وهو يوعز إلى ساقيه بعدم التسرع. سار متمهلاً ومصممًا وهو يشق طريقه نحو شجرة السنط. كان قد قرأ أن الأنهار تتعرج، وتساءل عما إذا كان بإمكانه فعل الشيء نفسه.

- تحية طيبة يا سُكَّان الأرض.

توقف فين في منتصف الطريق واستدار. كان هيب جالسًا على أحد مقاعد الحديقة غارقًا في ظل شجرة الجكراندة الضخمة. كانت رجلاه متقاطعتين ويداه ممدودتين. انعكست الشمس عن المبانِي التي اصطفت على جانبي شارع برايمروز وأضاءته قليلًا. مالت صورة ظلّه برأسها، ومالت القبعة إلى الأمام. تَلَكَّأَ فين. رغم حماس فين وارتياحه لرؤية هيب، فقد أدرك أنه كان يأمل في لم شمل أكثر سعادة وبهجة، يرافقه القليل من التحليق ربما، أو توهج غير صادر عن الشمس. لم يَرِ أي شيء مختلفًا باستثناء لحية هيب، التي أصبح شكلها ماسيًا الآن.

توضّع الرسن الجلدي الذي كان يتبعه على الأرض مُشيرًا نحو هيب، دون أن يمتلك مصدرَ طاقة في نهايته ليقرّبه. شعر بالحرج لكون أحد الطرفين مُلتَقًا حول يده والآخر مُلَقَى على العشب المجزور حديثًا. لم يكن متأكدًا مما إذا كان ثمة بروتوكول عليه اتباعه. هل ينزل ببطء على ركبتيه؟ هل يتسطح على الأرض ناشرًا ذراعيه؟ هل عرف هيب أنه يعرف؟ هل يهم ذلك أصلًا؟

أشار هيب إلى الكلب الخفي وصفع حجره وقال: «تعال يا صغير!»
تحرك فين نحوه ببلاهة، ووقف، بينما لم يربت هيب على شيء، ثم جلس على المقعد.

- كيف تجري المسرحية؟

- بخير.

- بخير بمعنى رهيب؟ أم بخير فعلاً؟

- بخير، لا بأس.
- متى يحين موعدها؟
- الجمعة.
- أي شخص قادم للمشاهدة؟
- نظر فين بطرف عينه إلى أسفل رأسه باحثًا عن ضوء نابض.
- والدي مريض للغاية. يجب على والدتي أن تعتني به. العم إدوارد لديه اجتماع عمل، وميرايد لا تحب المسرح. إنها لا تحب الأفلام أيضًا، باستثناء «صوت الموسيقى»، رغم أن جولي أندروز تبدو كصبي.
- هل حفظ الجميع أدوارهم؟
- لا يتضمن دوري كلامًا.
- قصدت أولئك الذين يتكلمون.
- تقول الآنسة ديلمونت إن كل شيء سيكون على ما يُرام، وعلينا أن نثق بإله المسرح.
- أخذ هيب في التارُّجُح من جانب إلى آخر كأنه ينتشي. تدرجت عيناه إلى الوراء، واستُبدِلَ باللون الأزرق اللامع لونٌ أبيض ناصع. بدأ لعبه يسيل وهو يصرُّ على أسنانه ويحرك رأسه أسرع فأسرع من جانب إلى آخر. التوى وجهه بشكلٍ فظيع، وشَقَّتْ فمه ابتسامة ساخرة بقيت هناك. لم يوقف الفك المغلق الأنين المستمر لرجل يريد أن يتقيأ. سقطت قبعته على المقعد، ثم سقطت على الأرض. تكهرب شعره وانتفض يائسًا يريد مغادرة رأسه. ارتجف جسده كله واهتز، بينما تارَّجحت ذراعه في اتجاهات مختلفة، ثم توقف الأمر بالسرعة ذاتها التي بدأ بها.
- ديونيسوس.
- ماذا؟
- ديونيسوس هو إله المسرح اليوناني، وجنون الطقوس، والنشوة الدينية، والنبيذ أيضًا.
- هل كان من المفترض أن يكون هو؟
- هَزَّ هيب كتفيه وقال: «اعتقدتُ أنك ستكون جيدًا في الألغاز».
- باحثًا عن شكل من أشكال الحماية، لَفَّ فين الرسن حول ذراعه.
- كما إنه الوصيُّ على أولئك الذين لا ينتمون إلى المجتمع التقليدي؛ الغرباء، ويرمز إلى كل ما هو فوضوي وخطر وغير متوقع، إلى الأشياء التي تفلت من العقل البشري ولا يمكن أن تُنسَبَ إلا إلى عمل الآلهة غير المتوقع.
- عندما انحنى هيب إلى الأمام لاستعادة قَبَعَتِهِ، فحص فين المذهول ملامح ظهره. كان يبحث عن شيء يمكن ثنيه بقوة على جلده. وتساءل عمَّا إذا كان

عمود هيب الفقري لا يدعم العصا التي يمكن أن تتدلى منها طائرتان ورقيتان بيضاوان.

بدا كل شيء طبيعيًا، ولكنه لم يكن متأكدًا. كانت البلوزة المصبوغة ضيقة إلى حد ما. انفجرت دائرة مجنونة مشكّلةً بركائًا من الألوان. انتشر اللون الأرجواني والأحمر والأصفر نحو الخارج، وذابت باتجاه خصر هيب.

- بلوزة جديدة؟

- نعم، كانت قفطًا ذا نقش هلوسيّ مرح. قررتُ قصّه إلى نصفين وجعله بلوزة تتناسب مع بنطال البدلة المقلّم.

شمّر كُمّيه حتى وصلا إلى أعلى كتفيه وقال: «ويمكن ارتداؤها بعدة طرق مختلفة».

في محاولة جاهدة للتعافي، أوماً فين بأدب وحاول تصفية رأسه. كان يأمل في أكثر من عمل جنوني يمكن تصديقه ولحية ماسية الشكل. هل يمكن أن يكون هذا الرجل في نصف قفطان هو ذلك المجنح ذاته؟ استدار في مواجهته مرة أخرى. وهناك، مرسومةً بالحبر الداكن على زاوية كتفه، مثل خريطة قديمة، رآه.

- وشم؟

استدار نصف رأسه نحوه.

- لم أره من قبل.

- إنه من وقت طويل جدًّا.

- شكلُ حلزونيّ؟

كوفئ هذا السؤال بالتفات هيب إلى مواجهته. كان وجهه هذه المرة نظيفًا وناعمًا، مما سمّح للشكل الماسيّ بمزيد من البروز نظرًا إلى اتشاحه باللونين الأسود والرمادي. دفع قبعته إلى الوراء كثيرًا، فظهرت حافة شعره، وأشارت الحافة إلى السماء.

- هل تلتف نحو الأعلى؟ أم الأسفل؟

- لا أعرف.

- بالضبط.

- بالضبط؟

- كلنا ندور، ولكن في أي اتجاه؟

أغمض هيب عينيه وسمح للشمس أن تضرب وجهه. لاحظ فين وجود ثقب في شحمة أذنه اليسرى. نظرًا إلى محيطه، فقد كان الشيء الذي وُضِعَ هناك -مهما يكن- كبيرًا.

- لقد فهمت الأمر.

كانت تلك المرة الثانية التي يقول فيها فين كلامًا بشكل عفوي، وباح بسرّه. لم يأخذ القبط لسانه، بل أطلق سراحه. كان قلقًا ومرتاحًا في الوقت نفسه. كان في حاجة إلى هذا الرجل الملاك ليفهم أنه -فين- أصبح مختلفًا الآن. أنه كان جزءًا من بصيرة أعمق.

كرر الجملة ببطء، محاولًا إعطائها اتجاهًا محددًا: «قلتُ إنني حللتُ الأمر». لم يتفاعل هيب بأية طريقة.

- هيب ثلاثة عشر اثنان. رسالة بولس إلى العبرانيين، الإصحاح الثالث عشر، الآية الثانية: «لا تنسوا إضافة الغرباء، لأن بها أضاف أناسٌ ملائكة وهم لا يدرون».

- عَرَفْتُ أَنْكَ سَتَفْهَمُهَا! أَنْتِ ذَكِي. أَحْسَنْتِ. نَجْمَةٌ ذَهَبِيَّةٌ.

توقع فين أكثر من ذلك بكثير. لم يفتح عينيه الرجل الذي اتهمه للتو بأنه ملاك. ظل الوجه المصقول المدبوغ والصدر المرتفع ساهيين. توسعت عجلات كاثرين⁽⁵³⁾ الملونة وانكمشت بوتيرة متساوية. لُيرِحَ عينيه من الشكل متعدد الألوان، عاد إلى اللون الأزرق الغامق للوشم. كان ثابتًا، وإن بدا كأنه يدور في الوقت ذاته، وذكره بعيون الثعبان في كتاب الأدغال. إذا نظر إليها مطولًا، فهل ستنوّمه مغناطيسيًّا مثل ماوكلي؟ شدّه الميَلان المتساوي للمنحنى المتدفق ليقترّب أكثر فأكثر. تَرَبَّعَ الكون بأكمله على كتفه.

قال هيب وهو ما يزال مغمض العينين: «اكسر صدفة النوتيلوس وستجدها. تراها في جدائل رأس عباد الشمس. حدِّقْ إلى المجرة وسيحدِّقْ هذا الشكل اللولبي إليك بدوره. دوم تاك تيك، نعم يا سيدي، سيحدق إليك». بدأ هيب يغني. «لا حاجة إلى الحزن العتيق، دوم تاك تيك، فانت في اللولب يا صديق!» توقّف عن النقر بأصابعه وفتح عينيه.

- حسنًا!

أنزل هيب أكاماه ووقف فجأة، ثم حاول لمس أصابع قدميه وأخطأ بمقدار ست بوصات. تبع ذلك عدد قليل من القفزات مع رفع اليدين عاليًا بشكلٍ فاتر. بان القليل من بطنه المشدود إلى حدٍّ ما. كانت تمارين الضغط أقلَّ إثارة للإعجاب. التصقت ركبتاه بالأرض بعد أول تمرينين، وعانى لرفع كتفيه عن العشب، ثم تدحرج على ظهره وحاول الدوران في الهواء. ارتفع حذاؤه المتسخ في السماء الزرقاء وهو يناضل ليتماسك.

عاد بال ليطمئن على سيده، وكانت زيارة قصيرة. عاود الرحيل بعد تربيته واحدة على رأسه. استغلَّ هيب المقاطعة ليختتم عرض الجمباز الخاص به. استلقى مثل نجم البحر على الأرض، قبل أن يركع ببطء على ركبتيه ويقف أخيرًا. انحنى، مُقَرِّبًا بهذا التصعيد الجسدي، ودار دورتي شرف حول المقعد، ثم استخدم بلوزة القفطان ليمسح عرقه غير الموجود.

سأل: «هل أنت متوتر بشأن المسرحية؟»
- قليلاً. لا أريد أن يسخر مني الناس. يعلم الجميع أنني شجرة لأنني لا أتقن الكلام.

- هل يملك الكثيرون أدوارًا لا تتضمن كلامًا؟
- ليس لأنهم لا يستطيعون التحدث بشكل طبيعي.
- الكل يرقص من حولك؟ ويؤدي الممثلون أدوارهم حولك؟ هل تقف في منتصف المسرح؟

- نعم.
- حتى أحلامهم تدور حولك؟
- نعم.

- إذن، أنت إما شجرة صغيرة مسكينة بكماء، وإما مركز اللولب. كل شيء يتلولب خارجًا منك. أنت من يختار.

شعر فين بإحباط متزايد. لم يعرف ماذا كان يتوقع بالضبط، ولكنه كان يأمل أن يتضمن ذلك تلميحًا حول الصداقة الخفية بين الملاك والصبي، أو أن تلتف على الأقل ذراع الرجل حول كتفه، مثل اعتراف قائد الفريق بأن الفضل في الفوز يعود إليك. وبدلاً من ذلك، شعر بأنه محاصر ومحجوز ومهزوم. كانت الأسئلة تُطرح عليه، وقد افترض أن العكس هو ما سيجري. لم يكن من المفترض أن يتم حشر الملائكة حتى يُفصحوا عن أسرار الكون.
كان يبحث عن النور المقدس، والموسيقى السماوية، وأبواب سرية تُفضي إلى عوالم أخرى. لم تكن دندنة «دوم تاك تيك» كافية.
- تبدو مُرتبًا.

لم يعرف فين كيف يرد. نظر إلى أسفل إلى الكاتدرائية الكاثوليكية، التي كانت بعيدة، ولكنها ضخمة مع ذلك، ثم نظر إلى نادلات المطعم المتزلجات باحثًا عن المساعدة من أي مكان.

- لا بد أنك تعرف أشياء لا يعرفها الناس العاديون، أشياء خاصة: حكمة، معرفة... لا أحد سواك...
نفدت منه الكلمات.

اعتلت وجه هيب نظرة ذات مغزى، ومرر كلتا يديه من خلال شعره ببطء. بدا أن الأمر سيتضمن القليل من المراسم، كما ساهم حينها فك كتلة الخصل في تقويم تفكيره. قال: «الكاحل والمرفقان. قلة قليلة من الناس يقدرونها. لا يهتم أحد بهذه القطع العظمية الصغيرة». أوضح هيب ذلك عبر رفع طرفي سرواله أولاً، ثم أكمات القفطان. «ولكن حين لا تعود تعمل، تتوقف عن كونها مجرد قطع وصل فجأة. لا يعود بإمكانك التجول مثل أي إنسان عاقل مُرَقَّه. لا

تستطيع إيصال الطعام أو الشراب إلى فمك. ويمكنك أن تنسى التنس
بالكامل. الوصية المقدسة الحادية عشرة: أكرم كاجليك ومرفقيك». سلسلة إذاعية بثتها محطة إذاعة ملبورن، أستراليا، بين عامي 1958 و1960. نوع من الألعاب النارية.

Epiphany

e-pif'a-ni/ noun/

قالت ميرايڊ إن المطر غير موسمي إطلاقًا، وهو ما تقوله كلما هطل المطر. في اسكتلندا أربعة مواسم واضحة تسمح لك بترتيب حياتك. كان الطقس في جوهانسبرج فوضويًا. ضربت الأمطار -التي كانت غير منضبطة وغير متوقعة- نوافذ الصالة، وتغصنت حتى وصلت إلى العتبة الحمراء مصقولة، وانتقلت من هناك بين أخاديد الحجر المائل وانسكبت في الحديقة. كانت شجرة النخيل محاطة بدائرة من الماء بالفعل. باعدت الستائر الشبكية، وسحبت مقبض النافذة المغلقة في محاولة لسد فجوة غير مرئية.

- انظر إليه! إنه يأتي ويهطل جانبيًا الآن!

لا يتصرف المطر بهذه الطريقة عادةً. قامت بفحص النوافذ الأخرى المغلقة، ونقلت الأوراق العطرية المجففة عن جرونديج على الرغم من أنها لم تكن معرضة لخطر البلل. بعد ذلك نكزت المنشفة التي كانت ملقاة على شكل ثعبان أسفل باب الشرفة. أخفت انزعاجها من أنها ما تزال جافة من خلال الشكوى أنها ستبتل قريبًا. ثم تساءلت ميرايڊ عن حالة العالم التي سمحت بوجود فجوة تعادل سنتيمترين بين الباب والأرض. كانت الحرفية تحتضر، وبات يُنظر إلى الفخر بالعمل على أنه مفهوم قديم الطراز. لم يعد أحد يريد أن يصبح متدرّبًا حرفيًا، فالأمر يستغرق الكثير من الوقت، والجميع في عجلة من أمرهم. لا يهم إلى أين أنت ذاهب ما دُمت ستصل سريعًا. قالت دون أن توجّه كلامها إلى أحد: «لا تملكون ربيعًا».

- يتوقف الشتاء ويأتي الصيف مندفعًا. الشيء نفسه مع الخريف؛ يذهب في طرفة عين. ليس كأنه شتاء حقيقي على أي حال، فما من ثلج، أو ثلج مرة في السنة. ثم يركض الجميع إلى الخارج مثل الشياطين المجنونة.

جلس فين على طاولة غرفة الطعام متظاهرًا بأداء واجبه المنزلي. لاحظ أن جدته تتحدث أكثر فأكثر، حتى عندما لم يكن ثمة من تتحدث معه. بدا أنها تحاور نفسها عندما تكون في أسعد حالاتها. لم يقاطعها فين قط؛ إذ كان يعرف بشأن العوالم الأخرى، وأنه يمكن أن يكون المرء في مكانين في الوقت نفسه. لقد كان اتصالًا نادرًا بينه وبينها، رابطًا لن يستطيع أن يعترف به يومًا، إلا إنه كان أحد الأشياء القليلة التي فهمها، وجعله يشعر باطمئنان غريب وهو

يشاهد حياته تتحسن قليلاً ثم تنهار مرة أخرى. دار دوراً حزنونياً نحو المركز حتى يندفع إلى الخارج مرة أخرى. لم تكن لديه أدنى فكرة عما إذا كان يدور إلى أعلى أم إلى أسفل، أم كان يتحكم في اتجاهه على أي حال.

لم يعد يملك صلاحية التحكم في غداء مدرسته حتى. لقد كان سعيداً جداً بشطائر شرائح بوفريل السميكة والجبن التي بدأ يصنعها بنفسه، ولكن الآن تُصِرُّ ميرايد على شطائر البيض والخس. «المزيد من البروتين، الخس من أجل المظهر فقط». كان يكره البيض. كان يكره الخس.

كما لم يعد يُسمح له بالدخول المجاني إلى غرفة نوم والده. «ربما لاحقاً، وليس الآن». كان هذا كل ما تقوله والدته حين ينغلق الباب خلفها. تقسم الابتسامات القسرية الوجوه الحزينة بطريقة مرعبة من جانب إلى آخر.

كان الوقت الوحيد الذي يصبح فيه حُرّاً ليضع خططه الخاصة هو عندما يخرج مع بال، مما اضطره إلى المشي بأسرع ما يمكنه دون أن يركض إلى الحديقة مباشرة. لم يعد يتظاهر بأنه يفعل شيئاً آخر بينما كان يبحث عن هيب. وكان يجد الرجل ذا الفيدورا في الطرف البعيد من الشريط الأخضر غالباً، على مقعد بين شجرة الصفصاف الصغيرة والشلال شبه المكتمل. كان عادة نائماً، أو يتشمس، أو يقرأ أي جريدة أو مجلة يجدها. في «أيامه الفكرية»، كان يلعب الشطرنج ضد نفسه. احتفظ بالقطع والرقعة القابلة للطّي في علبة حلوى. كان يقول: «اللعنة، أنا بارع. لم أخسر بعد». أحياناً كان رأسه يسكن تماماً، بينما تنظر عيناه إلى ما وراء خط الأفق. في هذه الأوقات، كان فين يخفف تعامله معه، مستشعراً أن شيئاً خاصاً وشخصياً قيد الإنجاز. كان يجلس بهدوء بجانبه ويتبع نظرتة. أصبح الجلوس دون التحدث هو الشكل المفضل للتواصل بالنسبة إليه.

ومع ذلك، على الرغم من كل هذه الراحة والصدقة الحميمة السهلة، فإن لغز هيب لم يكتمل بعد. كلما رآه فين أكثر، ازداد شعوره بأن معرفته به سطحية. كان يعرف ماهيته، ولكنها لمفاجأته لم تكن الجواب الكامل. لم يكن يعتقد أنه سيكون ثمة المزيد ليعرفه عن الرجل الذي يتوهج في الليل ولديه أجنحة. لقد افترض أن هذه المعرفة ستُجيب عن كل الأسئلة الضرورية. بدا العثور على ملاك في الحديقة المحلية وكأنه نهاية القصة، ولكن هذا ليس ما جرى. هل كان يعلم بالتأكيد أنه قد شوهد؟ ألا يعرف الرسل الإلهيون كل شيء؟ هل سكت مبعوث الله لأنه لا يجب أن يُتجسس عليه؟

رأى بولس شجيرة مشتعلة في طريقه إلى دمشق وتغير كل شيء. ومض ضوء من حوله وسقط على الأرض. حدّثه صوت، والأهم هو أنه عرف بعد ذلك ما يجب فعله بالضبط، وتغيّر الرجل. كانت لدى فين صورة له في كتابه المقدس. امتلأت عيناه فجأة باللون الأزرق الفولاذي. تحول شعره المموج إلى اللون الأبيض، وتحرك فرقه الواسع مثل البحر الأحمر يساراً ويميئاً. انسحب

جلده إلى الخلف لأنه شعر بقوة الرب، وتحولت ساقاه إلى رخام مصقول بفرن النار المقدس. لم يحدث شيء مثل هذا لفين، لم تنزل خصيتاه حتى. كانت المشكلة أن السؤال الموجه إلى هيب -مهما كان مباشرًا في الطرح- كان دائمًا ما يُؤلَّد سؤالًا آخر. كانت مسرحية المدرسة مثالًا ممتازًا على ذلك. أخبره هيب أن يتوقف عن القلق، وأنه سيحظى بـ «أمسية جيدة». عندما سأل فين كيف عرف أنها ستكون جيدة، سأله هيب إذا كان قد تدرّب جيدًا على كونه شجرة أم لا.

تأمل فين في حدوث كارثة فقط ليثبت أنه على خطأ. ملفوفًا في نسيجه الأخضر وشرائحه، حاول أن يراقب الجمهور بعين واحدة من خلال الفتحة الموجودة في صندوقه. كانت اللحظة الوحيدة غير المتوقعة حقًا هي قدوم حمامة جبلية ضخمة. دخلت من خلال النافذة العلوية للقاعة، وهَدَلَت مرتين كما لو كانت تعلن عن وصولها، ثم استقرت مرتاحةً على العوارض الخشبية. وقفت السيدة سميت على كرسي وهزت المكنسة في وجهها. صفق الأطفال في القاعة بأدب ولَوْحوا لها، معتقدين أنها جزء من المسرحية. لم تنزعج الحمامة. نشرت جناحها وشرعت تهدم نفسها. خفتت الأضواء، وسارت الأنسة ديلمونت إلى وسط المسرح. كانت متنكرة بزّي مخلوق غابةٍ أسطوريٍّ ما، وكان من الواضح أن فصل الخياطة بالمدرسة لم يلمس زيبها.

رأى فين مدير المدرسة -الذي كان جالسًا في الصف الأمامي- يستقيم في جلسته فجأة ويسحق برنامجه حتى يتكوّر. من الخلف، انبثق من الحُفّين البنيّين ذوي الشرايات فردتا بنطال ضيقٍ ضغطتا على جسدها، والذي، بدوره، أفصى إلى بلوزة بيضاء ناعمة أبرّزت خصلات الشعر الأحمر المجعد الكثيف. في ذروته، نُوج هذا البيون الكستائيّ الناري بقرني استشعار لوحا إلى الجمهور وهي تدير رأسها.

ما لم يدركه فين في ذلك الوقت، وما سمعه مرارًا وتكرارًا بعدها، أنها عندما كانت تقفز في دائرة الضوء برز صدرها مثل «الكعك المكوّب».

سرعان ما تم إخماد لحظة الفضيحة المحتملة هذه عندما أصبح من الواضح أنها -بصفتها الراوية- ستقضي معظم وقتها في ظلام الأجنحة. سرقت مارجریت والاس العرض، مما دفع أعضاء فريق التمثيل الأخريات إلى نشر شائعة بأن مُصَقِّفًا محترقًا هو من صفف شعرها. باستثناء تطاير بذور الخردل نحو بوتوم الغافل، الذي أجبر أذن الحمار اليسرى خاصته على أن تتجه نحو الجنوب، فقد سار كل شيء حسب المخطط. لم يستطع اللبناني مقاومة القيام باستدارة إلفيس عندما كان على خشبة المسرح، أدى ذلك إلى ضحك لطيف، وبالتالي أفلت من العقاب. تلقى كوبوس فيسر جولة إضافية من التصفيق لأنه سحر الغابة بقبعة العفريت، وهي عبارة عن قبعة لاعب رجبى وعكاز. جعلته ساقه المكسورة الممثل الوحيد الآخر الذي لم يستطع الانحناء.

هز فين فروعه، ولم يلاحظها أحد. وقف في الخلف، بينما وقفت المجموعة بأكملها أمامه.

حاول أن يتخيل نفسه في وسط دوامة سحرية بدلًا من أن يكون مجرد شجرة في الخلفية، ونجح في بعض الأحيان. كان داخل نفسه وداخل المسرحية. ودار كل شيء حوله بالفعل. إذا كانت للأداء بؤرة، فمن المؤكد أنه كان فيها. هل يهم أن أحدًا لم يستطع رؤيته حقًا؟ في مكان ما بالقرب من الوسط، بينما كان باك يضع عصير الزهرة على عيني ليزاندر، عاد إلى غرفة نوم والده. رآه مستلقيًا بسلام، نائمًا بعمق. إلا إنه دفع الشعر بعيدًا عن جبين أبيه هذه المرة وقام بإزالته برفق.

بحلول الوقت الذي أعلن فيه السيد سويندون أن «صبي الشجرة هنا» ووضعت الشرائح على خشبة المسرح في أكوام أنيقة، كانت القاعة شبه فارغة. جلست الحمامة ممتلئة الجسم، ونائمة بعمق أعلى السقف. وفي الأسفل، التقطت عائلة هيتي هاتينج صورًا لها. انعكس وهج الفلاش عن اللوح الخشبي خلفها، مما أدى إلى تحويل الحروف الذهبية لأسماء مديري المدرسة السابقين إلى فضية. طلب منها والدها ألا تقوم بكثير من الحركات، فسألت ما فائدة الصور إذن. أخذت بعض الزهور من شعرها ووضعتها بشكل جانبي في فمها. عندما مر فين، أومأ برأسه ردًا على سلام والدتها. كان كل ما قالته هيتي: «لقد كان الشجرة».

دُعِيَ الأطفال لتناول الشاي بعد ذلك، على الرغم من أن هذا يعني حقًا القرع البرتقالي من علامة ليكول التجارية في كوب ورقي على طاولة خاصة بهم. لم يُسمح لهم بالاختلاط بأهاليهم إلا بعد أن تأكد المعلمون من أن البالغين قد تم إنعاشهم بما فيه الكفاية. لم تصل الكعكات والكوكسيستر⁽⁵⁴⁾ إلى أفواه الصغار حتى سمح السيد كوك بذلك. بمجرد حدوث ذلك، لم يكن فين سريعًا بدرجة كافية. ولكن كارلوس دي سوزا أخرج قطعة من العجين المصفور من جيبه وقدم له قطعة. كان لا بد من إزالة غلاف فتائل العلكة وقطعة من الظفر قبل أن يضعها في فمه.

- الأسد الجائع يزمجر، والذئب يطوف القمر.

لَكَمَه باك البرتغالي على كتفه، وتوجه نحو المخرج. وسيردد كارلوس هذا السطر مرارًا وتكرارًا طيلة الفصل الدراسي. سواء نجح في علم الأحياء، أو سجل هدفًا، أو رأى فتاة جميلة، فسيشارك الأسود والذئب.

بناء على ما فهمه فين، فقد كانت ليلة ناجحة إلى حد ما. تزايد الطلب على حضور الأنسة ديلمونت، على الرغم من أنها كانت ترتدي فوق بلوزتها سترة ركوب خيل صغيرة تصل إلى الخصر. اختفى قرناها، ولكنها كانت ما زالت تبدو كأنها مخلوق ساحر وجميل من مخلوقات الغابات. بدت مستعدة للانضمام للبحث عن الثعلب أو -إذا لزم الأمر- أن تصبح الفريسة نفسها. بينما كان

فنجانها ينزلق بشكل خطير على الطبق، أوضحت أن القصة لا يجب أن تكون حطّية، وأن الأجواء التي تسود السرد غالبًا ما تكون بأهمية الحكاية نفسها، وأنه علينا أن نكون أمناء مع جوّ المؤلف بقدر أمانتنا مع مسرحيته. ابتهج الرجال، وشردت النساء بفكرهن.

شكر السيد كوك الأنسة ديلمونت، واقترح في الوقت نفسه شيئًا أكثر جنوبي إفريقية في المرة القادمة. ذكر تفضيله معركة نهر الدم مرة أخرى، ودكّرَهَا قائلاً: «أربعمئة وسبعون من سكان فورتيكروز احتجزوا عشرين ألفًا من الزولو في الخليج. يمكننا بناء «لاجر»⁽⁵⁵⁾ على طول المسرح. يمكن للفتيات أن يصنعن «كاييز» لأنفسهن؛ أي أعطية للرأس». استخدم يديه بمكانة غمازين عند جانب رأسه في حال لم تفهمه تمامًا. «كما يحب الأولاد القليل من الحركة، والبنادق، والرماح، وتلميع الأحذية». دارت أصابعه على خديه وهو يتظاهر بأنه يطلّهما باللون الأسود.

في موقف السيارات، سمع فين الأخ الأكبر لفيليب دينتون يقول إن الأنسة ديلمونت تبدو مثل بامبي مع ثديين، وبدا ذلك مجاملة أكثر من إهانة. انتظر فين عند البوابة على أمل العودة إلى المنزل مع جيمي. بمجرد أن ذهبت السيارة الأخيرة، أدرك أنه لا بد أنه لم يلحظ خروجه، واستدار ليذهب. كان في منتصف الطريق عندما عبرت سيارة إنجليا صدئة المدخل الجانبي من الحقول وعلا صوت بوقها في وجهه. عندما أنزلت النافذة، تعرّف على وجه السيد سويندون تحت قبعته المصنوعة من القش.

- هل تريد توصيلة؟

- هل أنت ذاهب إلى هيلبرو؟

- يا لها من مصادفة!

مع انزياح هم المسرحية، أمل فين أن نسيج وجوده سيصبح أكثر انسجامًا. جدته تحوُّ الآن بقلق شديد «في مواجهة الزمن»، وهي تشكو طيلة الوقت أن الشخص الذي سيلبس القميص يتقلص أكثر فأكثر. كانت قد أنهت قميص والده، الذي كان مقاسه غير ملائم. في البداية لم يعجبه اللون. قال: «الأزرق المخضّر هو لون أخضر مرتبك يبحث عن هوية، ابن والدين مفرطين في التفاؤل». حين دفع رأسه من خلال القبة ودخلت ذراعاه في الكُمّين، جلس هناك مثل السائل. كان القميص كبيرًا جدًّا، وبدا كأن الجزء العلوي من جسمه يتدفق من السرير. قال: «إنه مثالي... من أجل الليالي التي أرغب فيها بالتنكر على هيئة نهر». كانت ميرايدي تعمل الآن على زوج من النعال.

- اعتيرها جوارب إن أردت. لا تتقلص الأقدام، وستكون عملية في الشتاء.

على الرغم من أنه ما كان بيد فين تغيير الأحداث التي كانت تنحرف وتتهاوى حوله، فإن توقعاته كانت أعلى فيما يخص الملائكة. لم يمانع المناقشات حول الأشكال الحلزونية والكاحلين والمرفقين، ولكنه كان مغرمًا بالمعجزات. ظلت

جدته تردد على مسامعه: «راح هدرًا الورق الذي كُتِبَ عليه هذا الكلام». شعر أن هيب لا يقول كل ما يريد قوله، ويحاول تمثيل العفوية. بدأت بذرة الاستياء تنمو. ربما لم يكن مباشرًا بما يكفي.

تدرب على أقواله، مستخدمًا بال ليحادثه، ولسبب ما رَبَّبَ شعره، ثم مَشَّطَه بعناية، ثم ذهب للبحث عن الرجل ذي القفطان المُرسَل من عند الله. وجده بجوار شجرة الصفصاف يحاول الطيران ببطء.

قال: «رافعة بيضاء تنشر جناحيها». ثم تراجع إلى الورااء ودفع اللاشيء. «صد القرد». انحنى إلى الأمام بشكل محرج. «الأفعى تزحف إلى الأسفل». أخيرًا، حاول الوقوف على ساق واحدة. «إلديك الذهبي يقف على ساقه اليمنى». تمايل بشكل خطير، في انتظار أن يعلق فين.

- أظن أنك لا تعرف تاي تشي؟ هؤلاء الصينيون القدماء أذكاء. فن قتالي دفاعي وغني بالفوائد الصحية.
أعاد قدمه الأخرى إلى الأرض.

- اسمح لي بأن أقوم بوضعية «بات ذا وايلد هورسز مين»⁽⁵⁶⁾ ثم يمكننا الجلوس.

جلس فين على المقعد، بينما تقدم هيب خطوة إلى الأمام ببطء شديد ورفع يده إلى ارتفاع الكتف. بعد وقفة طويلة، شرع يمسد الهواء يمينًا ويسارًا. أخيرًا، التفت إلى وجه فين، وجلس على الأرض مثل حكيم مهيب، وقاطع ساقيه في وضعية اللوتس وقال: «لديك أسئلة؟»

ارتفعت ركبتي هيب إلى الأعلى لا نحو الأمام. قبل أن يتمكن فين من الرد، كان لا بد من فك تشابكهما. حاول الحكيم استخدام كلتا يديه لفك قدميه، وتدحرج على جانبه، وبقيتا عالقتين.

- هل أنت بخير؟

- أنا بخير.

بعد أن تحرر من العقدة، مَدَّ هيب ساقيه ونفخ بشكل رمزي على ركبتيه لِيُبَيِّرَ دَهْمَا.

- تابع.

حين تبعثرت الكلمات التي تدرب عليها، قرر فين أن يبطن من سرعته. كان يعتقد أنه إن تحدث كما يسير السيد سويندون فسوف يُبلي حسنًا، كما ساعده كونه أعلى من هيب. نظر من فوق إلى وجهه الذي يحاول أن يشع بالصفاء. اعتري فين إحساس نادر بالسلطة والسيطرة.

- أريد أن أوضِّح أنني رأيت كل شيء. كل شيء. لم أخبرك من قبل لكيلا تعتقد أنني كنت أتجسس عليك.

أشار إلى الشجرة، وأكمل: «كنت في الصفصافة، عندما اندلع الضوء فجأة. ثم خرجت إلى هناك». أشار مرة أخرى، وواصل: «ورأيْتُ شرنقة النار، و...» وتوقف فترة طويلة، ثم قال: «أجنحتك. كنت على بعد عشر ياردات بالكاد». قال هيب وهو يشدُّ ظهره: «مثيرٌ للاهتمام».

- ماذا؟

- ما عُدتْ تتلعثم إطلاقًا حين تكون معي. حتى التجسس لم يكن تجس...
س... سنا.

لم يُشَتَّت ذلك فين. توقَّع أن ينكر كل شيء، إلا إن هيب لم يفعل. دَكَر أنه ينام بقميص أبيض كبير وجده في سوق بضائع مستعملة، أشار إليه على أنه ثوب نومه الفيكتوري. عندما يرفع ذراعيه، يجعله الشراع بين جسده ومعصميه يعتقد أنه يَمَكِّنه من الطيران، أو على الأقل الركض نحو أسفل هضبة ناجت. كما كشف أن سريره كان كيس نوم رث. شاهده فين وهو يُمَثِّل أنه يلفه. قال إن ثمة فرعين متوازيين، مثل ألواح المقعد، مما يسمح له بالحلم براحة نسبية. قال هيب أيضًا إنه يحب القراءة في السرير، وقد تثقب الشعلة القوية التي استخدمها ثقبًا في قاع حقيبته الممزقة.

هذا ما قاله.

إلا إن فين كان خبيرًا بالأعيب الكلمات. كان يتعلم أنها لا تحمل كل المعنى وحدها، وأن الأعمال المحيطة بها على القدر نفسه من الأهمية، وأن السياق هو الأهم. لماذا وقف هيب فجأة عندما بدأ الكلام؟ لماذا أعاد اعتمار قبعته وسحبها إلى الأسفل أكثر من اللازم؟ ما سرُّ الجاذبية المفاجئة لمكبات النفايات البعيدة؟ إلى جانب الكلمات والسياق، راقب فين طريقة كلامه. إذا كانت لهجة فين متحدية، فإن لهجة هيب من ناحية أخرى لم تقدم أي دفاعات. طَلَّت كلماته على فمه فيما يشبه الهمس، قبل أن تختفي تمامًا، كأنه يتلو ما يحفظه عن ظهر قلب. بَدَّت كلماته قادمة من أزمان غابرة، واهنة وحساسة، واختفت عند تَعَرُّضِها للهواء.

أراد فين الاستفادة من تلك الأفضلية إلى الأقصى، على الرغم من أنه لم يكن في عجلة من أمره، فإنه شعر أن محادثتهما في حاجة إلى خاتمة سريعة. وقف ووضع يديه على وركيه في وضعية مستعارة من السيدة سميت. من الخطير أن يمتزج شعور المرء المفاجئ بأنه على حق مع القليل من القوة. بينما يجلس هيب على المقعد، شعر فين بالحق في التقدم ليقترب. أمال رأسه تحت طرف القبعة ونظر مباشرة إلى عيني هيب. غرز نظراته ونزعها في آن واحد. تحول اللون الأزرق إلى فولاذي. لا بد أن عيني بولس في طريقه إلى دمشق كانتا مماثلتين تمامًا.

قال وهو يكافح لإنهاء جملته: «أخبرني أنك لست ملاكًا».

استخدم هيب سبابته لرفع الفيديورا، ثم جعلها تمسح جبهته في نصف دائرة للتأكد من أنها مستوية. قال: «إن العقل قوي للغاية، ومع ذلك فهو دائماً في حاجة إلى الفهم والإيمان. هذا كل ما لدينا لنشعر بأبعاد الكون بأكملها». كان يتحدث إلى منطقة مخلفات التعدين، بصوت أعلى هذه المرة، ونبرة إملاء واضحة. «هل تؤمن أنني ملاك؟»
لم يكن على فين التفكير حتى. قال: «بالطبع!».
- هذه إجابتك إذن.

نال تأكيداً من المصدر. تم التحقق من صحة رؤياه تلك. اعتذر في المقابل لأنه شاهده على حين غرة، ووعده بعدم فعل ذلك مرة أخرى. أشار هيب -دون قلق- إلى أن مراقبة الناس سيئاً وهم يذهبون إلى الفراش ليست أمراً جيداً. استمر الابتهاج مدة لا بأس بها، وإن لم تكن بالقدر الذي تمنّاه فين. تساءل كم بقيت الأدغال المشتعلة، ومتى عادت أرجل بولس الرخامية إلى لحم وعظم. لم يهمله أن العالم استأنف تمثيلية الحياة الطبيعية، فالحقيقة قد كُشِفَتْ. عندما عاد هيب إلى العشب وجرب أوضاع يوجا مختلفة، شعر فين بهدوء عميق يتحرك ببطء عبر جسده. بينما كان يشق طريقه عبر دورة لا نهاية لها من الإفطار والغداء والعشاء، كانت الأكوان بأكملها تحوم حوله. هذا ما رآه في الزرقة المتغيرة لتلك العيون. تلك كانت الشكل الحلزوني الذي حاول هيب تفسيره.

- هل لي أن أطرح عليك سؤالاً أخيراً؟
أوما هيب بالإيجاب بهدوء عبر رفرفة يده اليسرى مثل جناح طائر صغير. بمرور الوقت، بدأ فين يعتقد أنه الوحيد الذي يرى هيب. كان يحدق إلى الشق في سقف غرفة نومه ويشاهد كرات مُهَرَّجِه تدور وترتفع، وتساءل عما إذا كان قد ابتكر هيب مدفوعاً بحاجة ماسّة ما. قالت جدته: «عقلك مفرط النشاط، مثل الغدة الدرقية لدى العمة آيدا». أدرك أنه لم يلمس هيب من قبل. ماذا لو كان الوحيد الذي يمكنه رؤيته؟ من المؤكد أنه يمكنه شم رائحته. ولكن ماذا لو كان لم يشم تلك الرائحة الكريهة سوى أنفه؟ لعله مصنوع من الضوء، ومعروض مثل فيلم لا تستطيع رؤيته سوى عينيه. لعل الجزء الخلفي من عقل فين هو الشاشة.

- هل تتصافح الملائكة؟

- إنه طلب غير شائع.

- هل يمكنني مصافحتك؟

- هل تريد أن يتم تقديمك رسمياً؟

- نعم.

وقف هيب، ودار حول المقعد، ثم قرع جرس باب غير مرئي. استغرق الأمر من فين بضعة ثوانٍ ليفهم أنه كان من المفترض أن يفتح بابًا غير مرئي.

- تحياتي.

- أهلاً.

- أنا هيب، هيب ثلاثة عشر اثنان.

- فين... ستيفن... ستيفن باكستر.

- تَسُرُّني مقابلتك.

- أنا أيضًا.

تصافحا. التقى اللحم بالجسد. كان باطن يده دافئًا وخشنيًا، وكانت قبضته قوية، بينما بدت أصابعه ومفاصله عتيقة.

قال هيب: «مُعَصَّنَة». قرأ أفكاره. «بسبب العمل اليدوي».

لم يكن فين متأكدًا كم من الوقت عليه أن يظل ممسكًا بيده. استمتع بالحرارة المنقولة إليه، على الرغم من أن هذا جعله يشعر بالقليل من الحرج أيضًا. حين انفصلت يدهما عن بعضهما بعضًا، شعر كأن نارًا بطيئة قد أوقدت تحت جسده. كان مرتبكًا، وكانت كفه أكثر سخونة من قبل، كما كان يحمر خجلًا. جال اللون القرمزي في خديه وحرقت صدغيه. أصبح محرّجًا وأخرق، ولم يكن متأكدًا مما تم تأكيده أو تحقيقه.

- إنه مجرد قشرة دائمة التغيير.

- ما هو؟

- جسمك، إنه مجرد غلاف خارجي. الأسنان والشعر والجلد والعظام ليست الأجزاء المهمة.

عاد فين إلى المنزل بشعور واضح بالرضا وملاك ملموس. ومع ذلك، بينما كانت المجرات اللانهائية تدور حول أولئك الذين يمكنهم أن يروا، وتوهج السارافيم⁽⁵⁷⁾ مثل الفوانيس في الأشجار أمام الذين آمنوا، واصل الواقع القديم قرفصاءه على حياته بمجرد أن فتح الباب رقم أربعة من «داتشس كورت». حاول الجميع أن يعيشوا حياة تبدو مبنية من مجموعة الميكانيكا الخاصة به. حاربوا بلا كلل للمحافظة على استقرار كل شيء. تزايدت محاولاتهم لتقويمهم أيامهم بأقواس ودعامات متخيَّلة، وتزايد ميلانها. حاولوا إنشاء بعض الصروح، بعض الهياكل التي من شأنها أن تسمح لهم ببناء أعمدة يعلنون فيها فوق الحقيقة. على الرغم من عدم وجود مواد بناء كافية الآن. انهدت دعامات كانت تبدو متينة، وانهارت الصفائح المعدنية، وضاعت القطع. لم تكن ثمة أقواس زاوية كافية لثُبَّتْ الأجزاء ذات الاتجاهات المتعاكسة. كانت براغي الربط أقصر من أن تُعَيَّرَ مسار الحياة.

رغم كل محاولاتهم، لم يستطع أحد فهم ما كان يحدث في الصندوق المربع الذي كان غرفة نوم والده. وأمل في أن ملاكه الذي أقرَّ بهويته سيقوم بالمعجزة المطلوبة. طلب المساعدة منه قبل أن يغادر، وتراءى له أن هيب قد أوماً برأسه وهو غارق في التأمل. انزعج فين عندها لأنه لم يحدّد مقصده كفاية. المفترض أن الكائنات السماوية تعرف هذه الأشياء. ومع ذلك، بينما كان مستلقيًا على سريره، راودته الشكوك. هل تززع يقينه؟ هل هذا هو الشر الذي حذره منه السيد لانزداون والقس كلايبورن؟ قرّر أنه من الأفضل إبرام صفقة أخرى احتياطيًا. خلال الصلاة، أبرم اتفاقًا (مع شخص لم يعرف هويته تمامًا، ولكنه بدا مثل مسيح العرب) بأنه سيرضى بالتلغم طوال حياته إن تعافى والده. حتى إنه أضاف أنه إذا لم يكن ذلك كافيًا، فهو مُستعدٌّ لأن يعقد لسانه مقابل تحسُّن صحة والده. دون أي شعور بالخزي، تخيل أن تنتهي به الحال في المدرسة إلى الاضطرار إلى التواصل بلغة الإشارة وكسب تعاطف الفصل بأكمله. ستضغط مارجريت والاس على يده مُظهرةً ودّها، وستُدعِرها رؤية تغير لون عينيه إلى الأزرق المعدنيّ. سيطلقون عليه لقبًا جديدًا: القديس فين. بقي على ركبتيه فترة طويلة. كلما صلى أكثر، كلما زادت مارجريت والاس تجوالها في الزي الضيق الذي كانت ترتديه في مسرحية «حلم ليلة في منتصف الصيف». قبل أن يقف، كانت والدته واقفة عند الباب. اعتقدت أن الوقت قد حان لتعرف أوضاعه المدرسيّة. فتح كتاب الجغرافيا الخاص به وتركها تنظر. أحبّت بُرُكاتًا رسمه، وأعجبت بشكل خاص بحُجرة الصّهارة. كتب كلمة «رسائيّة» بشكل غير صحيح، ولكن باستثناء ذلك، فقد كان رسمًا جميلًا لجبل فيزوف. أشار إلى العنوان المرسوم تحته خط، حيث كتب بوضوح شديد كراكاتوا. عرف فين أنه على الرغم من أن جسد والدته كان جالسًا بجانبه على طاولة غرفة الطعام، فإن كل شيء سواه كان غائبًا في الواقع.

أراد فين أن يظل روحانيًا، ولكنه وجد نفسه غاضبًا منها. كان ذلك خياره الوحيد. كان يخاف من جدته بشدة، وكان والده نائمًا أو مخدرًا دائمًا. وبينما كانت تتصفّح مشاريعه، أثار حنقه اهتمامها الفائض بالطبيين كليفانسكي وبالدوين. كره وصولهما بمعطفيهما الأبيضين، ورميها على ظهور الكراسي كأنهما يمتلكان المكان. كانت والدته تُعِدُّ لهما الشاي على الفور مثل الخادمة، وكثيرًا ما كانا لا يشربانه. كانت تتصرف بحذر في وجودهما، حتى عندما يواسيها بالدوين السمين كثيرًا وفترة طويلة. لم يكن من المفترض أن تدوم المصافحة إلى الأبد، ولم تكن ثمة حاجة إلى ضغط إضافي بعد انتهائها. كان بطنه يدور دائمًا ويُشير إليها. كان ذلك كريهًا.

وما أثار سخط فين أكثر هو استمرارهما في التحدث عن والده كأنه غير موجود ولا يملك اسمًا حتى. ومع مرور الوقت وتعامل الطبيين مع الجسم الذي ينكمش في السرير، أصبح الطبيبان أكثر برودة وبعدًا. لم يضحكا قط

على تعليقاته، أو يتحدثا عن أيّ من الكتب التي كان يستمع إليها. كان «قلب المريض» ما يزال تحت ضغط هائل. لم تكن «الصمامات» تستجيب كما ينبغي. شكّلت «الشرابين» مشكلة، و«الأوردة الرئوية» مصدر قلق. توقف «البطين الأيسر» عن العمل، ولم تساعد «أنسجة الجدار». لم يقولا كلمة يومًا عن دينيس والد فين وزوج ليلي.

كان إدوارد وميرايد أيضًا محترمين للغاية في أثناء زيارات الطبيبين. «الشخصيات الطبية المهمة» كان كل ما يقوله إد وهو يلعب دور رئيس الخدم والبواب بسعادة. مُحَرَجَةٌ من رتبتهم العالية، كانت جدته تقدم أحيانًا بضعة ألواح من الكعك مع الشاي. وطمأنتهما قائلةً: «اسكتلندا لا تزال تتمتع بموهبة جيدة في تخريج العديد من أشهر الأطباء في العالم».

حين وصلت والدته إلى نهاية كتاب الجغرافيا، عَبَّرت عن إعجابها وهي شاردة الذهن.

قالت: «رائع».

- أنا أكره الأطباء.

- لقد نفذ منا المال، ولا يمكننا الدفع لهما. ليس عليهما أن يأتيا إلى هنا.

قال دون أن يجد شيئًا آخر يقوله: «كراكاتوا، ليس فيزوف».

أحد أنواع الحلوى التقليدية في جنوب إفريقيا، والمصنوعة من عجينة مقلية مغطسة في شراب السكر أو العسل.

(باللغة الإفريقية) مخيم، وبالأخص ذاك الذي يُشكَّل عبر حلقة من العربات أو العربات المدرعة. اسم الوضعية الصحيح part the wild horse's mane، وهي إحدى وضعيات التاي تشي الأساسية. مجموعة ملائكة واردة في الديانات الإبراهيمية، وبالأخص اليهودية والمسيحية.

Gesticulate

jes-tik'y-lät/ verb/

الميزة الوحيدة من استضافة صاحب الشقة رقم أربعة الكثير من الأشخاص هي أنه ساهم في ثني سير الوقت. كانت الأيام طويلة بشكل غير معقول، ومَرَّت الأسابيع سريعة، وومضت الأشهر مثل البرق. عندما استيقظ فين في اليوم الأخير من الفصل الدراسي، لم يصدق ذلك. تفقّد مذكرات واجباته المدرسية ووجدها. تفجر المربع المخصص لليوم الأخير من الفصل الدراسي في سحابة على شكل فطرة كان يرسمها بقلم حبر جاف. قال فيرنون ماك آرثر إن الشيوعيين يمتلكون قبلة ذرية أيضًا، لذلك إذا عشنا حتى إلى العطللة المدرسية، وَجَبَ أن نتذكر جميعًا أنها قد تكون الأخيرة. أخطأ كوبوس فيسر في تحدي وجهة النظر هذه، وقال إن جنوب إفريقيا لديها جيش ضخم، وقوَّات بحرية وجوية أيضًا. اضطررنا إلى ذلك لأنه كان هناك الكثير من السود. لم يحب ماك آرثر أن يتم تحدي براعته الفكرية، لا سيَّما من قبل فيسر، الذي اقترب من آخر الفصل، وأصبحت إحدى ساقه الآن أكثر نحافة من الأخرى. قال ساخرًا: «هذا ما يقوله اليابانيون». لم يكن لدى فيسر أي فكرة عن سبب ذكره الأشخاص الذين صنعوا سيارات تويوتا فجأة. بدا وجهه خاليًا من التعابير.

- هيروشيما!

قال: «فلتلقَ مصير هيروشيما ذاته!» وأشهرَ إصبعه الوسطى.

على الرغم من أن الهدايا كانت تُقدَّم عادةً عند نهاية العام، فإن هيتي هاتينج أحضرت للسيدة سميت مجموعة من الزهور. تم مقاطعة لفتتها حين أخرجت مارجريت والاس دبوس زينة ملفوفًا بشكل جميل في صندوق مجوهرات مخملي. كان من الواضح أن الهدية الثانية أثارت إعجاب السيدة سميت أكثر؛ إذ لم توضع أزهار الإستريليتزيا في الماء مع حلول الاستراحة الأولى. خلال حصص الرياضيات واللغة الإفريقية والدراسات الدينية، أشارت البتلات البرتقالية المُدبَّبة كما لو أنها تشير بأصابع الاتهام إلى المعلمة. حين أوضحت السيدة سميت أن يوسف كان محبوبًا أكثر من جميع الأولاد الآخرين، وأنه حصل على معطف متعدد الألوان لهذا السبب، اضطربت هيتي بشدة. لم يخطر ببالها قط أنها قد لا تكون المفضلة.

تَصَرَّفت بنفسها في الاستراحة الثانية. عندما اجتمع الطلاب مجددًا، كانت جميع عبوات المربي الزجاجية التي جمعوها من أجل تجربة الأفوكادو مملوءة

الآن بأزهار إستريليتزيا منفردة. وقفت سوقها الطويلة ذات الأحذية الشفافة، بينما سطع الضوء عبر بوصتين من الماء مثل رشقات نارية متحدية من أشعة الشمس. قدرة الطالبة التي تتملق المعلمة على القيام بعمل من أعمال التمرد الوحشي تركت زملاءها الطلاب في حالة من الذهول السعيد. حتى السيدة سميت لم تكن متأكدة مما يجب فعله. عندما تَلَقَّت هيتي غمزة من اللبناني، شعرت بالخوف لدرجة أنها أسقطت مقلمتها. تدحرج الطباشير الملون في كل مكان، راسمًا تموجات ملونة على الأرضية المصقولة. في محاولة لإعلان الصداقة في اليوم المدرسي الأخير، اعتذر السيد كريم مقدمًا، وأوقع مقلمته بدوره. قضى وقتًا طويلًا في الزحف على أربع بينما كانت معلمته تتلاعب بالفراشة اللامعة الجديدة على طية صدرها وتحاول استعادة رباطة جأشها.

كانت اللغة الإنجليزية هي الحصة الأخيرة في اليوم. أرادت أن تُلغي «لعبة الكلمات»، ولكن تأوُّهاً جماعياً من الفصل أقنعها بالمضي قدماً. وعدوا بإحسان التصرف، وفي المقابل سيحصل كل شخص يستخدم الكلمة بشكل صحيح على نقاط مضاعفة. قالت مُحَدِّرة: «مهلاً! مهلاً، مهلاً». مما عَنَى أنها ستكون كلمة صعبة. فتحت قاموسها بشكل عشوائي ومَرَّرت إصبعها ببطء على الصفحة. مع تزايد التوتر، انحنى فيرنون ماك آرثر إلى الأمام ورفع مرفقه عن مكتبه. كان مستعداً لقفذ ذراعه مثل صاروخ ينطلق من «كيب كينيدي»⁽⁵⁸⁾. كان سَبَّاقاً دائماً، وكان دائماً على صواب ما لم تختار السيدة سميت تجاهله. وضح الرسم البياني الشريطي بجوار خريطة «المتنزهات الوطنية في جنوب إفريقيا» مدى تقدمه. بعد إجابة واحدة صحيحة، لن يبقى أمام ناظحة سحابه مكان لتعلو إليه. كان اليوم الأخير من الفصل مثالياً لعبور خط النهاية ذي الأوتار البيضاء، المشدود إلى كلا الجانبين بواسطة دبوسين.

تَبَسَّمت السيدة سميت بتعجرف وهي تتخذ قرارها. أغلقت الكتاب السميك ببطء في ابتهاج وكَيْدٍ، وأَبَقَتْ إصبعها في مكانها لتُعَيِّن إشارة. عادت إلى منصَّتها المرتفعة؛ بدا أن الكلمة قد تحتاج إلى مزيد من العلو. ترقَّب الجميع بداية صوت مثل الرياضيين في بداية السباق.

- تبدأ بحرف الميم.

ثم فتحت القاموس مجدداً، مُدَّعِيَةً أنها تُعيد التحقق. نظرت بعينها من فوق الصفحة، ومسحت بهما حجرة الدراسة. طاب لها التلذُّدُّ باللحظة: مجموعة من العقول الشابة شديدة التركيز في انتظار أن تُحَفِّز. بصرف النظر عن أن اللبناني كان يعبثُ مُصدِّراً صوتاً صاخباً وهو يحاول إغلاق السقف الخشبي لصندوق أقلام الرصاص الخاص به، فقد ساد صَمْتُ تام. شَدَّت حزامها إلى أسفل، وتَأَنَّت وإحدى يديها على الإبريم. تحركت شفتها لتستفزه، ثم قالتها

أخيرًا بصوتٍ عالٍ وواضح: «الكلمة هي «مَ - نَد - ل»». أكرّر: الكلمة هي «مَثَل».

توجّهت أنظار الفصل إلى فيرنون ماك آرثر. انطلقت يده نحو السماء، ثم انخفضت وحامت حول أذنه. عقد حاجبيه وهو يبحث عن إجابة، وكرر الكلمة دون إصدار صوت. كان الأمر بأكمله تمثيليّة. لم يكن يعرف الجواب، وعرف ذلك الجميع. ازداد الأمر وضوحًا مع مرور الوقت الذي أمهّته إياه السيدة سميت. واصل فيرنون كفاحه، مُصمّمًا على ادّعاء أنه تقصّ في الذاكرة لا في المعرفة. بقيت يده نصف مرفوعة، بينما بدأ رأسه يتدلى. أفسحت السيدة سميت مجالًا ليتراكم نوعٌ آخر من التوتر. لن تخرجه من بؤسه حتى يكتمل إذلاله. احتاج لحمٌ كبيرائه إلى الطهو على نار هادئة. كان آخر يوم في المدرسة، وسينتهي كما تريد. كانت متلهية بتدهور فيرنون لدرجة أن عينيها أخفقتا في رؤية يد أخرى ترتفع ببطء وتُشكّل عرقًا على مؤخرة رأس اللبناني. لم يسبق أن أجاب فين عن سؤال في المدرسة بتلقائيّة، لعله أصيب بعدوى الشجاعة من تصرف هيتي المتمرد، أو ربما كان السبب هو أن اليوم هو فرصته الأخيرة لتذكير زملائه في الفصل بأنه موجود. لم يعد يتحدث إليه أحد في المدرسة. لم يكن متأكدًا مما إذا كان الفصل قد خطط لذلك أم إنه حدث بشكل طبيعي. كان جيمي يسمح له بالعودة إلى المنزل معه، ولكن ليس إلا بعد أن يصبحا على بعد عدّة مبانٍ من المدرسة. أو لعله كان يعتقد أن الوقت قد حان ليكون في مركز الشكل الحلزوني، أو على الأقل دفعه إلى أعلى. ظلّ عالمة يدور بلا كلل. هل يمكن أن تكون هذه علامة على أن حياته على وشك أن تتغيّر؟ صدفة؟

لم يسعه تصديق كم كان محظوظًا عندما قالت السيدة سميت الكلمة. لم يعرف فين معنى كلمة المثل، ولكن ذلك لم يكن مهمًا. كان قد سمع الكلمة صدفةً في الليلة السابقة في مطبخه، أي إنه يعرف جملةً تُستخدَم فيها هذه الكلمة. كانت المغسلة قد سُدّت، واستدعى ناطورُ البناء السباك. تصارع كلاهما مع الحافة المتآكلة للأنبوب الملتوي الكبير قبل أن يختفي في الحائط. تصارعا مع مفاتيح الربط وجميع أنواع الأدوات حتى تمكنا من زحزحتها.

انبسط اللبناني على مكتبه ليحرص على أن تتمكن السيدة سميت من الرؤية بوضوح. رآته، إلا إنها لم تصدق ما تراه. بدا على عينيها الانزعاج والمفاجأة. تحوّل الانتباه الآن من فيرنون المكسور إلى فين، الذي أبقى يده في الهواء بعناد. غير كل الطلاب وضعيات جلوسهم ليواجهوا هذه الظاهرة الجديدة. في الصف الأوسط، في المقعد الثاني، جلس الصبي الذي كانت تهرب منه الكلمات. لم يتكلم، وبالتأكيد لم يشارك في الفصل. أصبح الآن فجأة مركز اهتمام صامت. سحبت السيدة سميت إصبعها من القاموس، ووضعت يدها على

المنضدة وعقدت ذراعيها. رفعت حاجبًا واحدًا، جامعةً إعطاء الإذن والتَهَكُّم في حركةٍ واحدة.

نهض فين وواجهها مباشرة، وحاول تقسيم الجملة بهدوء إلى أصوات مُجَرَّاة، ثم كلمات، وأخيرًا إلى جملة كاملة.

- إ... إ... إنه أضيّق من عضو الراهبة الذي يُضَرِّبُ به المثل.
- عفوًا؟

كَرَّرَ فين الجملة: «إ... إ... إنه أضيّق من عضو الراهبة الذي يُضَرِّبُ به المثل». بعد بداية صعبة، ظنَّ أنه قام بعمل جيد للغاية. كانت الجملة متقطعة بعض الشيء. بالتأكيد لم تكن عفوية. كان عليه أن يقطع كلمة المثل إلى أربعة أجزاء. أسعده لفظه بشكل عام. اعتقد فين في البداية أن تعبير السيدة سميت المذهول كان بسبب السلاسة النسبية لكلامه. لم يغمره الارتباك سوى عندما بدأ يشعر برد فعل غريب وشبه مُخَيِّرٍ من الفصل. نظرًا إلى أن أيًّا من الطلاب لم يعرف ما يعنيه المثل في المقام الأول، فقد استغرق الأمر بعض الوقت لفهم الجملة كاملةً. على الرغم من أن الطلاب في القاعة كانوا يلتقطون إشارات مرتدة من كل مكان، فإنهم عانوا من صعوبة في تفسيرها. نظرة الصدمة العالقة على وجه المعلمة كانت أكبر دليل. ظل فمها مفتوحًا، بينما بدأ الجميع في الهمس والإيماء حول المعنى الحقيقي.

فَهَمَّهَا فيليب ديتون أولًا.

كَوْنُهُ أكبر من زملائه سنَّةً وامتلاكه أحمًا في المدرسة الثانوية قد ساهما بشكل كبير في تكوين دماغ قدير على تحديد مدى ضيق عضو الراهبة. لم يُصَدِّقَهُ فيرنون ماك آرثر، قال: «ليس المثل الذي أتذكره». لم يتأخر اللباني بعد فيليب؛ دار في مقعده وحدث إلى فين بمزيج من البهجة والدهشة. رسم كارلوس الصليب، وترك جيمي اليوناني في حيرة من أمره. طلب في وقت لاحق من فيليب ديتون أن يفسرها له من الناحية التشريحية، ثم سأل: «لماذا أعطته إذن هذه الكلمة القذرة؟»

عندما فهمت الفتيات أخيرًا، أخذن الأمر على محمل شخصي وصمتن مستشرفات. كُنَّ مُرتاعات للغاية، أخوات في حالة صدمة. بينما كان الصبيان يتحمسون بشأن الموضوع، تجمدت الفتيات. بدأت هيتي هاتينج في البكاء بسبب رعب الجملة. لقد كان يومًا فظيعةً على أي حال، والآن أصبح أسوأ. كان بإمكان فين أن يُجسِّسَ بكل هذا، ولكن لم يستطع فهم أي شيء منه. وفي أثناء وقوفه، أدرك ببطء أنه لن يحصل على نقاط مزدوجة. خرجت السيدة سميت من صدمتها، وذهبت إلى مكتبها وبدأت تكتب. اعتبر فين ذلك إشارة ليجلس.

إرساله إلى مكتب المدير مع ملاحظة والانتظار في مكتب السكرتيرة مدة ساعة جعلت بقية الدوام المدرسي يفوته. حين أدخل إلى الغرفة الوحيدة التي يمتد فيها سجاد من الحائط إلى الحائط، كان الجميع قد عادوا إلى منازلهم.

كان السيد كوك يوقع بطاقات التقرير، ولم يرفع رأسه. حدق فين إلى فوق رأسه فترة طويلة، حتى ظنَّ أنه صار يقلل من الاحترام، والتفت جانبًا. هناك وجد سيد كوك آخر في سروال قصير وقبعة مرنة. كان بيتسم وهو يمسك سمكة، بأسنان تشير إلى اتجاهات حادة ومختلفة مثل بتلات أزهار هيتي هاتينج. كان القارب السريع الذي يقف فيه يسمى «ليكر ديكر». وعلى الرغم من أنها كانت صورة فوتوغرافية بالأبيض والأسود، فإن فين كان متأكدًا من أنه تم رسمها بألوان زاهية.

- سمكة النمر. زامبيزي.

استدار فين ليجلس باستقامة.

- إنها سمكة البيرانا الإفريقية. ليس تمامًا.

على الرغم من أن مدير المدرسة أراد أن يكون في وضع الإجازة، فإن بحرًا من الأعمال الورقية منعه من الخروج. حاول المحافظة على مزاجه جيدًا رغم كل شيء. سلم فين الملاحظة، فأضافها إلى الكومة مع تكشيرة لعوب. عندما لم يغادر الصبي، تراجع وأخذ الظرف.

- اعتقدتُ أنها من أجل وقت لاحق، وليس الآن.

مهما كان ما كُتب، كان على السيد كوك أن يقرأه عدة مرات. حتى إنه أدار الملاحظة جانبًا في مرحلة ما على أمل أن يتكشَّف عن ذلك قهْم أفضل. ثم فتح قاموسًا بحجم الجيب احتفظ به بجوار منفضة سجائره الزجاجية. كانت حروفه صغيرة؛ لذا اضطر إلى ارتداء نظارته وهو يلحق طرف إصبعه ويقلب الصفحات. بعد أن وجد ما كان يبحث عنه، بدا أنه انهمك في النص. انجرف فين إلى «ليكر ديكر» مرة أخرى، وفكر في رواية **الشيخ والبحر**. تساءل إن كان مديره هو ديماجيو، وإن كان قد اصطاد في خليج ستريم. هل سبق له أن استخدم حربة وصاد سمكة كبيرة لدرجة أنه اضطر إلى ربطها بجانب قارب؟

- أيها الصبي!

غادر فين الأضواء المتوهجة في هافانا وعاد إلى مدرسة روزنيث. راقب الفم بينما تعض الأسنان على الشفة السفلية، وتمسّد إصبع شعيرات الشارب النبي لثرتيها. كانت أكثر سمكًا وشبهًا بفرشاة أسنان أسفل الأنف، وتسطّحت باتجاه الجانبين.

- من بين أمور أخرى من ضمنها الملاحظة، هل كنت على دراية كاملة باستخدام الكلمة المذكورة في السياق المذكور؟

لم يفهم فين السؤال، رغم أنه عرف الإجابة على الفور. وللتأكد فقط، أعطى السيد كوك تلميحًا بهز رأسه. حاول الإجابة على الفور. انتفضت الأصوات، لا الكلمات. كلما حاول أكثر، ازداد تلعثمه. أراد أن يتوقف ليلتقط أنفاسه، ولكنه كان خائفًا من أن يُنظرَ إلى الصمت على أنه وقاحة. كل ما كان عليه أن يقوله

هو: «لا». حرفان، صوت واحد. كان بإمكان فمه إطلاق اللام، ولكنه أثبت عدم جدواه في الوصول إلى الألف.

- مهلاً أيها الصغير!

فرك الناظر شاربه مرة أخرى، ولكن هذه المرة باستخدام الإبهام والسبابة لتمسيده يميناً ويساراً.

- استنشيق، دَع الهواء يدخل.

أعاد فين ملء رئتيه وسكت. لم يبقَ مكان لِيُخَبِّئَ فيه مهاتته بعد أن هزمته كلمة من حرفين. لم يكن فيها حرف سين حتى. استجمع كل طاقته حتى لا ييكي. حين رفع رأسه، كان السيد كوك قد وضع نظارته مرة أخرى على الرغم من أنه لم يكن يقرأ. الإطار السميك الأسود، المشابه لإطار نظارة والده. جعله يبدو مهمماً، مثل قاض يتمهّل في إصدار الحكم. استغرق الأمر من فين بضع لحظات ليدرك أن عَيْنيه كانتا مُغْلَقَتَيْن. هل كان يصلي؟ أو يحلم بعطلته منذ الآن؟ عندما فتحتها بدا اللطف على وجهه. خلع نظارته وفرك عينيه، وارتسمت على وجهه ابتسامة صغيرة. ثم نقر على منفضة السجائر الزجاجية مُلَاعِبًا. رَنَّتْ مثل جرس يدل على أن الوقت قد انتهى.

- اذهب واستمتع بعطلتك. واحترس من تلك الكلمات الإنجليزية؛ بعضها يملك أسنانًا أكثر من سمكة النمر.

عندما أخبر فين هيب عن آخر يوم له في المدرسة، وقف فجأة وقام بتمارين بعد أن أدار ظهره إليه. عندما جلس أخيرًا، قال إنه إذا كانت النية صافية، فلا يمكن محاسبة أي شخص على فعل حَسَن النية واجه الإخفاق. ثم شرح معنى الإخفاق. صارا يتقابلان كل يوم الآن. أحيانًا في الصباح، وبعد الظهر إذا تمكن فين من الهروب من الشقة، أو الجمع بين المهمات المنزلية في المتاجر مع نزهة للكلب.

كان عليه أن يهرب. انتشر الحضور المتزايد للمريض في كل مكان. حتى روائحه كانت تنتقل من تحت الباب المغلق، وتغلغلت في الغرف الأخرى. رشّت ميرايد معطر المرحاض في كل مكان. صارت شطائر فين بالبيض والخس بنكهة اللافندر. طالب والده بالاهتمام، ثم رفضه بفضاظة. ازدري المساعدة في طريقه إلى الحمام، وأصَرَ عليها في طريق عودته. لم يكن في حاجة إلى أكسجين، ثم وَبَّخَ الجميع لعدم معرفتهم بأنه يحتاج إليه. تم تدوير جهاز التسجيل إلى الأمام ثم إلى الخلف، حيث تم تجاوز فصولٍ بأكملها أو قراءتها مرارًا وتكرارًا. قُطعت البكرات وألصقت؛ مما أنتج قراءة قافزة، أو كثيرة الصمت، أو مرتجفة مثل فين في يوم سيئ.

لم يكن من الصعب الحفاظ على سر هيب. مع تزايد نمو هيلبرو، أصبح سكانها غير مرئيين. مضى الجميع في طرقاتهم، وبدا أنه هو وهيب الوحيدان اللذان يقفان بلا حراك. كانت هيلبرو مفترق الطرق الذي يقود إلى مكان آخر.

ولم يبقَ فيها سوى المرضى، والمخدولين، وغير المتوجَّهين. مثل مخيم للاجئين، كانت تمتلئ كل يوم بالمزيد والمزيد من الأشخاص الذين وصلوا بحماس وهم يعلمون أن هذه ليست وجهتهم النهائية. لم تسترح الرافعات وخلطات الأسمنت سوى يوم السبت، حيث كانت تحاول استيعاب التدفق. عند الانتهاء من كل مبنى سكني جديد، كان يُحشَّرُ فيه على الفور خليط من البشر. كانوا يتحدثون لغات مختلفة، والقادمون من البحر الأبيض المتوسط كانوا غامقين بشكل مريب بالنسبة إلى جنوب إفريقيا البيضاء. غالبًا ما أشارت ميرايدي إلى برج بابل.

في هذا السُّعار من الذهاب والإياب، من سيلاحظ شخصين يجلسان على مقعد في حديقة؟ قد يبدو غريبًا للبعض أن الصبي الصغير يقضي بعض الوقت مع المتشرد. مع وجود مقوِّدٍ في يده، افترض أولئك الذين يمشون بجانبهما أنهما تقاربًا بينما كان الصبي النحيل يُنرِّه كلبه. الشخص الآخر الوحيد الذي قد يطرح أسئلة كان جيمي اليوناني، حيث كان يأتي أحيانًا إلى الحديقة ليركل كرة القدم ويخيف الحمام. ولكنه كان قد ذهب إلى بيت عمه المتنقل الموجود في مكان ما في ترانسكي. قال إنه يسبح «في البحر بلوح الجسد، صدقني، وليس الحصان». بدا الجميع ضبابيين وهم يتجاوزونهما، بينما كان فين وهيب يجلسان ويحدقان إلى الأفق.

بعد ما يقارب أسبوعًا من العطلة، قدَّمَ فين إلى هيب نظارة والدته الشمسية القديمة. لم يشعر أنها سرقة، فهي لم تضعها منذ سنوات. كان قد وجدها في أثناء بحثه عن مجموعة من البطاقات، مَخْفِيَّةٌ تحت برنامج مسرحي لمسرحية «العارف على السطح» الموسيقيَّة. على غلافه استند رجل يلبس قبعة قماشية على مدخنة مُمسيكًا كمانًا، وحدَّقت إليه قطعة سوداء.

- لاحظتُ أنك تنظر إلى الشمس بعينين نصف مغمضتين طيلة الوقت.
- هذا لطيف جدًا.

- ما عاد عليك استخدام يديك لتغطية عينيك بعد الآن.
ارتداها هيب بحماس، وأذهلته جودة العدسات. قال إنه لطالما أحب اللون الوردِي، وأحب بشكل خاص القطع الماسية التي امتدَّت على زاوية الإطار، فقد دَكرته بالنجوم المتلألئة في الليل.

قال له: «أظنها تُدعى نظارة عين القطعة. شكرًا لك».

دفعها إلى أعلى جسر أنفه الحاد.

- حَمَّنتُ أنه يمكنك ارتداؤها أيضًا عندما تمارس تاي تشي أو اليوجا.

فقال مُدَنِدًا: «لأزيد من سكينه وجودي. أوووم. ماني بادمي. همممم (59)».

على الرغم من أن النظارات الشمسية كانت هدية لا رشوة، فإن فين كان يأمل في أن تضيف إلى سكينته أيضًا. كان لا يزال ينتظر معجزة. لقد ذكر لهيب

-بطريقة مباشرة للغاية- أن والده لم يكن يتحسن. وقد أخبره عن كراهيته للأطباء، وخاصة بالدوين السمين، ولكن هذا أدى فقط إلى استجابة صامتة. لقد استمتع بالوقت الذي يقضيه معه في الحديقة؛ إذ يمكنهما الجلوس ساعات لمناقشة الأشكال المختلفة للسحب، وكيف تتحرك منطقة مخلفات التعدين دائمًا دون أن تغير مكانها. ولكن رغبته في أن يحصل شيء كانت تغلب عند عودته إلى داتشس كورت، كان التغيير ضرورة مستعجلة.

- يجب أن أذهب الآن. والدي مريض للغاية، ونحتاج إلى التناوب على سريريه لمنح أمي استراحة.

أوما هيب برأسه ونظارته الشمسية ما تزال على عينيه.

- يأتي الطيبان كل يوم تقريبًا. سمعتهما يقولان إنه ليس بوسعهما فعل الكثير.

واصل هيب إيماءه. ارتدت الشمس من زوايا إطاراته، ولمعت أمام صدغيه منطقتا تفجر نجمي صغيرتين.

بالعودة إلى غرفة نوم والده، واصل الهدنة مع جهاز التسجيل. بإمكانه أن يتحدث ما دام لا يسمعه. كان والده نائمًا، فخفض الصوت إلى غمغمة بالكاد تُسمع. تمت رواية **مهد القطة** لكاتبها كيرت فونيجت وتدمرت وحدها بينما يراقب الصدر الصغير يرتفع ويتأني قبل أن ينكمش. عزف الأكسجين موسيقى أغنيته المعتادة؛ موسيقى الخلفية التي ما عادت تُطفأ.

حذق فين إلى كل الكتب المصطفة فوق رأس والده، بأصلاها المُتقدِّمة، مغلقة ومنتصبة مثل جنود في موكب. كانت متحمسة ومتأهبة، فقد انتظرت دعوة للعمل. جلس فين غير مرتاح على ذراع الكرسي الجلدي بينما تدور البكرتان. من حين إلى آخر، كاتتا تعلقان في حافة سرواله القصير، فتتلعثمان لحظات، ثم تستمران. كان والده يعاني من شدة الحرارة أو شدة البرودة بالتناوب. الآن، أخفى اللحاف السميك الجزء السفلي من جسده كليًا. بحث فين عن ركبتيه وقدميه، ولكنها أصبحت مسطحة وغير مرئية.

انحنى على ركبتيه لالتقاط علبة النظارة التي سقطت على الأرض، وقرر البقاء هناك. خلق فين ثالوثه المقدس الخاص بوضع يسوع بين بيتر أوتول وعمر الشريف. وكرر الرأس المنحني أنه سيكون سعيدًا بالتلثم طيلة حياته أو انعقاد اللسان مقابل شفاء والده. عَضَّ شفته حتى شعر بالدم في فمه، وحفر ظفره بعمق في الجزء اللحمي من راحة يده. في مزيج من الإحباط والغضب والرجاء، صَمَّ هيب إلى الثالوث. توسل للحصول على عون، ولم يستطع سماع الإجابة، ولم يستطع منعهم جميعًا من ارتداء نظارات شمسية على شكل عين القطة وممارسة التاي تشي.

قال والده: «بوق».

وقف فين وسأل: «ماذا؟»

- إذا كُنْتَ تريد استدعاء سلاح الفرسان الأمريكي، فحاول النفخ في البوق.
أراه العلية الزجاجية في محاولة رديئة لتقديم عذر. ضغط والده على يده
شاكراً، وبالكاد شعر بقوة الضغط. لم يكن فين متأكدًا مما إذا كان عليه أن
يضغط بدوره.

- هَلَّا طلبت من والدتك أن تحضر لي كوبًا من الشاي وكعكة زنجبيل لأغمسها
فيه والقليل من المورفين من أجل التحلية؟

Cape Kennedy: اسم كان يُطلق -بين عامي: 1964 و1974- على رأس كانافيرال، وهو جزء في مقاطعة
بريفارد في فلوريدا، في الولايات المتحدة الأمريكية. وُعدُّ -منذ عام 1950- المركز الرئيسي للأنشطة
الفضائية في الولايات المتحدة. عادت المنطقة إلى اسمها السابق -"كيب كانافيرال"- وبقي اسم
«كينيدي» اسمًا لـ "مركز كينيدي للفضاء" فقط، تحت إدارة وكالة ناسا الفضائية.

"ommanipadme hum": أحد المانتترات السنسكريتية التي تم تبنيها من قبل العديد من الديانات؛ مثل
البوذية، وأحد تفسيرات قسمه الأوسط: «ماني»، بمعنى الجوهرة، و"بادما" بمعنى اللوتس، وهي رمز
متكرر في الديانات الهندية يشير إلى طهارة زهرة اللوتس التي تنبت من الطين والصخرة الروحانية.
أما القسمان الأول والآخر، فهما صوتان مقدسان شائعان.

محاكاة ساخرة

Parody

par'e-di/ noun/

لم يعرف فين ماذا يفعل بملاكه. لقد رأى لمحة من عالم آخر، وطمع فيما يمكن أن ينتج عن ذلك، ولكنه لم يجد طريقة للاستفادة منه. ما فائدة هذا الإدراك للكون الموازي إذا لم تستطع إسقاطها على عالمك؟ لم تكن معرفة - إذا صحَّ التعبير- يمكنه ركنها في الخارج والتحديث إليها كما يفعل السيد ترينتبريدج بسيارة فورد كورتينا. ليس أن بيئته المباشرة كانت مواتية للتحديث إلى الفراغ، فداخل جدران الشقة رقم أربعة كان يشعر بأن الأجهزة المنهكة التي قلبت حياتهم كان تتزايد. بذل الجميع أقصى ما لديهم مرة تلو الأخرى، بينما كان تأثير جهودهم يقلُّ أكثر فأكثر.

انهالت ميرايد بسيلٍ من الشتائم على متجر في مجمع هايوينت الجديد، والذي ادعى أنه سيبيع الدجاج المشوي على مدار أربع وعشرين ساعة في اليوم. سيتم فتح مطعم فونتانا كل يوم وليلة من أيام الأسبوع. بالكاد سُيِّدَ البناء الضخم، وفكرة تناول الدواجن في الثالثة صباحًا جعلتها «تُرغي وتزبد»، على حد تعبير إد. كما أثار سخط ميرايد أنهم سيبيعون لفائف ساخنة وأرغفة فرنسية في الوقت نفسه. رأت أن الفرنسيين قذرين، لا يُعرفون سوى بالثوم وخبز الطورييد الذي لا يُرجى منه أمل لصنع شطائر حقيقية. استجوبت أي شخص يعبر طريقها متسائلة: هل كان مخبرًا؟ أم مجررة؟ ولماذا قد يختار المرء بحق أرض الله الخضراء المزج بين الاثنين؟

من جانبه، تجول العم إدوارد في الخلفية، وأخبر الجميع أنه لا يريد أن يكون مصدر إزعاج. ابتسمت ميرايد برصانة وظلت تردد أنه ليس كذلك. لم يكن فين واثقًا، فقد بدت والدته وكأنها تريد بعيدًا عن طريقها، وعن كرسي الصالة المصنوع من الجلد، حيث يمكن لجدته أن تطعمه الشاي والكعك. كلما انتقلت ليل من غرفة النوم إلى المطبخ لجلب الماء المغلي أو التخلص من الأمبولات المستخدمة، كان يقف مُحَرَّجًا لأن مساهمته الوحيدة كانت أخلاقه الحميدة. بمجرد رحيلها، كان يحوم مثل عابر مفعم بالأمل، حتى تربت ميرايد على الوسائد وتقرح عليه الجلوس مرة أخرى.

وكان التدهور المفاجئ لصحة المريض سبب كل هذا السلوك المتقلب. أخبر إد فين ألا يقلق لأن والده لم يعد هو نفسه، إلا إنه لم يستطع أن يشرح ماذا أصبح. بدا عقل والده محاصرًا في ضباب متحرِّك. عادة ما يصيبه المورفين

بالنعاس ويجعله وغير مفهوم، ولكن بدا أنه يرى أكثر من أي شخص آخر مع انقشاع الغيوم. استذكر تفاصيل الماضي، وتحدث عن المستقبل دون أن يُثقل كاهله.

اعتاد أن يشاهد والده وهو يفتح عينيه، ويتحرك نحو أعلى جدار وسائده ويفحص الغرفة كأنه يراها للمرة الأولى. كان يحتاج إلى بضع دقائق ليتصلح مع الصندوق في غرفة نومه. هل يمكن أن تكون حياة المرء مضغوطة إلى هذا الحد؟ كيف يمكن أن تُمسي الأحلام الشاسعة مُقَيَّدة بخطوط تُقاس بمد اليد نحو قناع الأكسجين أو التمطي للوصول إلى غطاء سرير؟ كان يحاول أن يُنَوِّح بيده لِيُبْعِدَ العَبَسَ، غير متأكد مما إذا كان في ذهنه أم في الغرفة، ثم يستدير ببطء ويضع المصباح المجاور للسرير، فيصل مثلث الضوء إلي ركة فين، الذي يقتسم الكرسي مع المسجل. مسح والده جسده بعينيه وصولاً إلى وجهه.

قال: «لوريل وهاردي». ثم تابع: «حسناً، هذه مشكلة عويصة أخرى تدخلني فيها». حاول وضع علامة تعجب في نهاية الجملة، إلا إنه لم يجد القوة.

تمتع والده بالابتسامة السريعة والصمت الخفيف اللذين أعقبا ذلك، مما جعله ينظر إلى ابنه بشكل مختلف، كأنه رأى شيئاً لم يلاحظه من قبل. اتكأ على وسائده ليصبحا متقاربي الطول. الأب أمام ابنه وجهًا لوجه. استمتع فين برؤية النصف العلوي من المريض عمودياً مرة. على الرغم من استمراره في الانكماش، فإن البيجاما منحتة أكتافاً عريضة وصدراً متماسكاً، وتدرَّع جسده بقماش الفانيلا السميك. وحدها الرقبة النحيلة بقيت دون ما يسترها. حتى مع تثبيت الزر العلوي، أحاط خندق ضخم بالجلد المترهل.

- تبدو غير مرتاح.

- لا أريد إتلاف جهاز التسجيل.

- ضعه على الأرض.

- لن تتمكن من الوصول إليه عندها.

هز والده كتفيه. تخيل فين عظام الترقوة الهزيلة تُشَدُّ في أثناء محاولتها رفع الكتفين المجهدين. لم يدرك النتائج المترتبة على أفعاله تمامًا إلا بعد أن وضع جهاز فيلبس تحت السرير. أشار والده بإصبع ناحلة وقال ببساطة: «أنت». لقد عاد القارئ الرئيسي، حَكَوَاتِي رَجُل العرش ذي الوسائد. نظر فين إلى المكتبة في انتظار تنفيذ أوامر الملك. إلا إن العنق الهزيلة استدارت إلى اليسار واليمين داخل طوق الفانيلا. بدت تفاحة آدم كبيرة بشكلٍ خطير وفي حاجة إلى سقالات لتثبيتها في مكانها.

- ما من وقتٍ كافٍ من أجل القصص الطويلة والمؤامرات المعقدة. تيك توك، تيك توك. الطاولة الجانبية بجوار النافذة، الدرج السفلي.

نهض فين وتحرك إلى الجانب الآخر من غرفة النوم. سحب المقبض البلاستيكي الصغير، وتمكن في النهاية من فتحه.

- تحت هيدروكسيد الماغنسيوم.

أمسك القارورة الزجاجية ذات اللون الأزرق الغامق، ورأي كتابًا كبيرًا بسُمكٍ وعرض موسوعة. كان في حالة جيدة، وإن كان مُهترئًا قليلًا في الجزء العلوي والسفلي من صلبه. بدت الصفحات متلاصقة بالطريقة الوحيدة كأن الوقت قد طبع ختمه عليها، وكان الغلاف مسطحًا وثقيلًا وهادئًا مثل باب غير مستخدم. مرر فين يده على الأحرف الخمسة للعنوان، وتفاجأ عندما وجدها منقوشة بعمق. ضاعت أصابعه فيما كان مرةً حروفًا فضية وأشعت الآن بلونٍ أخضر مؤكسد.

- عددٌ سنويٌّ من مجلة تشامز، التاسع عشر وسبعة وعشرون. هدية عيد الميلاد التي تلقيتها عندما كنتُ في سنِّك.

حدَّق فين إلى الغلاف وحاول أن يتخيل والده صبيًا صغيرًا يحمل الكتاب. كان راعي البقر قد وصل إليّ أعلى التل وهو يعدو ممتطيًا جواده الأمين نحو القارئ مباشرة. حدَّد خط من أشجار الصنوبر طريقه، بينما كانت حوافر الجواد تبعث في الهواء سُحبًا من الغبار. كانت أنشودة رعاة البقر على استعداد، شكلت دائرة سائبة خلف قبعته وحددت الجزء السفلي من أول حرفين من العنوان. كان بإمكان والده استخدام الوشاح المربوط بأناقة حول رقبة راعي البقر. بدا حزامه كبيرًا جدًّا عليه، وارتدَّ المسدس الموجود في الحافظة الجلدية مبتعدًا عن وركه.

- افتحه.

كان الكتاب ثقيلًا لدرجة أنه اضطر إلى وضعه على السرير. شاهد والده يجاهد ليرفع وركه ويتحرك جانبياً لِيُفسيحَ له مجالًا. حين استعاد أنفاسه وشرب رشفة من الماء، أصدر الأمر مرةً أخرى: «افتحه».

كانت الصفحة الأولى طباعة حجرية بالأبيض والأسود لراعي بقر آخر يعدو على تلٍّ ويطارده أربعة هنود. تساءل فين إذا كان لهذا أي علاقة بما يجري على الغلاف الأمامي. لقد كان رجلًا شجاعًا تولَّى أمر أربعة من هنود سو⁽⁶⁰⁾ العنيفين باستخدام بضع يارداتٍ من حبل دائري. على الجانب الأيسر، كان ثمة ثنية تنفك إلى ثلاثة أقسام تُسَطِّرها شقوق عميقة. كانت «عجائب تحت الشارع» عبارة عن مجموعة من الرسوم التي تحمل علامات دقيقة، توضح الإنجازات الهندسية لنظام السكك الحديدية تحت الأرض في لندن. شَقَّت الأنفاق - الشبيهة بعلب صفيح متراصة - طريقها من كامدن تاون إلى شارع كينينجتون الجديد. حفروا تحت محكمة توتنهام، وأكسفورد سيركس، وتشارينج كروس، وصعدوا إلى الهواء الطلق في بانك وليفربول ستريت وكانونبري.

لقد كان عالمًا من مخيلة جول فيرن، رغم أنه لم يكن ثمة ما يخشاه. تم شرح «مقبض الرجل الميت». إذا أصيب الرجل بعلّة مفاجئة في أثناء القيادة، رُفِعَت يده عن مقبض القيادة، فيندفع زرُّ حلالًا وتُسَدُّ الفرامل. وبالمثل، وصف رَسْمُ

المقطع العرضي لعمود الرفع، الذي لا يختلف عن كراكاتوا فين، كيف يكفل منظم السرعات ذو الكرات صعود قفص المصعد وهبوطه بوتيرة منتظمة. كما تم تركيب ماسك أمان، بحيث لا يتحرك المصعد حتى تُغلق البوابة. فكر فين فيما قد يراود راعي البقر والأربعة الهنود إذا تمكنوا من الوصول إلى الصفحة الأخرى.

وقف بجانب السرير بيد مسطحة على كل صفحة. قام القس كلايورن بهذا في كنيسته قبل أن يبدأ في الوعظ أو القراءة. لعله اعتقد أنه بإمكانه استيعاب الكتاب المقدس بشكل أسرع من خلال أصابعه. تظاهر فين أنه على المنصة، وشدَّ ظهره وانتظر أن يُملي عليه الحاضر الوحيد في الكنيسة ما يفعل. حتى في هذه الغرفة التي تفوح منها رائحة المرض، عبقت صفحات الكتاب بالرائحة الصادقة للأوراق المخزنة. بدا أن رائحة العفن وصلت إلى والده أيضًا؛ إذ رفع أنفه وأغلق عينيه.

قال: «لوحات الألوان فقط. اقرأ التعليقات الموجودة أسفل لوحات الألوان. أعرف القصة، قرأتها كلها ألف مرة.»

صوّرت أول لوحة مجموعة من البدو الرُّحَّل الأشدَّاء، والذين سدوا طريق رجلين يرتديان الزي الكاكي. كانا يحومان حول مركبتهما الصحراوية غير واثقين مما إذا كانا سيرفغان أسلحتهما أم لا. بدا الرجلان رصينين لا خائفين، وأظهرت وقفتهما المستقيمة وتحديقهما الثابت من تحت خوذتيهما اللبادية أنهما لن يُذعنا.

قرأ فين: «أزمة في الصحراء. هؤلاء ليسوا عربًا عاديين، بل يُسمون بالجرأة والجسد... سد... سارة، بعيون تلمع وتبرق بوحشية مثل عيون جبالهم. تم ثني الذراع التي كانت تحمل الرمح إلى الخلف، وكان عليها فقط التحرك للأمام وسد... سد... سينطلق رأس الحربة نحو صدر الرجل الأبيض مثل لسد... سد... سان ثعبان! (ثم بين قوس... سد... حسين...).»

- انظر إلى قصة الباشق المثيرة «عرب الرمح».

أكمل والده الجملة: «اذهب إلى لوحة القرصان».

عثر فين على لوحة بعنوان «الهجر» مقابل «زاوية الطوايع» لستانلي فيلبس.

- نزع كاتلاس قبعته وانحنى. «الوداع يا بيكارون! الوداع يا مارتين لاسي! هنا

في جزيرة دوم، سد... سد... ستكونان رقيقين في الأسر حتى يموت أحكما».

قال والده: «من قصة «الهجر»، لكاتبها سامويل ووكي». قالها وابتسم لتلك الذكرى.

حدق فين إلى صورة المراهق المهجور وهو مُقيّد إلى قرصان قاس يملك وشم مرساة على معصمه. كانا مُكَبَّلَيْن بالسلاسل حتى كواحلهما، ومع ذلك بدا متأملًا لا قلقًا. حتى مع ذهاب بقية أفراد الطاقم على متن قارب التجديف إلى السفينة، ظلَّ شارِد الذهن.

طلب والده قائلاً: «الرمية الرابعة».

رُبطَ صَبِيٌّ صغير بسن فين ذاتها تقريبًا إلى جذع شجرة ضخمة. كان قميصه مدسوسًا في الجزء العلوي من بنطاله المخصص لركوب الخيل، الذي دُسَّ بدوره بأناقة في حذائه الجلدي الذي يصل إلى ركبتيه. امتدَّت ذراعاه على الجانبين، واخترق رُمحُ القيد القطني، إلا إنه لم يُصَبْ معصمه. كانت حدقاته متوسعتين، ولكن فكه المريخ وفمه المشدود أظهرًا عزيمة راسخة، بينما محاربٌ مفتول العضلات رُبطَ جلدٌ حول خصره وعلى رأسه ريشٌ أحمر هَمَّ بقذف رُمحٍ آخر نحوه. نظرت مجموعة من رجال قبيلته -ممسكين بدروعهم- باهتمام معتدل.

- أدرك ديريك أن زومتوايو كان يتوازن لتسديد رمية. وارتفعت الذراع السوداء الكبيرة إلى مس... مس... مستوى الرأس ذي الريش، وارتجفت ركبته من الرعب.
- ضحية الطيبة الساحرة.

صمت والده. غير متأكدٍ مما إذا كان ينجرف مرة أخرى إلى النوم، التفت فين إلى اللوحة التالية. في أعالي جبال الألب، بدت دراجة نارية قوية كأنها تسابق قطارًا. وبينما دوى كلاهما عند المنعطف، رأى فين سائق الدراجة النارية على حافة جدار تلويٍّ مع مسار السكة الحديدية. كانت العجلات غير واضحة بسبب السرعة، وسطح نفسه خلف المقود في محاولة يائسة لتجنب السقوط في الهاوية المتثابثة. ومن خلفه تصاعد دخان أسود من قاطرة تهدر في طريقها.
- «دون تردد، ضغط تيري دواصة الوقود إلى أقصى حد، وشعر بالدراجة تقفز تحته، ورأى الخليج تحت العجلة الأمامية». قصة آلن المثيرة، «المقدس الديناميتي».

التفت إلى والده في انتظار التعليمات. أضاءت هالة مصباح السرير زوجين من الخدود الرطبة. انهمرت الدموع على وجهه دون أن تُمتص. لم يترافق البكاء مع أي صوت. ظلت العينان مغلقتين حتى وهما تذرغان الدمع. دون أي محاولات لمسحه، اندفع الماء إلى حافة فكه وتجمع في قطرات، ثم قفز إلى البيجاما.

- مِغامرة. حَشِيْتُ أن أعيش حياةً تافهة.

ظَلَّتْ عيناه مغمضتين.

- أثار ذعري أنه إذا رُبيمت خريطة لما فعلته فلن تملك أي ملامح، تسطحُ فحسب. خفت من أن أستيقظ في النهاية دون أن أتمكن من تذكر أي شيء عشته.

ملأت جداول وجهه، وصارت تتراكم مسرعةً على بشرته الرقيقة اللامعة. وشكلت بعضها روافد بينما كانت تتدحرج إلى أسفل، متعرجة بين شعيرات اللحية الخفيفة. أراد فين جلب المناديل عن المنضدة المجاورة للسرير، ولكنه

ظل ثابتًا. لم يرَ والده يبكي من قبل، إطلاقًا. بدا الوجه تحت الضوء كأن مطرًا أصابه.

- إما الأثقال وإما الأجنحة. إما الجرجرة على طول الطريق وإما محاولة الطيران إلى أعلى.

مرةً أخرى، هُزَّت الكتفان مثل دمية نحيفة يُتْلَعَبُ بها من الأعلى. أجال نظره في الغرفة مرةً أخرى.

- دون تردد، يترك الأب الديناميتيُّ غطاء السرير على اللوح الجانبي، وبكلِّ قوة جاش، بوضة تلو الأخرى، يتقدم بعظمة قاطعًا الحدود المجهولة نحو المرحاض. لا يرافقه سوى الكشاف الأمين فين. هل سينجحان في المهمة؟ أم إن مغامرتهما المذهلة محكوم عليها بالفشل؟

ساعد فين والده ليستدير جانبًا، ووضع نعليه مباشرة تحت باطني قدميه المنتظرين. تَدَلَّت أصابع قدميه بلونٍ وردِّيٍّ فاتح. خنق الفرو في بطانة النعلين كاحليه، وعَرَّشَتْ نحو قصبتي ساقيه. من أجل الوقوف، كان على الركبتين، ثم الظهر، ثم الرقبة أن يتكشفوا في ثلاث مراحل منفصلة، مثل الثنية في عدد تشامز السنوي. تقدم إلى الأمام وحرك قدميه ببطء، ثم توقف كأنه ينتظر الإقرار بأنه قد قطع نصف الطريق عبر الأرضية الخشبية الوعرة.

- تَبَوَّلْتُ مرةً من ضفة نهر ليمبوبو. كان ذلك في شهر يونيو فقط، ولكنه كان جافًا منذ فترة طويلة، فلم يُحْدِث ذلك أي فرق، على الرغم من أنني شعرت أنني ساهمت. هل يهم أن نكون غير مهمين إذا كنا استثنائيين في ذلك؟ في كلتا الحالتين، أصبح محاكاة ساخرة لأنفسنا في النهاية.

انتظر فين عند الباب المغلق حتى ينتهي والده. مَرَّ بال وفي فمه كرة التنس، ولم يتمكن فين من إقناعه بالبقاء. لم يهتم، لأنه لم يعد خائفًا من هذا الجزء من الشقة. ما عاد الممر الضيق يضغط على بطنه كما كان من قبل. ما عاد يزعجه الفاصل السخيف الذي يسير أفقيًا وحول نفسه مثل ثعبان يأكل ذيله. إلا إنه أراد أن يكون في مكان آخر. أراد أن يكون أكبر سنًا وأكثر حكمة، ووثاقًا من نفسه. انحنى على الحائط وقرر أنه موجود في قاعة مهمة في جامعة شهيرة، أكسفورد أو كامبريدج ربما. سمحت النوافذ الكنائسيَّة للضوء أن يسقط عليه، مثل السيد لانزداون. أضاءته أعمدة ذهبية طويلة، وتلَهَّف الحشد لحديثه. كان غليونه ما يزال يحترق في جيب سترته الصوفية، ونظر من فوق الإطارات السميكة لنظارتته وبدأ محاضرتته. مارجریت والاس، التي أصبحت طالبة جامعية ترتدي تنورة قصيرة بيضاء استعارتها بلا استحياء من زيلدا، انتشَّت مع كل جملة، مفتونةً بعمق اطلاعه.

هتف والده: «اعذر تأخري». محاولًا أن يكون مرحًا، وأن يأخذ أنفاسًا عميقة بين الكلمات. «بيدو أنه كان إنذارًا كاذبًا، لم يحصل شيء حتى الآن».

احتاج الجسد الذي نجح في الوصول إلى الحمام إلى أربع محطات في رحلة عودته إلى غرفة النوم. لم يوقر هيكله العظمي ما يمنع سرواله من السقوط. «كما في كل مرة». أعاده فين من عند النعلين إلى صدره. شُدَّ حزام الخصر عند قلبه، فانحنت حافته. كان بإمكان فين إمساك مرفقه، ولكن لم يُسَمَح له بوضع ذراعه حول جسد والده. «نحن نسير، لا نرقص». تجاوزا «حماقة ليلي»؛ الكرسي المتحرك المطوي الذي لم يستخدم قط، المسطح، والمحشور بين الجدار وخزانة الثياب. «لو كان من المفترض أن أمتلك عجلات، لكنك جُمَعْتُ في ديترويت».

استغرق والده عشر دقائق كاملة حتى يتعافى. تركته تمثيلية الشجاعة في الحمام، وطريق العودة لاهتًا وأبيض. تنفس أنفاسًا ثقيلة في قناع الأكسجين حتى امتلأ بالماء المُكثَّف وأخفى منتصف وجهه. أبقى فين مجلة تشامز مغلقة في حصنه منتظرًا. كانت قد حازت مكانة مقدسة. كان كلٌّ من: «كيف تبني راديو الصمام بنفسك»، و«الروح الرياضية في الحلبة»، و«كيف يعدُّ الإسكيمو» جزءًا من النص المقدس. ما كان ليفتحها دون إذن. لا تعني إعادتك إلى منصب القارئ الرئيسي أنه يمكنك الانتقال عشوائيًا عبر ماضي والدك المُرَقَّم والمطبوع.

قال: «احتفظ به».

دُفِعَ قناع الأكسجين بعيدًا عن وجهه، ولكن الشريط المطاطي في مؤخرة رقبته أبقاه مشدودًا بإحكام أعلى جبهته. استمر الهواء في التدفق، مما جعل شعره يتراقص في المخروط البلاستيكي. أصدر هسيسًا مختلفًا، كما لو كان غاضبًا ومغتاظًا من إساءة استخدامه.

- إنه لك. احتفظ به.

رفع فين الكتاب ليؤكد معنى كلامه. لم تعجبه تلويحة يد والده؛ كانت مستعجلة وصخرة كأنه يزجر شيئًا ما. كان عليه أن يأخذ الكتاب حالًا، كان على الكتاب أن يذهب. أدرك فين أنه بحصوله على لوحات الألوان والمخططات والقصص فَقَدَ والده. نظر إلى الغلاف؛ ظل راعي البقر بحبله في حلقة كسولة، وظل حصانه يركض في الجبل. بقيت أشجار الصنوبر متجذرة في خطوطها المستقيمة. ستبقى القصة - لا القارئ - على حالها إلى الأبد.

وقف فين ممسكًا الكتاب إلى صدره. انتظر أن يُصَرَفَ، غير متأكد مما إذا كانت تلويحة اليد تشمله هو والكتاب. استدار والده حتى أصبحت مؤخرة رأسه على الوسادة وراقبه بعين واحدة. كان شعره ما يزال يتمايل ويلتف في القبة البلاستيكية. على الرغم من أن الستائر كانت مُسدَّلة، فإنه عرف أن شمس الظهيرة كانت تميل، وأن الوقت قد حان لأخذ بال في نزهة. بدأ يفقد رباطة جأشه. كان مُتَحَرِّقًا للخروج، ومصممًا على البقاء. رأى المسجل عند قدميه، وتمنى لو يضغط زر الإيقاف المؤقت. كان كل شيء يجري بسرعة.

واجه احتضار الضوء بأثقاد.
مع أنّ الحكيم يعرف في نهايته أنّ الظلام حق،
لأن كلماته لم تتشعب برقًا،
لا يخوض وادغًا في تلك الليلة الهائلة.
الطيبّ الباكي، مع آخر الموجات،
كم كانت سترقص أفعاله الهزيلة ألقًا في خليج أخضر!
يواجه احتضار الضوء بأثقاد.

بينما كان يقرأ، بدأ تنفس والده ينتظم. رفع فين صوته ليعلو فوق صوت دوامة الأكسجين. مُجبرًا على مواجهة المصباح، أراد التأكد من أن والده يستطيع أن يسمع. في منتصف القراءة، التفت إليه ووجد أنه لم يعد يحدق إلى مرآة خزانة الملابس، بل إلى السقف. تمايل رأسه بشكل غير محسوس، بينما تتبعت عيناه ما لم يستطع ابنه رؤيته.

البرّي الذي أمس... سد... سدك الش... ش... شمس الهاربة وعتى لها،
وعرف بعد فوات الأوان أنه كان يشيغها،
لا يخوض وادغًا في تلك الليلة الهائلة.
المهيب، القريب إلى الموت، يُدرك بالبصر المُعمى
قدرة العيون العمياء على التوهج فرحًا مثل النيازك،
يواجه احتضار الضوء بأثقاد.
وأنت يا أبي، هناك على الجبل الحزين،
هات دموعًا شرسة تلعنني وتباركني، أرجوك،
لا تخض وادغًا في تلك الليلة الهائلة،
واجه احتضار الضوء بأثقاد.

- أحسنت القراءة. أعد مرة ثانية.

مجموعة من سكان أمريكا الأصليين، والذين كانوا يعيشون في المساحة ما بين بحيرة ميشيغان وجبال روكي.

استسلم

Succumb

se-kum/ verb/

السؤال المطروح: هل لدى الزنبقة البيضاء التي يحدق إليها شكلٌ حلزوني سري بدوره مثل صدفة نوتيلوس إذا قُصَّت في منتصفها، فهل ستكشف عن منحني على مستوي يدور حول مركز ثابت على مسافة متزايدة أو متناقصة من نقطة ما؟ بدا الأمر مُرَجَّحًا للغاية؛ إذ كان لها شكل مخروطي، عريضة في أحد طرفيها، ثم تستدقُّ باتجاه ساقها الخضراء الطويلة. لو كان هذا الجذع مجوَّفًا، لأمكن النفخ فيه مثل آلة موسيقية. يدعونها زنبقة الكالا، إلا إن الزنبقة «البوقية» أو «الحلزونية» أسماء ملائمة أكثر. كان هناك كومة كبيرة منها على الغطاء اللامع، إلا إن إحداها انفصلت عن الجمع وشرعت تنظر إلى فين.

كان شاكرًا للاهتمام. ازدان حلق الزنبقة بأثر لون أصفر خفيف مثل شروق مبكر، أم غروب؟ إذا كان فيها شكل حلزوني بالفعل، فليس لديه أي فكرة عن اتجاه دورانه. وقف على قدميه مستفيدًا من المساعدة، ثم ركع. كان معه كتاب صلاته الخاص، ولكن والدته أصرت على مشاركته كتابها. لم يستطع أن يرى بسبب يدها، ولكنه ادَّعى القراءة على أي حال. غنوا الترنيمة الأربعمئة والخمسين، التي تتحدث حول أن الجميع سيلتقون عند النافورة حين يصلون إلى أرض المجد، حيث تسطع الشمس وتصفو السماء. النافورة الوحيدة التي استطاع أن يتذكرها كانت نافورة الشرب في حديقة ناتغ هيل. عليهم توخي الحذر، فإذا فُتِحَ الصنبور كثيرًا انطلق الماء نحو الأنف مباشرة.

كان السيد لانزداون هناك مع مستحضر ما بعد الحلاقة الخاص به. كان قد حاول الاقتراب من والدته دون فائدة. باعد العم إدوارد ساقيه كثيرًا، وشغل مكان شخصين من المقعد الكنسي الضيق. لم يكن فين متأكدًا مما إذا كان يحقُّ للسيد لانزداون تخصيص مقعد طويل للعائلة والأصدقاء المقربين بصفته مدير والدته. لم يملك الكثير من الأقرباء؛ لذا من الواضح أنه ظنَّ أن بإمكانه ملء الفراغ. حاول دفع رُكبتَي إد المبعثرتين، ولكن الحواجز بقيت ثابتة. بعدها حَرَّكَ عَمُّ فين جسده إلى اليمين، مما سمح للسيد لانزداون بالجلوس بجوار ميرايد بدلًا من الأرملة. سعل السيد لانزداون سعالًا غريبًا بعد هذا التصرف الشهم، ونظر إلى الصليب المتواضع فوق المذبح دون أن يرمش.

لم يحب فين الجلوس في الصف الأمامي، ولم يفهم ضرورة أن يكون الظهر مستقيمًا. لم يجد لبنانيًا أو سيدة سمينية ليختبئ. شعر بألف زوج من الأعين

تحقق إلى مؤخرة رأسه. في المقدمة، ظلَّ القس كلايبورن ينظر إليه بجديّة من فوق ياقته البيضاء. كان محاصرًا من الجانبين، وغاضبًا لأنه كان عليه أن يرتدي سترته المدرسيّة. تطوع العم إد ليشتري له «سترة مناسبة» ولكن الوقت كان قد نفذ. لم تكن ملائمة مع سرواله، ولكنه كان أفضل من اقتراح والدته بأن يرتدي سروالًا قصيرًا. التفتت ميرايڊ إلى مؤخرة الكنيسة وقالت إنها دهشة من هذا الإقبال الجيد. كانت جبلًا أسود مثل عاداتها. بدا المنديل الأبيض على حجرها باهراً في سطوعه غير اللائق، وسرعان ما دسّته في كمّها. اعتذرت مرتين للسيد لانزداون بسبب وضعها حقيبة يدها عند فخذة. قال إنها ليست مشكلة على الإطلاق.

ركع القس وأقحم ذقنه في صدره ليُصَلِّي صلاةً فردّيّة. بدا كأنه يخرج رأسه من فتحة سفينة. بعد إنشاء خط مفتوح مع إلهه، شقَّ طريقه بتروُّ إلى المنصة. إذا كان ينتظر نورًا مقدسًا ينبثق من النافذة، فهو لم يصل قط. أوضح أخيرًا أن الرب هو راعيه. في أثناء قراءة المزمور الثالث والعشرين، حاول فين أن يستلقي في مراعيه الخضراء، ولكنه وجد نفسه ممددًا في الحديقة بجانب هيب. كانت الشمس قد غابت، وكانت الغيوم سوداء، وضربت الرياح بسياطها قبعة اللباد، فتركت كتلة الشعر المتشابكة ومشتت على العشب. دارت حتى وصلت إلى مسيح الأطفال وغرقت ببطء. لم يستطع أن يفهم لماذا سيجد الخير والرحمة بالتأكيد طيلة حياته. استلقت الزنيقة شاغرة ومثلّمة، دعتّه ليدخل، وكان بلا حول ولا قوة.

آتسّه سماع أصوات على هذا البعد. اعتّرت الكلمات غباشة جعلتها أشبه بالشخصيات البعيدة التي تُغيّمها عمدًا. كما كان الضوء مختلفًا بدوره؛ إذ بدا أكثر انتشارًا ونعومة. وفّرت المنحنيات الناعمة ملاذًا من الحواف المتكسّرة للنّيّات الحسنة. المصافحة بقوة شديدة، والابتسامات شديدة الصدق، والضغط على الكتف المؤلم جدًّا أو الخفيف جدًّا. ودائمًا ذلك الهراء حول أن الوقت من شأنه أن يشفي كل شيء. ماذا لو أفسح الوقت مساحة أكبر للذاكرة؟ لماذا لم يقولوا إن الجسد الذي كان دينيس باكستر لم يعد يعمل فحسب؟ سكّنت أخيرًا التأتأة والتلعثم في الشرايين المسدودة والصمامات المتعطلّة. لن يعود والده. قد يندمل الجرح، إلا إن الندبة ستبقى. لقد قيل له بالفعل إن الشعر والأسنان والعظام والجلد أشياء لا تدوم إلى الأبد، وها هو ذا يريد أن يعرف ما الذي يدوم. هل الذكرى كافية؟ أم إن عليه أن يتوقّع المزيد؟

شدّت والدته سُتْرته وسحبته إلى أسفل. كان هو وحقيبة ميرايڊ الوحيديين اللذين بقيا جالسين على المقعد. لقد فقد تزامنه مع الواقع مجددًا. انزلق الجميع إلى الأمام راكعين، وأغلقوا أعينهم بأدب. ابتسم له القس ابتساماة عريضة في انتظار تلاوة صلاة الختام، وقَلِقَ فين لتسبّب المرض والموت في كل هذه الابتسامات. أعاده انفجار الأرغن إلى الواقع، بالإضافة إلى «أمين»

هُتِفَتْ ثلاث مرات بحيويَّة متصاعدة، واعتزمت الأخيرة وضوحًا أن تطفو إلى الأعلى وتوحي بالانتهاء. مثل المضيفين حين يُظهرون للضيوف أن وقت انتهاء الزيارة قد حان بعد أن لَوَّحوا لهم مُؤدِّعين عند الباب الأمامي وعند السيارة. ولحظة بعدها، لم يحدث شيء على الإطلاق. ويرجع سبب ذلك إلى أنه لم يدرك هو ولا والدته أنه عليهما المغادرة أولًا حتى يتمكن الجميع من اتباعهما. لم يُكسِر الجمود إلا عندما وقف إد مثل حاجب وأرشدهما إلى الطريق. لم يكن فين متأكدًا من كيفية قيادة موكب الجنازة، انطلق مسرعًا في البداية، واضطر إلى انتظار والدته لتلحق به. وضعت ذراعها برفق حول كتفه ونظراتهما نحو الأمام، وسارت ببطء نحو ضوء الباب المفتوح. توقع أجراسًا أو ربما حمامًا أبيض، ولم يرَ أيًّا منهما. جلست حمامة شعثاء على لوحة الإعلانات الخارجية و حَدَّقَتْ إليهم قليلًا. لاحظ فين أن تدريبات فرقة الإنشاد التي تتم عادة مساء الثلاثاء ستتم الآن في يوم الخميس. طَلِبَ من المعينين مراعاة الموعد. كانت جنازته الأولى، وقد افترض أن شيئًا أكثر دراماتيكية سيحدث في الختام. تكرر «أمين» مرة تلو الأخرى لم يبدُ كافيًا.

لم يصدق أن كل ما فعلوه هو الوقوف في حديقة صغيرة فحسب. والأسوأ من ذلك أن الأشخاص الذين كانوا في الخلف صاروا حولهم ورَدَدُوا ما قالوه من قبل. دهش فين من غباء كل ذلك. كما إن العشب كان ملأًا بقصاصات ورق الاحتفالية، كيف تركوا سعادة شخص ما تكسو أرض حزنهم؟ بدا أن أحدًا لم يفهم ما يجري سوى السيدة كابلان. لم تبتسم أو تدرش أو تُرَبَّت. نظرت إليه وألقت يديها في الهواء. على الرغم من أن الموت كان نهائيًا، فإن مراسمه تلكَّات. هَزَّ كتفيه رَدًّا عليها، فَفَسَّرَتْ والدته ذلك بأنه لا يريد ذراعها على كتفه. رفعت يدها وطلبت من إد أن يحضر السيارة.

في وقت سابق من صباح ذلك اليوم وعد فين نفسه بأنه لن يبكي، وبدا أنه قد حقق هذا الهدف. منذ فترة طويلة قُطِعَ أيُّ حبل يربطه بالإحساس بالهدوء والسيطرة. كلُّ ما أراده هو ألا يخرج نفسه أو والدته. إذا لم يكن رجل المنزل، فما من داع ليكون الطفل الصغير المنتحب فوقها. تم اختبار هذا مع الظهور غير المتوقع للتأبوت، الذي خرج من الباب الجانبي. بينما كان الرجال من قاعة الجنازة يكافحون على الدرجات غير المستوية، حَمَّنَ أنه سمع شيئًا ما يتدحرج في الداخل، وللمرة الأولى، فهم تمامًا أن والده كان داخل الصندوق. كان مُحَمَّلًا كما تنقل شركة نقل قطعة أثاث غريبة. من الواضح أن النعش كان كبيرًا جدًّا. ألم يعرفوا كم تَقْلَصُ؟ هل كانت هناك بطانيات؟ أو ورق ممزق ورقائق ستائر وفوم وأغلفة فقاعية لضمان ثباته وحمايته؟ وبينما كان يتقدم نحوهم، ظهرت السيدة كابلان من خلف شُجيرة الورد وقاطعته. كان كل ما قالته هو: «إنه ليس هناك».

رقصوا قليلاً بينما تتبعه إلى اليسار أولاً ثم إلى اليمين. لما تمكن فين من النظر إلى ما وراءها، كان التابوت يُدْفَعُ إلى الجزء الخلفي من عربة ستيشن واغن سوداء من قِبَلِ رَجُلٍ سمين لا يَتَّسِعُ له معطفه. استحال تثبيت الزر الأخير، وقسم معدته إلى قَسَمين. حاول إغلاق الباب الخلفي بلطف دون أن يستطيع قفل المزلاج، مما اضطره إلى إغلاقه بعنف وتثبيتته في مكانه باستخدام ركبته. جاء مساعده ليرى ما إذا كان كل شيء على ما يُرام وقدم له سيجارة. فكَّ زرين آخرين وأطلق سراح معدته. أشعل كلاهما سيجارة، وانجرف دخان أبيض فوق السياج وباتجاه برج الكنيسة بعد آخر أمين.

تقدمت ميرايد مع قصاصات ورق على نعل حذائها لتقول إن إد أحضر السيارة. جعلت من نفسها كبشاً لضمان هروبهم دون عوائق. في السيارة، وجد السيد لانزداون أخيراً والده فين وواساها. اتكا على باب الراكب الأمامي وتحدثا بنبرة منخفضة. محاصراً خلف عجلة القيادة، استنشاط العم إد غضباً. حين صار الجميع على استعداد للذهاب، كانت السيارة عبارة عن مزيج من المشاعر. كانت ميرايد قلقة بشأن الكعكة التي تركتها في الفرن، وظلَّ إد صامتاً، وبدأ تأثير المهدي الذي تناولته والدته يتلاشى، ولم يستطع فين التوقف عن التفكير في والده، وشغلت باله تداعيات ما جرى. ظل يري جسد والده يميل جانباً، ووجهه ينهرس على الخشب الصلب، قبل أن يتخبَّط ويستلقي على ظهره مرة أخرى. هل سيتأكدون في محرقة الجثث إن كانت ربطة عنقه ما تزال مستقيمة وطَيَّة صدر السترة مرتبة؟

أقِجَت كنيسة إنجلترا في جنوب إفريقيا في هيلبرو ضمن مثلث لطيف صنعه شارعا «كلاريندون» و«تويست». أنشأ شارع «كارولين» قاعدة المثلث، ولأسباب لا يفهمها سوى مخططو المدينة، جُعِلَ في اتجاه واحد. بينما كان السيد لانزداون يتقدَّم بأحرَّ تعازيه، كان إد الأكثر يقظة قد لاحظ من مرآة الرؤية الخلفية أن عربة الموتى تحاول الالتفاف مرتكزة على أربع نقاط. نظراً إلى طول سيارتهم، والسيارات المتوقفة على جانبي الطريق والزاوية الضيقة جدًّا عند نهاية «إديثكافيل» صار الخروج عبر شارع «تويست» المخرج الوحيد.

كان من الصعب معرفة من دهش أكثر عندما أصبحت عربة الموتى بجانب سيارة إد. ابتسم سائق العربة ابتسامة خجولة وكَوَّحَ سريعاً للغاية. أنزل النافذة إلى الأسفل متردِّداً، ونفض سيجارته خارج السيارة.

كانت إشارة المرور قد صارت حمراء للتو، وما كان باستطاعة أحد التحرك. تقدم إلى الأمام محاولاً تخفيف التوتر. جلب هذا التابوت مباشرة مقابل «وولزلي». بالكاد تفصل بين السيارتين بوصة واحدة. لم يسبق أن اقترب فين من الصندوق الطويل إلى هذه الدرجة. دون وجود زنايق على العطاء، بدا وظيفياً فحسب، وبدت المقابض الفضية المزخرفة سخيفة، مثل شيء أضيف لاحقاً على سبيل المزاج. تحوَّل الجزء الخلفي من العربة إلى منزل بفضل

ستائر النوافذ والسجاد الرمادي الممتد من جدار إلى آخر. كان من المستحيل الامتناع عن التلصص على الجار.

كان العم إدوارد أول من ذهب. اعتذر مقدمًا، ووضع ذقنه على عجلة القيادة وشرع ينتحب. رنّت ليل مُطمئنةً على ركبته، وودعته إيدي ثم انهارت بدورها. سحبت ميرايد المنديل من جعبتها، وتفحّصت اللون الداخلي الكريمي لسقف «وولزلي» وبدأت تختلج. حاول فين أن يتماسك. حاول تشتيت انتباهه بالتفاصيل؛ كانت السجادة مهترئة للغاية، حيث تهبط التوايت أولاً ثم تسحج وتتدحرج إلى الخلف. لم تُربط الستارة اليسرى في النافذة الثانية إلى الخلف مثل البقية. انزلت عن بُكلتها الذهبية وتمايلت بخفة على الرغم من أن السيارة لم تكن تتحرك. نزل من حافتها المهذبة خيط واحد يشبه في لونه وطوله الخيط الذي وجده على غلاف كتاب **قصائد ديLAN توماس المختارة**. شَهِدَت علامات خدش ضخمة فوق وإقي الطين الخلفي على زاوية أخطئ في تقديرها. عوى العالم في الداخل، وظلّ في الخارج كما كان دائمًا.

كان بمقدوره أن يتأقلم من خلال وضع الأحداث الكبيرة في مقصورات صغيرة قد يتمكن من إدارتها؛ إذ إنه بالإمكان ادّعاء ترويض الصعب والمُلتبس مع وجود عددٍ كافٍ من مرافق التخزين الفردية. تأخذ ما لا تستطيع فهمه، وتضعه في عدد من المساحات الصغيرة، وتغلق الباب وتتظاهر بأن كل شيء تحت السيطرة. بسبب القلق حول سير عربة الموتى على الطريق، لم يضطر فين إلى التفكير في أن والده على وشك أن يحترق ويتحول إلى رماد. حدث الشيء نفسه لجد اللبناني. قال «برايفليز»⁽⁶¹⁾، محاولاً إثبات مدى قوته.

كان سيصل إلى تلك الفكرة لو لم تبدأ السيارتان التحرك. فجأة لم يعد ثمة ما يمكن التعلق به أو التركيز عليه. مع مرور كل شيء بمرحلة انتقالية، بدت حركة السيارتين ظلمًا وحشيًا. كلُّ ما احتاج إليه كان شيئًا ساكنًا وثابتًا وملموسًا، وباتت السرعة عدوّه؛ إذ لم يكن بمقدوره أن يواكب ما يجري. استمرّ كسر القواعد مهما تبدلت اللعبة. لا يتمهّل أحد ريشما تتأقلم مشاعرك. ولا يهم أين تتركها، فإنّ أحدًا لن يعود معك لإيجادها.

عندما انعطفت عربة الموتى إلى اليمين في شارع «تويست» واستدار إد يسارًا لينزل، اكتمل المجاز. دفن فين وجهه في ثنية ذراعه وغاب. كان متكّنًا على الباب، وها هو ذا ينهار في حضنيه. رأى بعدها كم كان كمّه مُبتلاً؛ لذا لا بد أنه بكى، ولكن هذا لم يكن ما تذكره. وكان أمنيته السابقة أن يضغط زر الإيقاف المؤقت قد تحققت أخيرًا، وتوقف كل شيء. عاد كل شيء إلى مكانه. لم يكن حلمًا، لم ينته به الأمر هناك بإرادته. غمره سكونٌ عارم. انهار كل شيء على نفسه. لقد كان جزءًا من هذا، وعلى الضفة الأخرى منه أيضًا. لقد انطوى في مكانٍ آمن.

ولكن لم يكن قد تمَّ. أذهلته معرفة أن الجِداد فاتح للشهية. كان عليه أن يستمرَّ في «داتشس كورت» في أثناء تناول الوجبات الخفيفة والشاي. تم تكليفه بأمر لفائف السجق، وتحوّل من مجموعة إلى أخرى بذراعين ممدودتين. كان لا يزال مشدوّهًا، ولم يركز في العمل كثيرًا. قالت والدته إنها اضطرت إلى هزّه ثلاث مرات لإيقاظه في السيارة، على الرغم من أنه ظل يخبرها أنه لم يتم إطلاقًا. كانت زيلدا أكثر المشيعين شعبية. كان عليها أن تتحرّر من دائرة لتقبل عرضه تناول لفافة سجق. لم يلاحظ في وجودها في الكنيسة، إلا إن فستانها الأسود المحتشم الأنيق الضيق كفل أن يلاحظها الباقون جميعًا. سحبه السيد ترينتبريدج إلى زاوية وجعله يضع الأطباق جانبًا، وقال: «هكذا هي الحياة يا صغير، هكذا هي الحياة». ثم شرح كيف مات والده بدوره عندما كان في الثامنة من عمره فقط. قدّم فين تعازيه. كان من دواعي راحته سماع الكلمات تسير في اتجاه معاكس.

حتى مع صنع جميع أنواع الكعك والخبز الغريب في المنزل، هناك الكثير من الحشو الذي يمكن أن تستغرقه الجنازة. من قيادتها العليا في المطبخ، لاحظت ميرايدي أنه حتى حلوى الشوفان والتوت البري لا ترقى إلى المستوى. تحلى شخص ما بالجرأة للسؤال عما إذا كان هناك أي شيء أقوى من الشاي. أوضحت باقتضاب أنها ليست مراسم ما قبل الدفن، وأنهم ليسوا أيرلنديين. وبينما كان فين يوزع لفائف السجق بين الحشد، سمع مرارًا وتكرارًا أن «دينيس قد رحل مبكرًا قليلًا». مثل الحافلة، أو القطار الذي فاجأ الجميع برحيله غير المُجدول. أراد أن يقول إنه في أيامه الأخيرة كان والده أكبر سنًا من أي رجل قابله من قبل، إن الألم وانسداد القلب والأذرع الملائة بالكدمات الأرجوانية والأوردة المثقوبة تجعل الوقت يمرُّ بسرعة جنونية.

بقطعة قماش ملفوفة حول قبضة يدها اليسرى، أخبرت ميرايدي العمّة آيدا أن دينيس قد استسلم في أثناء نومه. أوحى ذلك بالجبن بعض الشيء؛ كأنه قد اختار الرحيل بالطريقة السهلة. قال عدد من الأشخاص إن والده «في مكان أفضل» دون أن يتمكنوا من إضافة أي تفاصيل أو إثبات أو جغرافيا. سمع أيضًا أن دينيس قد «نزع قباقيه عن رجله»⁽⁶²⁾ من شخص ما في مجموعة زيلدا، إلا إنه لم يستطع معرفة المصدر تمامًا.

كان العم إد النادل الرئيسي؛ أخذ الأوامر من ميرايدي وأصدرها. كما كان ناقل الصواني المكتظة بصفوف من الأكواب المتمايلة مع تمايل الأرضية الخشبية. طلب أن يُرى ويكون غير مرئي في الوقت نفسه؛ إذ أوصل المطلوب مع بعض المراسم، ليختفي بعدها على الفور. لاحظ فين أن الموت عملٌ جدّي للغاية، يرتدي ثيابًا سوداء ويقدم الكثير من النصائح. تغير هذا قليلًا فقط عندما وصل ناطور البناء وأوضح أنه لا يستطيع إجراء الجنازة بسبب انفجار أنبوب في الطابق الثاني. كان ما يزال يرتدي ثيابه الرمادية حين قدم برطمانًا من مخلل

الشمندر للتعبير عن أسفه. وقد تفاقم هذا التحول في الأجواء عند الظهور المفاجئ المتأخر لروميو روسي. في مقابل لفافة السجق قال: «فليرقد بَرّلام». وذهب للانضمام إلى المحيطين بزيلدا.

نظر فين عبر الغرفة إلى والدته الأرملة والمضيئة، التي تَقَبَّلَتْ تعاطفهم وعرضت عليهم تناول المزيد من اللفائف السويسرية في آن واحد. أشارت إليه لينضمَّ إليها. رفع طبقه للإشارة إلى أنه لا يزال هناك عمل يتعين القيام به. ارتسم على وجهها حزن مبالغ فيه. مثل زيلدا، كان لديها معجبون هي الأخرى. لم يشعر فين بالغيرة، إلا إنه لم يرغب -في الوقت الحالي- في أن يكون مجرد واحد منهم. أسعدَه الدوران حول الغرفة. كان يعرف أنه شكل حلزونيٌّ ساوٍ، ولكنه كان مرّة واحدة تمكن من تأدية الواجبات الموكلة إليه.

- احم.

استدار فين ليجد السيدة كابلان خلفه تمامًا.

- الموت لا يحتاج إلى نادل إلى الأبد.

بدا فين خاليًا من أي تعبير. ادَّعَتْ التجشؤ، كان من الواضح أن الموت قد أكل أكثر مما ينبغي.

- أنا عجوز، أمشي مع عصا.

انحنّت انحناءة مضاعفة لتوضيح هذه النقطة. قالت: «لا تتحرّك وركاي، ومفاصلي أكثر لزوجة من طبق فارفل كوجل، الذي ما زالت جدتك ترفض تقديمه». وأشارت إلى المطبخ.

عرض عليها لفافة سجق، فلوّحت مُعْرِضَةً عن الطبق.

- ألا تعتقد أنه سيكون من الدماثة أن يرافق شابُّ مثلك امرأة عجوز مثلي إلى شقتي؟ وفي أثناء قيامك بذلك يمكنك اصطحاب كلبك معك. وبعد أن توصلني إلى الطابق الرابع، ألن يحين وقت اصطحابه في نزهة إلى الحديقة؟ سأخبر والدتك ريثما تجلب المقوود.

أحسن السيد أوتيس التصرّف نسبيًا. عندما تم سحبهما إلى أعلى، هيّأت السيدة كابلان نفسها من خلال الانحناء إلى الأمام على عصاها والاستعداد للتوقف. بخلاف عصا مشي والده الخشبية؛ إذ تَشَعَّبَتْ نهايتها السفلية، تَبَرَّعَمَتْ فجأة ثلاث أصابع معدنية سميكة وخدشت الأرض بنهاياتها المطاطية. على الرغم من أنه فتح لها البوابة الشبكيّة، فإنها لم تَحْتَجِ إلى مساعدة صعود البوصات الستّ، وبدت حائرةً لأن فين رافقها إلى شقتها. وضعت المفتاح في الباب، ولكنها لم تفتحه حتى غادر. رفعت عصاها ووجهت ثلاث فُوهات نحوه، وانتظرت أن يذهب.

استدار هيب نحوه نصف استدارة فقط عندما اقترب.

- يوم صعب؟

أوماً فين.

- دائماً ما تتجلى الحتمية العظيمة في مفاجآت عظيمة.

- لم أكن متأكدًا من أنك ستظل هنا.

- لماذا؟

- دون سبب.

كان قد وجد هيب في مكانه الطبيعي على المقعد بجوار شجرة الصفصاف، وكان قد وضع نظارة عين القط عند وصول فين وبال، على الرغم من أن الشمس لم تكن ساطعة إطلاقًا. كان ما يزال يرتدي القميص ذا الطبعة الحلزونية مع بنطال البدلة، وقد أضاف غطاء سرير وضعه على كتفيه مثل شال. كان خفيًا وقطنيًا، تجمع خلف رقبتة ودفع قبعته إلى الأمام. تردد فين قبل أن يجلس. بحث في ذاكرته عن صورة لملاك مُتعب، ولم يتمكن من العثور على واحدة. كان الوجه المحروق من الشمس شاحبًا بعض الشيء، تعانقت الذراعان اللتان عادة ما تكونان ممدودتان، وانحنى إلى الأمام قليلًا. بدا هيب مُستهلِكًا، مثل رجل كان يركض في سباق الماراثون ويحتاج إلى وقت للتعافي.

- أحيانًا تحترق قليلًا حين يطوّقك الضوء.

- تبدو في الواقع أكثر شحوبًا بقليل من المعتاد.

ولسبب غير مفهوم، بدأ فين البحث على الأرض بحثًا عن قصاصات ورق.

- لا تغلق الستائر بالكامل. فيك من الرجولة ما يكفي لتلقي السطوع.

الاستنارة مؤلمة أحيانًا.

لم يعرف فين ما الذي كان يتحدث عنه، ولكنه شعر بالإهانة على الفور.

قال هيب: «إنه مجرد مساحة لم تكن موجودة من قبل.»

- ما هو؟

- الموت. عليك أن تختار كيف تملؤه. الامتناع عن التذكر عمدًا ليس بداية

جيدة.

- لا أمتنع عن التذكر عمدًا.

- جيد. لا تكن أحد أولئك الذين لا يشترون الزنايق أبدًا لأنها تذكرك بوفاة

والدك. اشترِ الزنايق طوال الوقت لأنها تذكرك بوفاة والدك.

- لماذا؟

- لأنك تبقي المساحة الفارغة ممتلئة بهذه الطريقة، وبهذه الطريقة تذكر

نفسك أن المساحة التي تشغلها أنت لن تدوم إلى الأبد.

اليوم من بين كل الأيام، لم يشعر فين بالرغبة في تلقي المحاضرات.

- قالت والدتي إن والدي رأى ناسًا في غرفته قبل أن يموت. كانوا يعومون، وتبعتهم عيناه. سمعته يتحدث معهم من خلال الباب. هل كان ذلك أنت؟ هزَّ هيب رأسه ببطء وقال: «إنهم المُحضِّرون. عادةً ما يكونون أفرادًا من العائلة. يأتون لشرح ما سيحدث تاليًا».

- ثم طلب أن يسمع سوناتا ضوء القمر، وتناول وعاءً من الحساء. اضطررنا إلى رفع الصوت إلى أقصى درجة حتى يتمكن من سماعها في غرفة النوم. - بيتهوفن.

نفض هيب ذبول سترته فوق كرسيه، وقوّم ربطة عنقه قبل أن يبدأ العزف على البيانو. بينما طمّنت يده على لوحة المفاتيح، تأرجح غطاء السرير برفق من جانب إلى آخر على كتفيه. انتظر فين المؤثرات الصوتية بلا طائل. بدت حركات الأصابع دقيقة، وانحنى الرأس بتركيز. خلف النظارة الشمسية، ما كانت ثمة وسيلة لمعرفة إن كانت العينان مفتوحتين أم مغلقتين. بدا أن الموسيقى الصامتة تجدد نشاط هيب. عزف مطوّلًا، وأخيرًا ترك جذعه المتحرّك يرفع القطعة إلى ذروتها بالتمام والكمال. - الحركة الأولى.

- ماذا عنها؟

- لقد سمعتها كما كان سيسمعها بيتهوفن تقريبًا. كان يُصابُ بالصمم عندما كتبها.

ظلَّ فين مرتديًا سترة مدرسته تذكيرًا محترمًا باليوم، وافترض أن هيب سيكون أكثر حساسية تجاه اللحظة على الأقل. هل طلب الكثير حين توقع أن تتفهّم الملائكة الحاجة إلى التعاطف والرحمة من الملائكة؟ أراد مشاركة الأسى مشاركةً قلبيةً وباطنيةً، أراد شيئًا يسمو به فوق ألمه وحزنه، شيئًا من شأنه أن يفسر كيف يمكن لوالده أن يتقافز في صندوق لا يناسب حجمه، ويحترق حتى لا يبقى منه أكثر من بقايا في منفضة سجائر، بينما يقضم الجميع بأدب لفائف السجق ويشربون الشاي. وبدلًا من ذلك، حصل على سوناتا الصامتة. تحول الضباب الرمادي الذي بدأ يملأ رأسه إلى اللون الأحمر.

قال: «ما خطبك بحق الجيم؟»

- الجيم؟ لا أعرف معنى ذلك.

- بحق الجحيم.

- أوه.

خلع فين سترته وهو يتعد غاضبًا. غيّر مقتنع بأنه عبّر عن غضبه إلى أقصى مدى، بحث عن أسوأ كلمة قد يجدها. فكر في «خنزير»، و«وغد»، و«الخصيس». كما كان من الباعث على السخرية أن كلمتي «وضيع» و«مُعترّ» خطرتا على باله. في النهاية وجد الكلمة. كانت فظيعة وحقيرة لدرجة أنه لم

يستطع إقناع نفسه بقولها بصوتٍ عالٍ، أو حتى نطقها بشكلٍ صحيح. إلا إنه حين وصل إلى داتشس كورت كان ما يزال يدعوه «قدسيس»⁽⁶³⁾.

تسمية تُطلق على نزهة الشواء في جنوب إفريقيا.
إشارة إلى الموت.
قديس وخسيس.

Incandescent

in-kan-des'ent/ adjective/

كانت العطلة عصبية دون أب. ارتدى فين الآن صليب السيد لانزداون بأثر رجعي. لعل الوقت كان متأخرًا بعض الشيء، ولكنه كان ما يزال يملك والدة ولم يرغب في المجازفة. وكلما حاول ملء الفراغ، ازداد نضوبه. جَرَّب الموسيقى، واستبدل بسوناتا ضوء القمر لبيتهوفن أغنية «منزل الشمس المشرقة» لفرقة «أنيمالز». استخدم أخيرًا ورقة الخمسة الراندات، وذهب إلى متجر شرائط «أوكيهبازارز» واشترى الأغنية المنفردة. خاطبت روحه المقدمة الحزينة، والإحباط الناجم عن ذلك المسكن في نيو أورلينز. تتحدث الأغنية بلسان حال العديد من الفتيان المساكين، وأحب فين الغناء بأعلى صوته ليعرف الله أنه واحد منهم. جالسًا على السجادة أمام جرونديج، شغلها مرارًا وتكرارًا وهو يصرخ بألمه للعالم.

باتت الشقة الآن مساحة فارغة أيضًا. عادت والدته إلى العمل، وعادت جدته إلى منزل إيفانهوي «لتلتقط أنفاسها». كانت غرفة النوم الرئيسية ما تزال تفوح بروائح المستشفى، وبقي أثر دائري على الأرضية الخشبية حيث وقفت أسطوانة الأكسجين. الآن بعد أن صارت الستائر تُفتح دائمًا، بالإمكان رؤية طبقة رقيقة من الأوساخ ممتدة على طول الجزء العلوي من إزار الحائط. جاء جيش الخلاص لأخذ ملابس والده. أذن لهم فين بالدخول، وأطلعهم على مكان خزانة الملابس. أصرت والدته على الاحتفاظ ببذلة داكنة أنيقة، تدلت فضفاضة عند تعليقها من علاقتها الوحيدة، والتقت في دائرة بطيئة عند فتح باب. تركت نعاله خطأ. ظلت خصلات بطانة الفراء منتصبة رغم عدم وجود أرجل لتتسلفها. ألقيت كل الحبوب في المرحاض. طقت الكبسولات، واحتاج للتخلص منها إلى دفع الماء مجددًا. تمايلت بسعادة إلى أعلى وإلى أسفل عاكسة ألوانها المتعددة قبل أن تستسلم للدوامة. لم يعرف أحد ماذا يفعل بمحقن ما تحت الجلد المصنوع من الزجاج والمعدن، الذي بدا أن له بعض القيمة الأصيلية. وُضعت في النهاية مكان النظارة الشمسية تحت برنامج مسرحية «العازف على السطح». وُضعت الإبر الفولاذية في زجاجة إينو⁽⁶⁴⁾ فارغة. لُقت القارورة القصيرة الممتلئة بشريط لاصق أسود قبل أن يتم إلقاؤها في صندوق النفايات، وذلك للحرص على ألا يستفيد منها مدمنو المخدرات الهبيون الذين يفتشون في النفايات.

أوضحت ميرايدي: «الآن بعد أن تم الأمر، لا فائدة تُرجى من التلکؤ». نَطَقَتْ المنزل بحجّة قدوم الربيع عدة مرات، وغسلت كل بياضات السرير مرتين بعناية. ولم يُدرك فين إلا بعد أن تلاشت كل تلك النشاطات أن التنظيف والفرك لا يُزيلان كل شيء. لم يجلس أحد على كرسي والده في الصالة. لم يرقد أحد في جانبه من السرير. بقيت فرشاة حلقته منتصبة ومنتحدية في خزانة الحمام. على الرغم من أن أصابعهم كانت تتحرك حولها كل صباح ومساء عندما يتناولون معجون الأسنان، لم تمتلك يدُ الشجاعة لإمساكها ووضعها في سلة المهملات. وبالمثل، أصبح عدد **تشامز** السنوي موجودًا الآن في قاع دولابه مستحيل الفتح. حاول فين الذهاب إلى عوالمه الأخرى. سحب كتاب أعمدة الحكمة السبعة من مكتبة والده وحدّق إلى رسم الفحم الذي صوّر لورانس العرب على الغلاف. سكنت الصحراء. جلس محاربوه الأقوياء صامتين على جمالهم. لم يأت جاسوس لو كاريه من بلاد باردة. حتى كاريكاتير حربه بقي على الصفحة.

أعاد قراءة **الإرهاب الداكن**؛ أحد كتبه المفضلة. المظليّون الذين سقطوا خلف خطوط العدو كانوا شجعانًا، ولكنهم بعيدون. عندما اقتحم جيم روبسون الغرفة لإنقاذ البروفيسور رينارد الأسير، كانت النظرة المذهولة على وجه الألماني حقيقيّة، ولكنها غير مؤثرة. فقاعة الكلام أخبرت جيري بأن يثبت مكانه وإلا سيموت. «هيميل! إنجلاندرز!»⁽⁶⁵⁾ كان الرد، ولكن فين لم يستطع إكمال القراءة. وقف أمام المكتبة وحدّق إلى السرير الشاغر. هل أخذ الموت معه كل أشكال الهروب الأخرى؟ هل كان نهائيًا وشديدًا فدفن كل شيء آخر؟ هل ستكون صفوف الكتب الموضوععة على الحائط شاهدة قبر ليس فقط لوالده، بل له أيضًا؟ هنا يرقد الأب والابن. فليرقدا برّلام.

كان المُسجل مستلقياً في الوضعية نفسها تمامًا، نصفَ مخفيٍّ تحت السرير. في أثناء تنظيفها من أجل الربيع، تجنّبت ميرايدي «الآلات» كليًا. اعتبرت أنها طلاس مستقبليّة. فكر في توصيل الميكروفون. كانت البكرتان ما تزالان تحملان الشريط بينهما، ومتوقفتين في منتصف القصة التي كانتا ترويانها. كان عليه فقط أن يضغط زر التسجيل ليستولي صوته على القصة. أمكنه مقاطعة الكلام ورويه بطريقته. أمكنه حتى أن يمسح كل شيء ويبدأ من البداية. إلا إنه لم يعرف ماذا يقول.

كان ثمّة طريقة واحدة فقط لحل هذا بشكل نهائي. كان القلم في علبة أكسفورد المكتبية الخاصة به، وقد ترك الطبيب كليفانسكي وصفا طيبة كاملة. استرسل في تدوين أفكار قبعت في رأسه فترة طويلة. كتب بهدوء ووضوح. أجبرته القائمة الطويلة من الدرجات العلمية قبل اسم الدكتور كليفانسكي على إعادة قراءة جملة ليُدققها إملائيًا. شعر بال أنهم متجهون إلى الحديقة، وانتظر بصبر عند الباب. إذا كان هيب ما يزال هناك، فقد حان وقت

المواجهة. سمع فين نفسه يقول: «اكتفيث من هذا السّخف». أحب صوت الجملة الموحى بالنضح، وكّرّرها لبال.

وجداه منغمسًا في مجلة «درام». امتدّت لثُخفي وجهه فلم يظهر سوى جبهته. كان على فين أن يتنحج مرتين قبل أن تظهر العينان والأنف. تلا ذلك جمود عندما لم تنزل المجلة أدنى من ذلك. نظر أحدهما إلى الآخر في انتظار الخطوة التالية.

- هل ما زلت تتحدث معي؟

قال فين وهو يمسك ورقته وقلمه: «عمل».

- أقرأ عن مدينة بلا روح. كيف هُدّمت فوردسبورج بالجرافات إلى مكان جديد يسمى ليناسيا.

لم يسمح فين بأن يُشّئت. جلس على المقعد وفتح الكراسية. قال: «لدي مشروع مدرسيّ يجب أن أسلمه في اليوم الأول من الفصل الدراسي القادم؛ مقال».

- ما هو الموضوع؟

- ما تعلمته خلال العطلة المدرسية.

طوى هيب المجلة من المنتصف، ثم نزع نظارته الشمسية وغرسها بعمق في شعره. بينما كانت عيناه الزرقاوان تحدقان إلى فين، مسحت نظارته الأفق. لم يسه فين، وأبقى إصبعه على السطر الأول.

- كيف تبدو الجنة؟

- تريدها أن تكون مكائنًا؟

- أليست كذلك؟

- هل تريدها أن تكون كذلك؟

- أنا طرحت السؤال أولًا.

- إذا أردت سحبا بيضاء منفوشة ونساء شقراوات جميلات يعزفن على قيثارات ذهبية، أمكنك الحصول على ذلك. إن كنت تفضل مسار «سكيلي كستريك» العملاق - يمكن أن يكون أكبر آلاف المرات من المسار الموجود في نافذة متجر «هيوستن» للألعاب - يمكنك الحصول عليه أيضًا. أنا شخصيًا أفضل الوعاء الضجل البديع الذي يمتد عبر الكون. إنه نسيخ مثالي من كل الألوان في الوجود، ويُمثّل كل لون علامة في أجمل مقطوعة موسيقية سمعتها على الإطلاق. وكلما انتقلت إلى المنتصف، أصبحت أجمل وأجمل.

- لماذا؟

- لأنه عندما تكون في المركز، وعلى مسافة متساوية من جميع الأطراف، لا يعود ثمة شيء سوى الصمت المطلق.

لم يكن فين متأكدًا مما يكتب. بقي قلمه مستعدًا.

- الجنة هي بالضبط ما ترغب فيه، هذا ما يجعلها جنة.
انتقل فين إلى سؤاله التالي: «هل ثمة أنواع مختلفة من الملائكة؟»
- نعم ولا.

تنهّد فين ووضع قلمه على الكرّاسة.
- الملائكة يظلّون ملائكة، ولكن يُوكّلون بمهام مختلفة.
- مثل ماذا؟
- لقد ذكرْتُ المُحضرين سابقًا، وثمة حراس وشهود أيضًا.
- ماذا يفعلون؟

- يراقبون ويقدمون المساعدة، إذا أمكن.
- إذا أمكن! أليست الملائكة قادرة على فعل كل شيء؟
- ليس إذا أرادوا أن يبقوا بشريين.
صمت هيب. خربش فين على كرّاسته مُعانيًا، ومُدّعيًا أن ذلك يساعده على التفكير. رسم سلمًا على الجانب العلويّ من الصفحة.
- لدى البشر إرادة حرة، لذا كل ما باستطاعة الملائكة فعله هو الإشارة والاقتراح. لا يمكنهم إجبار الناس على فعل أي شيء. لا تستطيع الملائكة القيام بعمليات على الفص الجبهي. هذا ليس ضمن الميثاق.
- الميثاق؟

- مثل دوائر المرور، من المفيد اتباع اللافتات.
- لقد رأيت أجنحتك في الليل، فلماذا لا أراها خلال النهار أبدًا؟
- كما لا يتضمّن ميثاق الملائكة إصابة الحمامات بنوبات قلبية.
أشار هيب إلى السُّرب الذي اصطف بنفاد صبر لحفر ثقوب في بقايا رغيف الخبز الفرنسي. كانت بارزة من حقيبة بنّية ورقية لمخبز فونتانا. انفجرت ثورات بركانية صغيرة مع تطاير رقائق من القشرة في الهواء.
- كما تريد الملائكة بالطبع أن تتجنّب السكّنة القلبية بين عامة السكان. يجري كل شيء بشكل أفضل مع مراعاة التخفّي. لا بأس بالأجنحة في اللوحات والأضرحة، والنصب التذكاريّة، ولكنها غير عملية إلى حد ما على الملأ.
- هل أنت متخفٌّ؟

- نوعًا ما.
تفحّص فين قائمته. كان قد رسم علامة تعجب خلف السؤال الرابع.
- كيف تتأهل لتصبح ملاكًا؟ هل يجب أن تكون قد عشت حياة مثالية؟
- ليس تمامًا. انظر إلى الأمر على هذا النحو: لو عاشت جميع الملائكة حياة مثالية، فكيف يمكنهم مساعدة شخص يعيش حياة غير مثالية كليًا؟
- لم أفهم.

- شاهدت مرةً مهرجانَ سباحةٍ مدرسيًّا. كان الأولاد في سِنَّكَ تقريبًا. كان الفائز سَبَّاحًا رائِعًا ذا أكتاف عريضة وجسم رياضي. سبق البقية بفارق خمسة أطوال. وقف على قمة المنصة ورفع الكوب عاليًّا. وكان الصبِيُّ الأخير مُصَابًا بضمور عضليٍّ؛ كل ما أمكنه فعله هو التجديف مثل كلب. اعتقد الجميع أنه سيغرق في منتصف السباق؛ إذ توقَّف مُرهَقًا، ثم استمر حتى وصل إلى النهاية. الآن، أيُّ من هذين الصبَّيين مؤهَّل أكثر لمساعدة شخص يخاف النزول إلى المسبح؟

ظل القلم ساكنًا. مثل الرغيف الفرنسي، كان عقل فين يُثَقَّب. رسم المزيد من الدرجات في سلمه.

- هل يمكنك شرح ذلك مجددًا؟

- دعنا ننظر إلى هذا بطريقة مختلفة. نحن كل شيء ونقيضه في الوقت نفسه: خائفون وشجعان، جيدون وسيئون، حزينون وسعداء، عميقون وضحلون. كل ما في الأمر أن الملائكة تعلموا أيَّ جانب يديرون إلى الضوء. عرفوا نحو أي جزء يسلطون الضوء، وُبَحِّد كل شيء بدءًا من هذا الاختيار. أنا مدمن على الكحول ولا أشرب الكحول، لذا يمكنني مساعدة الأشخاص الذين يفعلون. بكل بساطة.

لم يكن فين واثقًا. نظر إلى ملاحظاته مرة أخرى. قال: «رقم خمسة». تأمَّل أن يوحى قوله الرقم بالقليل من السيطرة. «هل كل الملائكة بيض؟»

- ألواننا كثيرة.

- حتى الأسود؟

- بالطبع.

- أليس الشر أسود؟ الثعبان في جنة عدن أسود دائمًا.

- والسحابة النووية للقنبلة الذرية بيضاء دائمًا. اللون لونُ السطح لا العمق، ولا يهم. أنت إنسان أولًا، ثم رجل أو امرأة، وبعدها أنت لون أو دين أو جنسيَّة. كن صادقًا، كن لطيفًا، فاللطف غاية في حد ذاته، ولا تقلق بشأن البقية.

- لماذا كُتِبَ إذن على المقعد الذي نجلس عليه أنه مُخَصَّص للبيض؟

- لأن هؤلاء الناس قد أداروا الجانب الخطأ إلى الضوء.

أمسك هيب بميكروفون وبدأ يدق بقدمه باحثًا عن الإيقاع. حوَّل الحديقة الفارغة إلى ملهَى ليليٍّ، وشرع ينظر إلى الزبائن على الطاولات المختلفة. أشار إلى كل فرد وهو يحاول أن يبدو مثل دين مارتين.

قبل أن تكون أسود أو أبيض أو أصفر،

أو بلون الكابتشينو أو أيِّ لون تشاء،

عندما تولد بعد عناء،

أنت أنت فحسب.

قبل أن تكون مسيحيًا، أو بوذيًا، أو مسلمًا، أو يهوديًا،
لا مجال للهرب نهائيًا،
أنت أنت فحسب.
قبل اللا إرادي والملحد والروحانيّ والعدميّ أيضًا،
بالطبع وفعلاً،
أنت أنت فحسب.

وبينما كان هيب يبحث عن مقطع رابع، قام فين ومشى مبتعدًا. كان قد سئم هذا الملاك المُغَيَّب. كان الحمام في حالة جنون بسبب الطعام، فسمح له بالاقتراب. لم يهاجم الخبز فقط، فقد ألقيت دائرة كبيرة من السلامي في الهواء ونقرتها عدّة مناقير. لقت ودارت مثل البيتزا في مطعم بيلا نابولي قبل وضعها في الفرن. استغلّ طائر أبي الحنّاء الفوضى، فانقضَّ وغرس رأسه في الطرف المنتفخ من الرغيف، وأكل ثم حلق. راقبه فين يختفي في الضباب البنفسجي فوق منطقة مخلفات التعدين، كانت فترة ما بعد الظهر في نهايتها. حين عاد فين، كانت زاوية أشعة الشمس الحادة قد أجبرت النظارة الشمسية على العودة إلى مكانها، وتوقف الغناء.

استشار فين كراسته مرة أخرى.

- إذا كنت ملاكًا ويمكنك أن تكون إنسانًا، فهل يمكنك أن تكون أي شيء آخر؟
- الشكل مثل اللون، مجرد طبقة خارجية. إنه غير مهم.
- ولكن هل يمكنك أن تصبح... أشياء أخرى؟

- ما الفرق الذي سيحدث إن قلتُ إنه يمكنني أن أكون كلبًا؟ أو حمامة مثلًا؟
- إذا كان الكلب الذي رافقني إلى المدرسة، أو تلك الحمامة الجبلية التي تطلُّ في الجوار دائمًا، التي جاءت إلى الحفل الموسيقي الخاص بي ثم أتت إلى الكنيسة، فسيُحدِثُ ذلك فرقًا.

- لماذا؟ فيما يتعلق بالشكل، ما يزال ذلك مجرد كلب هجين، أو مجموعة من الريش. ويعود الأمر إليك لتقرّر ما إذا كان ملاكًا أم لا. يعود إليك معرفة ما وراء المظهر الخارجي واتخاذ القرار. ما أقوله لا يجعل الأشياء حقيقية، بل تصديقك إياها.

كانت الشمس قد بدأت في الغروب. انتشرت الظلال بعيدة وراءهما. امتد الجذع الأسود لشجرة الجكراندة عبر الحديقة، وفوق السيارات المتوقفة، وعبر مطعم برايمر وزتيراس. عصفت الريح في سرواله الضخم ونفخته حتى وركيه، فمسّده بوضع يديه في جيبيه. وبعد تفكير، سحب جوارب التنس البيضاء من كاحليه إلى منتصف قصبتي ساقيه أيضًا. ما كانا ليبقيا هناك فترة طويلة، ولكن ذلك جعله يشعر أنه رجل أعمال قليلًا.

السؤال رقم سبعة كان الوحيد الذي كتبه بحروف كبيرة. كان السؤال الأخير، ولكنه لطالما كان السؤال الأول، وربما الوحيد. أخذ نفسًا عميقًا واستدار لمواجهة هيب بشكل مباشر أكثر.

- لماذا لم تساعد والدي؟ كل ما يمكنني فعله في النهاية أن أقرأ له، للأسف! لم يحصل على أي مساعدة إطلاقًا.

- مساعدة هائلة. إلى الأبد. لم يُردك والدك أن تقرأ له، أرادك أن تسمع الكلمات. موته هدية، فقد فتح مساحة يمكنك الآن ملؤها. تعود إليك كيفية ملئها. كان يُلمح إليك.

سمع فين نفسه يقول: «مغامرة». واستمر في الكلام بينه وبين نفسه: «هؤلاء ليسوا عربًا عاديين، بل يتَّسمون بالجرأة والجسارة...» رأى الدموع تنهمر على خدي والده مرة أخرى، وشاهدها تقفز من ذقنه إلى أعلى الفانيليا.

- كان بإمكانك فعل شيء ما.

- لا تتدخل الملائكة ما بين عقارب الساعة.

وقف فين، كان عليه أن يذهب.

- الأمر يشبه أن أخطم ساعتك لأوقف الزمن.

لم تُكتب أي إجابة في كراسته، وظلت الفراغات الواسعة التي تركها بعناية بعد كل سؤال على حالها. شبك المقود بطوق بال، ووضع القلم في جيب سرواله. لم يكن متأكدًا مما يجب فعله بالكراسة، فشدها إلى صدره كما يتصور أن الأطباء يفعلون في جولاتهم. اختفت جميع الطيور، ورَّحبت الصراصير الأولى بالليل. بعيدًا في بركة الأطفال، تجشأ ضفدع. تخيله فين جالسًا على الأنف الخزفي للدولفين المبتسم. دفعت امرأة رُسمت علامة السلام على حقيبتها عربية أطفال باتجاه التوهج المبكر لمصباح الشارع، فلم يبق سواهما في الحديقة.

- كان بإمكانك أن تساعد، ولكنك لم تفعل. أنت مثير للشفقة. الشيء الغامض الوحيد الذي قُمت به هو سحب حلوى «لايف سيفرز» من مؤخرة رأسك. لم تحوّل أي شيء إلى النور. لم تُشكّل أي فرق. ملاك يقص أجنحته بيديه عمدًا. (لم يكن متأكدًا مما إذا كان قد استخدم المجاز). أنت مثل كل الآخرين؛ تتحدث فحسب، أو تغني، أو ترقص. ترتدي ملابس مختلفة، ولديك الكثير من الشعر، وتغيّر شكل لحيتك تحت ذقنك: مربعًا، ومعينيًا، والآن دائرة، ولكن هذا لا يغيّر شيئًا إلا بالنسبة إليك. لست حارسًا، أنت مضيفة للوقت. أرني...

قاطعه هيب قائلاً: «مغامرة».

- ماذا؟

- مغامرة! أراك هنا بعد العشاء.

فوجئ فين بالدعوة فما عاد بإمكانه التحدث.
- قرابة الساعة التاسعة سيكون وقتًا مناسبًا.
ورفع ناظره إلى السماء، وتَظف أسنانه بلسانه، وتَلَمَّس الدائرة تحت ذقنه بإصبعه.

كانت طاولة غرفة الطعام دليلًا على أن اثنين رقم رَوجي، وأن الرقم ثلاثة ليس كذلك. على الرغم من أن والدته جلست قبالة مباشرة، فإن هذا أبرز المقعد الفارغ على رأس الطاولة. كانت المساحة الموجودة أمامها شاغرة، ولكنها ممتلئة. ما كان باستطاعة وعاء البازلاء أو قارب المرق التعدّي إلى هناك. على الرغم من أن تلك المساحة المحددة ظلت شاغرة أكثر من عام، فقد كانت محجوزة لعودة والده المؤجّلة. لم تُغيّر شيئًا حقيقة أن هذا ما عاد ممكنًا. جنازة ووعاء غبار رماديّ كانا أقلّ حسماً من التنحّي عن مكان لتناول الطعام.

بدأت معظم الوجبات بالضجيج وانتهت بالصمت. حاولت والدته جاهدةً، وتحدّثت حول ثرثرة المكتب، بينما طالّت فترات الصمت بين الجمل أكثر فأكثر. تكلمت حول أطوال التنانير، وعرض أربطة العنق. صدّق أو لا تصدّق، يفرلي من وحدة الطباعة وصلت إلى رقص صالونات فريق ترانسفال. السيد هندرسون -من بين كل الناس- صنف شعره بطريقة إفريقية، ويُقال إنه فعل ذلك لتغطية بقعة صلعه. أوما فين باستمرار مُحاولاً أن يبدو مهتمًا. كان يعرف أن والدته تبحث يائسةً عن موضوع حديث، ولكن لم يكن لديه ما يقوله. لم يظهر جيمي اليوناني بعد، على الرغم من أن فين كان يعرف أنه قد عاد من عطلته. كانت جميع أحاديثه مع الكلب والملاك المتخفي.

بعد العشاء قرأ كلاهما صحيفة «ذا ستار». بدأ فين من الخلف، وبدأت والدته من الأمام. حاولا القراءة بسرعتين متساويتين حتى لا ينتظر أحدهما عندما يصل إلى الوسط. كان ذلك وقتًا أكثر استرخاءً. أدّت طاولة غرفة الطعام غرضًا أقلّ حزنًا؛ حيث نشرا أوراق الصحف على نطاق واسع وثبتها بمرفقيهما. لم يعجبها رئيس الوزراء بي جي فورستر، وقالت: «يبدو سفاحًا، أشبه ببلشاصر⁽⁶⁶⁾. يذكرني بيلزوب⁽⁶⁷⁾». تساءل فين لماذا غيّر كاسيوس كلاي اسمه إلى محمد علي. لوّح الملاكم القوي بغضب أمام الكاميرا كأنه يستعد لضربها. قال المقال إنه قد رفض الالتحاق بالجيش الأمريكي، مما قضى عليه. بعد أن ينتهي من قراءة النص الرئيسي للجريدة، كانت والدته تلقي أكثر من مجرد نظرة خاطفة على الإعلانات المبوبة. لم ترغب في شراء شيء إطلاقًا، ولكنها كانت مهتمة بما كان الناس على استعداد لبيعه. من هناك انجرفا نحو الراديو. لم يعجبه برنامج «السجلّ الملحميّ» وأظهر مَلّهُ على الفور عبر التمدد والتثاؤب. عندما بدأ المفتش كار التحقيق، اعتذر وذهب بحثًا عن مصباح. وجد أخيرًا جهاز «رايوفاك» بجوار قفص الهامستر القديم. ارتاح

لملمس المعدن الفضي المضلّع بشدّة في يده، على الرغم من البطاريات القديمة والضوء الخافت. كانت ستفي بالغرض ولا بد. كره الكذب على والدته عندما سُئِلَ عن سبب استخدام المصباح. كل ما كان يفكر فيه هو الضفدع، وانفجر حلقه إلى أسفل وهو ينقب.

قال جاعلاً من خداعه أضحوكة: «كرر روج. س... س... سأبحث عن الضفادع. سمعتها بعد ظهر اليوم».

تقوَّس حاجبا والدته، ثم عادا إلى وضعهما ولم تطرح المزيد من الأسئلة. لَوَّحَ فين وأخرج بال. حين وصل إلى آخر شارع أوراييلي، سَحَبَ الكِرَّاسَةَ من مؤخرة سرواله وتأكّد من أن قلمه ما يزال في جيبه. افترض أن المغامرة مرتبطة بالإجابات التي لم يتلقَّها سابقًا حين رآه بعد الظهر. أراد أن يكون جاهزًا في حال كانت أسئلته ستلقى ردودًا. جلس القمر السمين على سلك الهاتف، وحوَّلَ لون بال إلى الأحمر النحاسيِّ. كانت السماء أكثر إشراقًا مما توقَّع. قد لا يحتاج حتى إلى الضوء.

كان هيب واقفًا خارج الحديقة على الجانب الآخر من السياج. أكَّد وهو ينظر بتساؤل إلى الكراسية: «مغامرة، لن نذهب بعيدًا، بل عاليًا».

تجاوزوا برايمروز، واتَّخذوا شارع فايف. لم يرَ هيب يمشي بهذه السرعة أو البعد من قبل. تمايلت نظارته الشمسية المتجهة إلى الخلف مع كل خطوة متعلِّقةً بقبعته. كان يرتدي سترة كارديجان مزخرفة لتحميه من برودة الليل. قفز على ظهره أيلٌ عيد ميلاد أحمر بأرجل متبيسة وحوافر مدببة ورقبة مستقيمة. لم يتسع الصوف السميك لأزرار. بدلًا من ذلك، ارتدَّت القطع الخشبية التي يبلغ طولها بوصة من حزامها الجلدي وهم يتجهون نحو شارع بروسبيكت. اقتربوا للغاية من داتشيس كورت مرة أخرى. حاول فين إخفاء ذعره عبر مشاهدة الأنف الأحمر يتجعد عند عنق هيب، ثم ينثني على الياقة المحبوكة مجددًا.

- لا تقلق.

- لَسْتُ قَلِقًا.

توقفوا عند بوابتين ضخمتين مصنوعتين من ثلاث طبقات من الحديد المُتَلَمِّم. نُقِبَت البوابتان ثقبين مربعين أدخلت فيهما سلسلة ضخمة. نُبِتَت هذه السلسلة بأكبر قفل شاهده فين على الإطلاق. القمر، الذي أصبح فوق أسلاك الهاتف قليلًا، ألقى بظلاله على ارتفاع عشرين قدمًا مقابل باب. ما كان باستطاعة تلك اللحظة أن تكون أكثر تضحُّمًا. رفع بال رأسه وتحوَّل إلى ذئب، وأضاف هيب عواءً ناعمًا، بينما تَلَقَّت فين ليرى إذا كان أي شخص يشاهدهم. أشار المصباح الفضي في يده بوضوح إلى أنه شريك في الجريمة. بدأ يتدرب على ما سيقوله للشرطة. كانت والدته دليل براءته الوحيد، ستؤكِّد أنه كان يبحث عن الضفادع فحسب. هل ستُظهِرُ اختبارات جهاز كشف الكذب أن هذا أيضًا

غير صحيح؟ بدأ الخوف يفوق حماسه الأوّلِيّ. عندما قال هيب إنهم سيذهبون عاليًا، كان يأمل في الحصول على تجربة دينية، ربما زيارة سريعة إلى وعائه الضحل الذي يمتد عبر الكون.

- هل ذهبت من قبل إلى موقع بناء ليلاً؟

- لا، ومن المستحيل أن نفتح ذلك.

وأشار فين إلى القفل واستدار ليذهب.

- لا تحكّم على كتاب...

سحب هيب القفل، فأفسح القوس الفولاذي السميكة المجال على الفور. انثُرِعَت السلسلة من المربع في غضون ثوانٍ، ودخلوا عندما فُتِحَت الأبواب. وحين دخلوا، استندا على العوارض وأغلقوا البوابات بلطف قدر الإمكان. صلصل المعدن على المعدن، ثم ساد الصمت. ما عاد من الممكن العودة إلى الورااء الآن. لم يتعدى على ممتلكات الغير فحسب، بل اختاراً أيضاً أن يسجنا نفسيهما.

- أضع رئيس العمال المفتاح، وهذه هي الحال منذ أسابيع. اخذع العين وسيتبعها العقل.

جلسا على جِزَم من الأسمنت وحاولا التركيز. ما عاد القمر بالنفع ذاته هنا، كان الظلام قد ازداد، وحجب السياج العالي ضوء القمر. بالكاد ميّزوا الأشكال الغريبة. سبر فين المكان بمصباحه بشكل مثير للشفقة، كان أكثر ترتيياً مما تصوّر. حتى المجارف جُمِعَت في حزم أنيقة؛ اتكأت مقابضها على بعضها بعضاً في مجموعات من اثنتي عشرة مجرفة، لتشكل صفاً طويلاً من الخيام. اصطفت مكانس خشبية ذات شعيرات معدنيّة على الحائط أمامها مثل حراس هادئين. شعر فين بالتهديد، فابتعد وسقط على الفور في عربة يدويّة. لم يتحرّك شيء. ولتكتمل التمثيلية الإيمائيّة، انطفاً ضوء مصباحه.

- حذار! يبلغ ارتفاعه عشرين طابقاً. (وأشار هيب نحو السماء). انتهى بناء الدرج، ولكنه يدور حول بئر مصعد مفتوح، ما من درابزين. عانق الحائط وستكون بخير.

نهض فين وحاوّل استيعاب ما سمعه للتو. إذا كان قد فهم الأمر بشكل صحيح، فسيتسلقون داخل المبنى شديد السواد.

- تمسك أنت بكلبك وسأتمسك بك.

وجد فين نفسه وضُحِبَتَه فجأةً مثل الفئران العمياء التي تتشبث ببعضها بعضاً وهي تشق طريقها داخل هوة شاسعة. دون ضوء أو حبال، لم يربطهم ببعضهم بعضاً سوى السقوط المحتمل من ارتفاع شاهق. بشكل غريزي، قصّر مقوَد بال وجذبه نحو ساقيه. لم يعتقد أن يمضي ذلك المساء بتلك الطريقة، فقد غادر الشقة مع إحساس بأنّه في مهمة، وأنّه مسؤول. وها هما تان ركبته تترتجان وتلامسان بشكل لا إرادي. أراد العودة إلى المنزل، وإلى جريدته،

حيث للأحداث الملحمة عناوين رئيسية وأعمدة أنيقة، حيث الرعب والإلهام والفرح والحزن يأتي ويغادر مع القوس العريض الذي يتكوّن عند قلب الصفحة، حيث يمكنك المشاركة دون مغادرة كرسي غرفة الطعام المريح الخاص بك.

قال هيب جالسًا على رزم الأسمنت: «ليس عليك أن تأتي». احتاج فين إلى التفكير. من يذهب ليتسلّق مع كلب ومصباح وكراسة وقلم؟ أراد أن يقترح القيام بالمغامرة في الغد. لو كان يعرف ما ستترتب عليه الليلة، لوصل في وقت أبكر من ذلك، ومع ضوء أقوى، ودون كلب، وبحذاء تنس بدلًا من الشبشب. كان سيقضي حاجته أيضًا. كان غير مستعد من جميع النواحي. شعر بضعف في ساقه، وبأن الأنفلونزا التي قالت والدته إنها تنتشر قد ظهرت بالتأكيد. شعر بأزيز طفيف في أذنيه. تلمّس خديه، وكان واضحًا أيضًا أن مشكلات جيوبه الأنفية قد عادت. استنشق متضايقًا ليُزيل الانسداد. قال: «أنا جاهز».

كان أول طابقين حالكي الظلام، ولكنهما غير مرعبين؛ فقد تسلق أشجارًا بهذا الارتفاع من قبل. السقوط من هناك يمكن أن يتسبب في كسر في الساق، أو ربما عظم الترقوة. وإن كان كوبوس فيسر قد نجا من إصابات مماثلة، فسينجو بدوره. كما شعر بالحرج من إمساك يد هيب الخشنة. في البداية كان قلقًا من أن يبدو جبانًا. شعر بالإحراج وعدم التناسق حتى في الطابق الأرضي. كان معه الكثير من الأشياء، فاضطر إلى إعادة الكراسي إلى الجزء الخلفي من سرواله، ولضمان حرّية يده، دفع مصباحه في جيبه الأيمن. حاول دفعه إلى الأسفل قدر الإمكان، ولكن القبضة الفضية ظلت بارزة بمقدار بوصتين. ووخز قلمه فخذ من الجانب الآخر. شعر أن كل شيء خاطئ.

في الطابق الثالث لم يعد قلقًا بشأن مصباحه أو قلمه، أو اليد الخشنة التي تمسّك بها بإحكام أكثر فأكثر. تحوّل الخوف الأكاديمي إلى رعب جسدي. كانوا يتقدمون بلا تفكير في سلسلة من الدوائر المربعة. كانت السيدة سميت قد أطلعتهم على رسم إيشر في حصة الفنون، وبات الآن يعرف كيف يبدو الرسم لمن يقف بداخله. ليحرصا على بقاء ظهرهما على الحائط، تسلقا كل خطوة مثل سرطان البحر، دون أن يفارق عموداهما الفقيرتان السطح الخشن غير المُجصّص خلفهما. مرعوبًا من الظلام أمامه، حك نفسه بقوة على السواد خلفه. كلما تحرك إلى أعلى، ازداد الرعب الذي لا يُرى أمامه. جاء الجحيم في زيارة.

لم يعد يمسك يد هيب، ارتفعت القبضة أعلى معصمه إلى أسفل مرفقه مباشرة، وصار طول مقود بال ست بوصات. نصف مخنوق، تعلم بال فن التحرك جانبيًا، وخطوة واحدة تلو الأخرى. عندما وصلوا إلى منتصف الطريق، لم يعد بإمكان فين معرفة ما إذا كان يتسلق حول بئر المصعد أم حول حفرة

عميقة في ذهنه. غلبه الدوار؛ إذ أمكنه أن يشعر بالارتفاع الهائل دون أن يتمكن من الرؤية إلى أعلى ولا إلى أسفل. فُركَ ظهره بقسوة، ولكن إحساسه بالأبعاد والاتجاهات كان سيخبو لولا الألم. مقيدًا على كلا الجانبين بحزام جلدي وساعد عضلي، شق طريقه ببطء حول الهلع غير المرئي. انقلب رأسه، وبات يتعثر على تلك الحافة الخارجية هو الآخر.

ملأه جنون رجل فقاً عينيه بنفسه. بدأ فين يرتجف فاقدًا السيطرة على نفسه. لم يستطع العثور على الخطوة التالية مهما حاول. رفع ساقه اليمنى مرارًا وتكرارًا، ولم تكن هناك. صار يرفع ركبته أعلى فأعلى إلى لا شيء. والأسوأ من ذلك أن الذراع التي كانت محكمة جدًّا انزلقت مبتعدة. حاول التثبُّت باليد، ثم بالأصابع. بعد صراع قصير، ذهب كل شيء. ثم استدرك، هذا هو السقوط. ليس اندفاع الهواء على جسدك، بل اختفاء كل التماسات الأخرى. انحنى إلى الخلف ليتأكد، ووجد أن الجدار قد ذهب أيضًا. شعر بالمقود يُشدُّ، لا بد أن بال سيقع معه.

- يمكنك أن تفتح عينيك الآن.

على الرغم من أن فين سمع الصوت، فإنه تخيَّل أنه صدى بعيد، فلم يستطع أن يستجيب على الفور.

- ويمكنك أن تضع ساقك على الأرض.

تكررت الطبيعة العثبية للتعليمات مرتين، واخترقت دماغه أخيرًا. عندما وجدت قدمه الأرضية الخرسانية، ارتعش جفناه إلى أعلى.

- أهلاً في السقيفة الرئاسية.

كان أجمل شيء رآه فين على الإطلاق. كان الطابق العشرين بأكمله ملكهم. امتدَّ السطح الأسمنتيُّ أمامه بسلاسة ودون مقاطعات هثل مُدَّرَج شاسع، ثابتًا تحت قدميه بلا جدران أو سقف لإعاقة مرأى نظره. عُلقَ على منصة عائمة، وها هو ذا يمشي في الفضاء. لم تكن هناك حواف ولا حدود، بل مجرد خط أفقي ليحتوي أسفاره. غلفتهم النجوم بإحكام، وأضافت مسافة لا نهائية في الوقت نفسه. على مَدِّ نظره، كانت الأضواء في الأسفل تجاوب مع التوهج من الأعلى. نظرًا إلى أنه غير مهم تمامًا ومركزي لكل شيء، فقد نظر إلى الحديقة، وفوق صليب النيون للكاتدرائية الكاثوليكية، وما وراء منطقة مخلفات التعدين.

- ما كنت لأذهب إلى أبعد من ذلك.

وأمسكت اليد الخشنة كتفه.

أراد أن ينضم إلى المشهد. اهتزت إحدى فرديتي النعل الصيفي جيئةً وذهابًا، مستقرةً على حافة الأسمنت. أداره هيب وسار به في الاتجاه المعاكس. بينما كانا يقطعان السهل المظلم، تساءل فين إن كان يهلوس. لم يسبق أن أدرك انفصال عقله عن جسده إلى هذه الدرجة. كان أحدهما طافيًا وعائمًا، والآخر

أكثر وضوحًا وثباتًا. أوى أحدهما الآخر، ولكن كانا مختلفين. عندما وصلا إلى الجانب الآخر من المبنى، انتظر اجتماعهما مرة أخرى، إلا إنهما اختارا البقاء منفصلين.

- نقيض.

انتشرت في الأسفل أبراج كراون على نطاق واسع. كانت أقصر طابقيين، وشغلت كتلة بنايئة كاملة. أطرت كل شقة بمربع الألومنيوم الأزرق ذاته. سكن هذا اللون الأزرق داخل شبكة فضية أكبر قطعت المبنى من أعلى إلى أسفل، ومن جانب إلى آخر. لم يكن هناك شرفات، وفُتحت نافذتان في كل مربع بدرجات متفاوتة. على الرغم من انسداد معظم الستائر، فإن العدد الأكبر كان ما يزال مفتوحًا. شاهد فين أربعة رجال يلعبون الورق على طاولة المطبخ. عندما تحرك مؤرّع ورق اللعب من اليسار إلى اليمين، جلست امرأة صجرة على الأريكة وحدقت إلى حذائها. استقرت قدمها على كومة من المجلات المنبثقة من سجادة مُصلّعة باللونين الأبيض والأسود. كان لدى كل شخص سيجارة في فمه. عَشَى ضباب الدخان وجوههم قبل أن يرتفع ويدور في الضوء.

- هذا أحد صناديق البشرية الكبيرة. مكعب فوق مكعب بجانب مكعب أسفل مكعب. خلية نحل بشرية.

بدأ هيب في الغناء. على الرغم من أن صوته لم يكن مرتفعًا تمامًا، فإنه لم يكن يهمس. تقدم إلى الأمام، وانحنى أمام أبراج كراون وتحنج. أوما برأسه إلى الفرقة غير المرئية خلفه، ونقر بأصابعه من أجل الإيقاع وبدأ.

صناديق صغيرة عند سفح التل.

صناديق صغيرة،

صناديق صغيرة عند سفح التل.

هناك لون وردي وآخر أخضر وآخر أزرق وآخر أصفر،

وجميعها مصنوعة من مادة مبتدلة،

وجميعها متماثلة.

والناس في البيوت

ذهبوا جميعًا إلى الجامعة،

حيث وُضِعوا في صناديق،

وخرجوا متماثلين جميعًا.

انحنى هيب ثلاث انحناءات واطئة وهو يدور ليُقرّ بجميل كامل الدرجات المئة والثمانين من جمهوره، ثم التفت لمواجهة فين.

غنى بأعلى صوته وكأنيّه آخر سطر في أوبرا درامية: «تَخَلَّص من الخوف، تَخَلَّص من الخوف، تَخَلَّص من الخووف!» بصدرٍ ما يزال منتفحًا، وذراعين

ممدودتين نحو الشمال والجنوب، حَوَّلَ نفسه إلى لافتة مرور. إصبع مُوجَّهة إلى أبراج كراون، والأخرى إلى الأفق المرصع بالنجوم. «إلى أي جانب ستلتفت؟»

أخذ فين نفسًا عميقًا وتبع هيب ليسيرا عائدين نحو السماء اللامتناهية. علا صوت صفارة الإنذار في الأسفل، أخفقت سيارة في الإقلاع مرة تلو الأخرى، وضحكت امرأةٌ ساخرةٌ لا قريحة. وكأنما ردًّا على أغنية هيب، رفع شخص ما صوت جهاز الراديو الخاص به. لقد نسي أمر بال تمامًا، الذي ظلَّ حيث تركه، مع لَبِيَّةٍ على مقبض المقود تدَّعي أنها تثبته. تمنى لو كان بإمكان الجميع البقاء والسماح بتثبيتهم بكل هذا الأدب.

- أنت ذاهب، أليس كذلك؟ مثل والدي، عليك أن تذهب. هذا جزء من الميثاق.
- أحيانًا يكون الشيء الذي تشعر أنه عليك التعلق به هو الشيء ذاته الذي يعوقك.

جلس فين بجانب كلبه وتركه يضع ذقنه على فخذه، بينما ظلَّ هيب واقفًا.
- هل ثمة المزيد من هذه الأسئلة؟
- لا يهم.

سحب الكراسة من مؤخرة سرواله. كان لديه مصباح معطل وقلم لم يكتب وكراسة لا يستطيع رؤيتها.
- كنتُ سأسأل أيضًا إن كان بإمكانك إنهاء تلعثمي!
- ما عدتُ تتلعثم إطلاقًا عندما تتحدث معي.
- أفعَل مع الآخرين.

- في أثناء بلوغني، كان رأسي مملوءًا بالأفكار الحادة والضوضاء الصاخبة. صرْتُ أتخيل أن طائرًا مجنونًا يعيش هناك، بمنقاره ومخالبه. ظلَّ يخدش جمجمتي من الداخل صارخًا، فيجعلني أقترف أفعالًا سيئة. أدركتُ أنه عليَّ ترويضه. لذا بنيتُ مجثمًا ما بين أذني. بمرور الوقت دَرَّبْتُه على الجلوس عليه والاسترخاء... والغناء حتى أحيانًا. يفعل كل هذا كثيرًا هذه الأيام.
رفع فين بصره إلى رأس هيب، المُظلل بشكل مفاجئ بسبب منحنى ناصع البياض.

- لِمَ لا تُبلي بلاءً أفضل مني؟ لم لا تضع طائرًا يعجبك بالفعل؟ حافظ على هدوئه من البداية. سيهدئ من روعك من اليوم الأول.
- لا بد أن تكون بجعة.
- هذا طائر كبير.
- أحب البجع.

- توقعْتُ أن تختار عصفورًا دوريًا. ومع ذلك، فالبجعات مسالمة وجميلة للغاية، ولديك عقلٌ ضخم. ستحتاج إلى شيءٍ أصغر، ربما إلى بحيرةٍ صغيرة.

اجعلها تجدف في حلقة بهدوء، وقد تلقى مفاجأة سارة.
- سباحول.

تسلق منحى اللون الأبيض جانب المبنى، وصار كرة عملاقة مصقولة ومُنقبة.
تحت الضوء المُسلط عليهم، وقف الجميع واحتشدوا. نبج بال في الوهج
متحمسًا ومنفعلًا. تردّد صدى الصوت مرة تلو الأخرى قبل أن ينسكب من
الجانب ويسقط عن ارتفاع عشرين طابقًا. لم يُطل القمر وقفته. بعد أن أوضح
وجهة نظره، واصل رحلته إلى أعلى. ومع تزايد ارتفاعه، ازداد تسطح الأرضية
الأسمنتية، مما أعطى ما كان أملس بالفعل طبقة رقيقة من الألق. حين
استداروا ليذهبوا، استحال الدرج علبه تحوي الضوء بالغ النقاء، وصار كل شكل
حلزوني متوهجًا وذهبيًا.

علامة تجارية بريطانية - دواء مضاد للحموضة.
«Himmel! Englanders! بالألمانية: «يا للسماء! بريطانيون!»

.Balthazar

.Beelzebub

ما تعلمته في عطلتي

بقلم ستيفن باكستر

أَوَّلُ ما تَعَلَّمْتُهُ في عطلتي هو أن الجلد والشعر والأسنان ليست ما يدوم إلى الأبد. كما تعلمت أننا إن لم نؤمن سوى بكل ما يمكننا رؤيته ولمسه، فسوف نعيش حياة ضئيلة جدًا. ليس للجزئات نهاية واضحة، ولكن لعلَّ هذا صائب، فمن يدري إن كانت الحياة على الأرض تُخْتَمُّ كما يجب؟ يمكننا أن نردد «آمين» قدر ما نشاء، إلا إن هذا لن يثبت أن الشخص الميت قد رحل بالفعل. لعل كل ما جرى هو أنه اختفى وراء الكواليس مثلما فعلت الأنسة ديلمونت في مسرحية «حلم ليلة في منتصف الصيف». كانت هناك، وكان بالإمكان سماعها، ولكن تَعَدَّرَ على المرء رؤيتها من خلال الستارة.

تعلمتُ أيضًا أن الجنة هي كل ما نحتاج إليها أن تكونه. أي إن والدي موجود في أكبر مكتبة في العالم، حيث طُبِعَت كل الكتب بحروف كبيرة. أملُ أنهم لا يسمحون باستخدام أجهزة التسجيل هناك.

على الجميع قراءة الإصحاح الثالث عشر من رسالة بولس إلى العبرانيين، الآية الثانية. لن أقول أكثر من ذلك.

اللطفُ غايةٌ دائمًا.

تُجِبُّنا الكلاب دائمًا مهما حدث. تُعَانِقُنَا أمهاتنا عندما لا يجدن ما يقلنه، أما جداتنا فتخبزن.

ينطوي في داخلنا كل شيء ونقيضه: الحب والكره، الغضب والهدوء، اللؤم والود. ما نختار إظهاره للعالم هو السؤال الذي يُضَرَّبُ به المثل.

أنصح بتقدير الكاحلين والمرفقين أكثر.

بعض الناس سَبَّاقُونَ دائمًا، ولا بأس بهذا. ولكنهم لا يتعلمون بقدر أولئك الذين يَقَعُونَ دائمًا. شريطة أن يعاودوا الوقوع النهوض في كل مرة.

لا يموت المرء عندما يموت فحسب. يموت الكثير من الناس عندما يتوقفون عن العيش، فتصبح قلوبهم قاسية وباردة، مثل دجاجة مُجَمَّدة لا يذوب جليدها.

أحد أصعب الأشياء التي تعلمتها في هذه العطلة هي أن وفاة والدي كانت هدية. أعطاني مساحة كبيرة لأملأها كيفما شئت، وعليَّ أن أتعلم كيف أملؤها دون أن أقع في فَحَّها. ملأ بيتهوفن مساحة صَمَمِه بالموسيقى الجميلة، وهذا مثالٌ جيد ليؤخذ بعين الاعتبار.

إذا كنت تريد المغامرات، فابق فضولياً، وإلا فسوف ينقبض عقلك. ثم في نهاية حياتك، لن يمكنك تذكر أي منها.

غالبًا لا يقول الناس ما يقصدونه. الرجل الذي يحب الشوكولاتة لا يقصد لوح كاديوري دائمًا، الألسنة لا تزلق، والقسط لا تأكل الألسنة، وتطول القائمة.

تعلمت أنه علينا جميعًا دراسة الأشكال الحلزونية أكثر. سنجدها في كل شيء؛ من الزهور والأصداف إلى السلام. المجرة حلزونية، وكذلك حيواتنا. فلنعتبر أن المركز هو الولادة، والأيام من الإثنين إلى الأحد هي ما يدور حولها. هل تتحرك صعودًا؟ أم هبوطًا؟ حسنًا، هذا الأمر متروك لنا. كل ما يمكنني قوله هو أن مواصلة التسلق ستفضي إلى مكان ما حتى عندما يكون الظلام دامسًا.

بالإضافة إلى ذلك، ورغم أن الأمر مُحير، فالغد هو اليوم فحسب، ولكن بعد يوم من الآن. أي إننا يجب أن نحتفل دون أن نترك الحاضر ينغرس فينا. يتحرك الوقت من حولنا ومن خلالنا سواء أعجبنا ذلك أم لا. ولهذا ينبغي ألا نتعامل بسطحية مع الحقيقة، فهي دائمًا متجهة من مكان إلى آخر.

أعرف أن الجميع ينادونني بالأخرق وشتوتافوردز، وأعرف السبب، ولكن أمرًا آخر تعلمته في نهاية العطلة، هو أن تلك الأسماء ليست سوى جزء من الطبقة السطحية. تتلثم شخصية الخنزير «بوركي»، لذا يعتقد الجميع أنه من المضحك أن يفعل ذلك أشخاص حقيقيون. ليس مُضحكًا. اقترَح عليّ صديق أن أضع طائرًا في رأسي لأجرب إن كان ذلك ينفع، واخترتُ البجعة. هذا شيء آخر قد يضحك عليه الناس. إنه طائر كبير، ولكنني تمكنت من إبقائه هادئًا، لذا قد تنجح المحاولة.

يسبح الآن في بحيرة بالغة السكون. الماء أزرق، ويتلألأ على صفحته ضوء الشمس. لديه منقار أحمر مائل إلى البرتقالي، وعلامات سوداء تشبه المكياج باتجاه عينيه. يبدو عائمًا فحسب، فلا يمكنك رؤية قدميه وهما تجدفان بجذ تحته. رقبتة تشبه علامة استفهام لأنه يسألني دائمًا: «هل تخلصت من الخوف الآن؟».